كتاب التوحيد

للإمام المجدد الشيخ محمد عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شرح

فضيلة الشيخ د. محمد هشام طاهري

رابط سماع المادة

٠EZBV٢https://www.youtube.com/watch?v=BfNIx
WLFx-٨&list=PLcHCz
ny_H٩wd٤ryqvuzraoXGMDJ

ملاحظ: الشيخ لم يراجع التفريغ لأي ملاحظة التواصل مع (٠٠٩٦٦٥٥٠١١٠١٣٠)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المجلس الأول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، ارجوا من أخواني طلاب العلم وطالبات العلم أن يتلذذوا بالعلم، التلذذ بالعلم يجعل الإنسان يشتاق إليه ويجعله يصل إلى العلم.

كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: **"إني لأسمع الفائدة من العلم فيتلذذ لها كل بدني"**، فإذا ما عشنا هكذا أصبح يوم السبت يوم رباطٍ في أذهاننا فإننا سنعيش في لذة كما قال ابن المبارك: **"لو يعلم ابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"**.

الحقيقة يوم السبت أنا أتكلم عن نفسي بالنسبة لي من ألذّ الأيام، الفجر البخاري والعصر والمغرب والعشاء معكم فهو يوم سعد إن شاء الله، ما فيه إلا قال الله وقال الرسول وقال الصحابة، هذا هو العلم.

الآن اللقاء القادم ننهي الورقات إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، ونبدأ اليوم في كتاب التوحيد.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، فهذا هو المجلس الأول من مجالس التعليق والقراءة على كتاب التوحيد للإمام أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو معكم في المجلد الثاني من كتب الدورة العلمية التأصيلية الأولى المباركة صفحة ٢٧٧.

هذا الكتاب أيها الأخوة من أنفع الكتب في عقيدة وفي توحيد أهل السنة والجماعة من عدة جهات: -

الجهة الأولى: أنه لم يُؤلف مثله في باب توحيد الألوهية.

الجهة الثانية: أنه كتابٌ شاملٌ لأغلب جوانب الاعتقاد، فهو يشمل الألوهية وهو عُظم أبوابه ويشمل الربوبية والأسماء والصفات.

الثالث: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلك فيه مسلك العلماء السابقين: يبوب ويذكر الآية والحديث وأقوال السلف، لولا وجود اسمه عليه لظن الناظر أنه من مؤلفات أئمة القرن الثالث الهجري.

الرابع: أن هذا المُؤَلَف وهو كتاب التوحيد قد اعتنى به العلماء شرحًا وتعليقًا مطولات ومختصرات، فهذا يجعلنا أيها الأخوة نهتم بهذا الكتاب اهتمامًا بليغا، وقد كان بعض شيوخ مشايخنا كلما انتهوا من كتاب التوحيد يعيدون قراءته والنظر فيه، ونبدأ إن شاء الله في ستة مجالس، يعني كل مجلس لابد أقل شيء عشرة أبواب، نسأل الله البركة ونسأل الله أن يبارك لنا في أوقاتنا وفي أعمالنا وفي علمنا، نبدأ على بركة الله على المنهج الآتي: -

أولًا: نشرح ترجمة الباب.

ثانيًا: نذكر مناسبة الباب لما قبله.

ثالثًا: نذكر وجه الشاهد من الآية او من الحديثِ أو من الأثر للباب.

وأما المسائل فهي متروكة لكم وأنتم تبحثون عن وجه الشاهد منها في المطولات أو في المختصرات إن شاء الله تعالى.

وأنفع المطولات في شرح كتاب التوحيد أنفعها وهو لطلاب العلم المنتهين **"تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب"**، وأما من أنفع المطولات للمبتدئين فهو **"القول المفيد"**، لشيخنا وشيخ مشايخنا الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، وأوسط المطولات هو **"التمهيد شرح كتاب التوحيد"**، للشيخ صالح آل الشيخ، ومن أقصر الشروحات **"قرة عيون الموحدين"**.

فنبدأ على بركة الله على المنهج الذي اتفقنا عليه إن شاء الله.

المتن:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، الله اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين وللمسلمات يا رب العالمين، قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} الآية. وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} الآية. وقوله: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا} الآية. وقوله: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا} الآيات.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} - إلى قوله - {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا**

يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا»، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**» أخرجاه في الصحيحين.

الشرح:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"بسم الله الرحمن الرحيم"**، ابتدأ المصنف الكتاب بالبسملة اقتداءً بكتاب الله واقتداءً برسائل النبي الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قوله: **"كتاب التوحيد"**، جعل عنوان الكتاب هو عنوان هذه المقدمة، فصار عنوان الكتاب هو المقدمة، قوله: **"كتاب التوحيد"**، معنى هذه الترجمة، أنه سيتكلم في هذه الرسالة العظيمة عن التوحيد، والألف واللام في التوحيد للعام، أي: التوحيد الذي بعث الله به المرسلين وميّز الله به الموحدين عن المشركين، والتوحيد تفعيلٌ من وحّد الشيء يوحده توحيدًا.

وفعل العبد يقال له: التوحيد، أنت توحد الله: أي تعتقد أنه الواحد وتعبده، إذًا التوحيد علمٌ وعمل، وليس معنى التوحيد أنك تجعل الله واحد فالله واحد ليس بجعل جاعل سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

مناسبة هذه الترجمة: ابتدئ المصنف بهذه الترجمة للإشارة أن كل ما سيأتي هو متعلقٌ بهذا العنون وهو التوحيد إما تأصيلا وإما بيانًا لفضله أو الواجبات المتعلقة به أو بيانًا لضده وهو ما ينقضه أو ينقصه أو بيانًا لمكملات التوحيد.

أورد المصنف في هذا الباب خمس آيات وحديثين:

الآية الأولى آية سورة الذاريات، ووجه الشاهد فيه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، أن الله عَزَّوَجَلَّ ما خلقنا إلا للتوحيد، وقد جاء عن ابن عباس: {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، قال إلا ليوحدوني، وأما استشهاده بقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}، ففيه بيان: أن التوحيد هو عبادة الله واجتناب الطاغوت، ما هو التوحيد معرفة الله كما يظنه بعض الناس، ليس التوحيد معنى أن الله هو الخالق كما يظنه بعض المتعالمين.

وأما آية سورة الإسراء: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}، أورده المصنف لبيان أن هذا التوحيد الذي سأتكلم عنه حكمٌ قضى به رب العالمين، ولا يجوز مخالفة حكمه وهو أن لا يعبد إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأما آية النساء: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}، فأورده المصنف لبيان أن أول الأوامر عبادة الله وأول النواهي النهي عن الشرك بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وفي آية الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}، فيه إشارة: إلى أن أول المحرمات وأعظم المحرمات ما يناقض التوحيد وهو الشرك.

إذًا بذكره لهذه الآيات عرفنا ما هو التوحيد، وعرفنا ما هو الذي بعث الله به المرسلين، وعرفنا أن أعظم مأمور به التوحيد وعرفنا أن أعظم منهي عنه هو الشرك الذي هو ضد التوحيد، والشيء يعرف بضده.

ثم أورد حديثين: -

الأول: حديث ابن مسعود: وفيه إشارة إلى أن آيات سورة الأنعام هي من الآيات الخاتمة التي عليها خاتم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليست هي منسوخة، وهي من مشكاة المحكمات: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}، ففي الآية البداءة بالتوحيد والحذر من الشرك.

وأما حديث معاذ بن جبل فوجه الشاهد منه ظاهر، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل حق الله على العباد هو التوحيدِ، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**»، «**وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»، حق الله واجبٌ لازم وحق العباد متفضل به من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المتن:

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ فيه مسائل: الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الشرح:

ما كانت الخصومة في الخالقية ولا في الرازقية، ما كانت الخصومة في الاخلاق في الصدق والكذب والأمانة.

المتن:

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله تعالى: {ولا أنتم عابدون ما أعبد}.

الشرح:

مهما اجتهد العابد في عباد الله ما دام مقيمًا على الشرك فلا يسمى موحدا ولو ِأتعب نفسه الليل والنهار.

المتن:

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوثقى} [البقرة:٢٥٦].

الشرح:

السابعة سماها **"الإيمان بالمسالة الكبيرةِ"**، ذلك لأن هذه المسألة تخفى ليس على كثير من العوام بل على كثير من المنتسبين إلى العلم يظنونِ أن التوحيد يكفي فيه عبادة الله، ويغيب عن ذهنهم أنه لا يكفي فيه حتى يكون معه كفر بالطاغوت، ومعنى الكفر بالطاغوت: اعتقاد أن الشرك مرفوضٌ عند الله وأن المشرك منبوذٌ عن الله وأنه لا يجوز التودد دينًا مع المشركين ولا التحبب دينًا مع المشركين، لأن هذه الأشياء تنافي الكفر بالطاغوت.

المتن:

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبِد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف.

الشرح:

بعض الناس قد أخطأ حتى سُمي الصالحين بل وبعض الأنبياء والمرسلين الذي عبدوا مع الله قالوا يسمون طواغيت، وهذا خطأ لا شك فيه ولا ريب، لأن من عبد وهو غير راضي لا يسمى طاغوت، وأما فعل العبد وشركه كونه عبد عيسى أو عبد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعله طغيانٌ وهو في الواقع يعبد إبليس الطاغوت الأكبر: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا}[النساء:١١٧].

المتن:

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: {لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء:٢٢].

الشرح:

آيات سورة الأنعام تسمى بالوصايا العشر، هذه الوصايا العشر القرآنية وما هي الوصايا العشر المزيفة التي يقولها بعض من يدعي العلم.

المتن:

قال: وختمها بقوله: {ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا}، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة}.

الشرح:

أعظم الحكمة معرفة التوحيد ومعرفة الشرك، واتباع التوحيد والحذر من الشرك، من لم يكن كذلك فليس بحكيمٍ وإن سمي بأحكم الحكماء، وأحكم الحكماء هو رب العالمين جَلَّوَعَلَا.

المتن:

قال: الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا}.

الشرح:

هذه آية الحقوق العشر، وفي الأنعام آية الوصايا.

المتن:

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

الشرح:

لا يعرفها أكثر الصحابة لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ: «**لا تبشرهم فيتكوا**»، لذلك ما علم بها معاذ إلا تأثمًا وهذا فيه دلالة أن بعض الأمور الجيدة الطيبة ينبغي إخفاؤها عن العامة إذا كانوا يفهمونها غلطًا.

المتن:

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

الشرح:

"**الله ورسوله أعلم**"، يجوز في المسائل الدينية في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد مماته، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أحكام الدين حال حياته وحال مماته، إذا كان آحاد الأمة من العلماء يعلمون أحكام الدين فكيف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الأحكام الدنيوية فلا يجوز أن يقال فيها: "**الله ورسوله أعلم**"، بل يقال: "**الله أعلم**"، فقط، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الأحوال الدنيوية.

المتن:

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

الشرح:

فضيلة معاذ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خصّه بالعلم، وكان معاذ يُلقب بأنه إمام العلماء: **"ويقدم العلماء يوم القيامة يقدمهم معاذ بن جبل برتوة"**، وهذا الحديث وإن كان فيه كلام لكنه لا شك أنه أئمة من أئمة العلماء.

المتن:

قال رَحِمَهُٱللَّهُ:

"باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب"

وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢].

عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**قال موسى: يا رب، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله**»، **"رواه ابن حبان، والحاكم وصححه"**.

وللترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**».

الشرح:

هذا الكتاب العظيم لا أعلم له إلا الساعة أحدًا رد عليه، كيف يردون عليه وهو يقول: **"قال الله وقال الرسول"**، حتى أعداءه الذين ناوءوه ما استطاعوا أن يخصوا هذا الكتاب برد، مع أنه ردوا عليه في مسائل كثيرة لكنّ هذا الكتاب من العجب أن بعض أعداءه المناوئين لدعوته شرحوا هذا الكتاب، هذا من العجائب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **"باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب"**، معنى ترجمة الباب: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يبين أن للتوحيد فضلا، والفضل مفرد مضاف،

والقاعدة عندنا: **"المفرد المضاف يدل على العموم"**، يعني على فضائل التوحيد.

"وما يكفر"، ما هنا قيل: موصولة، أي: والذي يكفر من الذنوب، يعني: التوحيد له فضل وله تكفير للذنوب، وقال بضع الشرّاح: **"ما"**، هنا وما بعده من الفعل المضارع مأول بالمصدر، والمعنى: باب فضل التوحيد وتكفيره الذنوب، والأول أعم في نظري والله أعلم: هذا معنى ترجمة الباب.

ومناسبة هذا الباب: لما بيّن أن الرسالة في التوحيد لعل بعض الناس يتقاعس عنه فأراد أن يبين فضل هذا التوحيد وآثار هذا التوحيد وثمرات هذا التوحيد ليشهد الهمم لمدارسة هذا التوحيد، فذكر تحت هذا الباب آية وأربع أحاديث:

-

الآية: هي قول الله تعالى في قصة إبراهيم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢]، ووجه الشاهد: {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢].

فدل: أن من فضائل التوحيد: حصول الأمن والاهتداء لأهله في الدنيا وفي الآخرة، ومن نقص توحيده فبقدر نقصان توحيده ينقص عنده الأمن والاهتداء- فتجده متوتر وقلق، إذًا الإنسان نقص إيمانه ينقص بمقدار ذلك، الموازنة بين الميزانين متساوية: كل ما ارتفع الإيمان ارتفع الأمن والاهتداء وكل ما خف الإيمان خفّ الأمن والاهتداء، إذا ذهب الإيمان ذهب الأمن والاهتداء.

وأعظم الأمن والاهتداء الحاصل لأهل التوحيد في الآخرة، جعلني الله وإياكم من أهل الإيمان التام.

وأما حديث عبادة: فوجه الشاهد فيه: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما ذكر أركان التوحيد وما عليه يقوم التوحيد: من الشهادة لله بالتوحيد وللأنبياء بالرسالة وإثبات مسائل الإيمان قال: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، هذا هو وجه الشاهد، يعني لا ينظر إلى أعماله ويدخل الجنة، إما ابتداءً إن كان توحيده عظيمًا وإما انتهاءً إن كان عنده أصل التوحيد.

وأما حديث عتبان: فالشاهد فيه: «**فإن الله حرّم على النار من قال: "لا إله إلا الله"، يبتغي بذلك وجه الله**»، وفيه دلالة على أمرين: -

الأول: أن الموحد يحرُم عل النار ابتداءً إن كان إيمانه تامًا حصل له الأمن والاهتداء، وإما أنه يحرم على النار على وجه التأبيد إن كان إيمانه ناقصًا وعنده شيء من الذنوب، لكن قوله: «**يبتغي بذلك وجه الله**»، فيه إشارة إلى أمر ثاني: وهو أن مجرد القول لا يغني حتى يكون معه شرط من شروط التوحيد وهو الإخلاص.

وأما حديث أبي سعيد الخدري: فوجه الشاهد فيه أن الله عَزَّوَجَلَّ قال لكليمه موسى: «**لو أن السموات السبع وعامرهن غيري**»، قوله: "**وعامرهن غيري**"، فيه دلالة: أن الله في العلو، «**والأرضين السبع في كفة**»، دلّ أن الله ليس في الدنيا

لأن الأرض في الدنيا ولم يستثني الله نفسه، «**ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله**».

قد يقول قائل: فيه ناس معهم **"لا إله إلا الله"**، لماذا موازينهم تخف؟ لأنهم ما أتوا بالتوحيد على وجه الكمال.

وأما حديث أِنس: فوجه الشاهد فيه ظاهر: قال: «**لو أتيتني بقراب الأرض**»، **"قراب"**، يعني: ملء الأرض وما يقارب الأرض، «**خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**»، الحديث دليلٌ عظيم على عظيم وجسيم وكبير رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن:

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه مسائل:-

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الشرح:

هذا يؤكد أن المصنف يرجح وهو أدرى بمؤلفه: أن **"وما يكفر"**، أنه أراد به المصدرية لأنه قال: **"تكفيره مع ذلك للذنوب"**، أراد بـ **"ما"**، مو الموصولة، **"باب فضل التوحيد وتكفيره للذنوب"**، لأنه هنا فسرها.

المتن:

الرابعة: تفسير الآية (٨٢) التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: **"لا إله إلا الله"**، وتبين لك خطأ المغرورين.

الشرح:

"تبين لك خطأ المغرورين"، الذين يظنون أن مجرد القول نافعٌ، لو كان مجرد القول نافعًا لانتفع بذلك المنافقون، وإنما الجمع بين حديث ؓ عبادة وحديث عتبان: فيه بيان أنه لا بد في قول **"لا إله إلا الله"**، من اليقين والعلم والصدق والإخلاص.

المتن:

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله.

الشرح:

فكيف بغيرهم؟ بعضهم يسّفه نفسه غيره ويقول: التوحيد نتعلمه في عشر دقائق، التوحيد تتعلمه في عشر دقائق؟! النبي ﷺ خير المعلمين والصحابة خير المتعلمين جلسوا عشر سنوات ما أمرهم الله بشيء إلا التوحيد،

فكيف تقول بعشر دقائق نتعلمه ؟ من أنت؟ والله لو كان لك ذكاء إبليس ما استطعت أن تتعلم التوحيد في عشر دقائق، هذا من التدليس الذي يأتي به إبليس. ولذلك من يقول هذا الكلام فخذوها مني فائدة وتتبعوا من يقول هذا الكلام: قطعًا سيقع فيما يناقض التوحيد أو فيما ينقص التوحيد، لأن الله جَلَّ وَعَلَا حكيمٌ عليم يجازي الإنسان بجنس عمله، يزدري التوحيد فيقع فيه، يقول بعضهم: نتعلم التوحيد في عشر دقائق وبعدين يقول: ليتني أذهب إلى قبر النبي وأتمسح بالتراب، تعلمت التوحيد أين ؟!

المتن:

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الشرح:

سبعٌ بالإجماع، لكن وقع النزاع، هل هو سبعٌ طبقات بعضها فوق بعض أو سبع أراضين مستقلة حتى بعضهم زعم: أن المقصود به القارات السبع، ولكن هذا علم لا ينفع.

المتن:

الحادية عشرة: أن لهن عمارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافًا للأشعرية.

الشرح:

لأنه قال: «**يبتغي بذلك وجه الله**»، إذًا فيه دلالة: أن الله له وجه، خلافًا للأشعرية الذين ينكرون الوجه، وهذا فيه دلالة: أن الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مهتمٌ حتى بتوحيد الأسماء والصفات خلافًا لمن زعم من بعض المعاصرين: أن الإمام ليس له عناية في هذا الباب، لا والله له عناية عظيمة، ومما يؤكد هذا المعنى **"الرسالة المدنية"**.

المتن:

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»، أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام عبدي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بكونه كلمة الله.

الشرح:

"كلمة الله"، من باب إضافة التشريف، لأن كلمة الله المقصود به: عيسى، فلما كان شيئًا يشار إليه في الخارج غير الله صار هذا من باب إضافة المخلوق للخالق، أما إذا قلنا: القرآن كلام الله فهذا من باب إضافة الصفة للموصوف، كلمة **"كن"**، هذا كلام الله، والمكَون به وهو عيسى كلمة الله مخلوقٌ.

المتن:

قال: الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معنى قوله: **"على ما كان من العمل"**.

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

الشرح:

"الميزان"، له كفتان بإجماع أهل السنة، خلافًا للمعتزلة، الميزان له كفتان.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"**

وقال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل:١٢٠]. وقال: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون:٥٩].

عن حصين بن عبد الرحمن أنه قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن

الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**عرضت علي الأمم**»، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**».

الشرح:

مناسبة هذا الباب لما قبله: لمّا ذكر فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ربما يتوهّم متوهم أن هذا الفضل لكل أحد على إطلاقه، فأراد المصنف أن يبين أن تلكمُ الفضائل والثمرات على إطلاقه لمن حقق التوحيد، فمنِ أتى بالتوحيد

الكامل حقق تلكمُ الفضائل والثمرات الكاملة، وأما من لم يحقق التوحيد فإن له من تلكم الفضائل والثمرات بقدر ما عنده من التوحيد.

وأما مراد المصنف بهذه الترجمة: **"باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"**، إشارة: إِلى أن الناس في التوحيد ثلاثة أقسام: -

- قسمٌ معهم أصل التوحيد: وهم الذين خرجوا من الشرك والكفر ودخلوا في الإسلام، وهؤلاء يسميهم العلماء بأهل الإسلام.
- وقسمٌ منهم: من أتوا بالتوحيد الواجب، وهؤلاء هم أهل الإيمان.
- وقسمٌ منهم: أتوا بالتوحيد الكامل، وهؤلاء هم أهل الإحسان.

إذًا تحقيق التوحيد، تأملوا معي: معناه تحقيق الإيمان، قد يكون إنسان ما هو أصل التوحيد ينبذ الشرك ويعبد الله ولكنه لا يهتم بتحقيق هذا التوحيد والإتيان بواجباته، وربما يكون الإنسان مهتمًا بهذا الجانب من حيث الواجبات غير مبالٍ بالمكملات فتجد قلبه ميلًا إلى الأسباب وتجد في ألفاظه ميلًا في بعض الأمور المخالفة لتحقيق التوحيد.

ولذلك أتى المصنف بهذه الترجمة العظيمة: **"باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"**، دلّ أن الناس يدخلون الجنة على قسمين:

قسمٌ منهم يدخلون الجنة بغير حساب وهم أهل التوحيد الكامل.

وقسمٌ منهم: يدخلون الجنة بحساب وهم أهل التوحيد الذين لم يكملوا التوحيد سواءً ابتداءً او انتهاءً.

أورد المصنف تحت هذا الباب آيتين وحديثًا واحدًا: -

الآية الأولى عن إبراهيم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وفيه إشارة إلى أن من أراد أن يحقق التوحيد فعليه بالسير خلف إبراهيم: {أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، تأمل الصفات: **"أمة"**، هذه واحد، قال بعض المفسرين: **"أمة"**، جماعة على الحق، قال: **"قانتًا"**، معنى القانت: الخائف منه لا من غيره **"قانتًا لله"**، يعني: خائفًا، وقال بعض العلماء: **"قانتًا"**، أي: خاشعًا لله والخوف والخشوع متلازمان، لكن تفسيره بالخشوع أفضل لأن إبراهيم معه علم، والخشوع: هو خوف مع علم.

تأملوا معي: **"أمة"**، في أفعاله، **"قانت"**، في نفسه، **"حنيفًا"**، في عمله، **"ولم يك من المشركين"**، في إعلانه البراءة والبعد عنهم والهجرة عنهم، فهذا وجه الشاهد: أن هذه الآية فيها صفات المحققين للتوحيد.

وأما آية سورة المؤمنين: قال: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون:٥٩]، دلت الإشارة من المصنف: أن تلكم الصفات هي صفات المحققين للتوحيد، إذا أردت أن تعرف ما هي صفات المحققين للتوحيد وهل موجودة فيك أو ليست موجودة انظر إلى هذه الآية التي قال الله فيها: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ}، {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون:٦٠]، إلى آخر الآية.

وأما حديث حصين بن عبد الرحمن: فالشاهد فيه على تحقيق التوحيد: «**ادخلوا الجنة بغير حساب**»، آخر الحديث، قال: «**هم الذين لا يسترقون**»، وهي الرواية المحفوظة، وأما رواية: «**لا يرقون**»، عند مسلم فهي شاذة.

ما معنى "**لا يسترقون**"؟ لا يطلبون الرقية وهم يرقون أنفسهم، «**ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»، تأملوا معي ثلاثة أشياء: -

"**يسترقون**"، طلب الرقية متعلق باللسان، هذا واحد.

"**يكتوون**"، هذا لسان أو عمل؟ عمل.

"**يتطيرون**"، التطير وين يكون؟

فجمع المحقق للتوحيد ثلاثة أمور حفظ قلبه عن لحظ غير الله، حفظ أعماله عن التعلق بالأسباب، حفظ أقواله عما يخدش التوحيد ولو يسيرًا ولو خلافًا أولى.

والجامع لهذه الأمور الثلاث: قال بعض العلماء: «**وعلى ربهم يتوكلون**»، والصواب: أن التوكل صفة رابعة لهم، فالصفة الأولى: حفظ ألسنتهم، والصفة الثانية: حفظ أعمالهم من التعلق بالأسباب، الثالثة: حفظ قلوبهم من الالتفات لغير الله عَزَّوَجَلَّ، "**وعلى ربهم يتوكلون**"، عظيم اعتمادهم على الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

إذا هذه الصفات نجمعها مع آية سورة المؤمنون مع آية: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل:١٢٠]، بهذا ندرك صفات المحققين للتوحيد.

المتن:

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين.

الشرح:

دل أن الأنبياء أنفسهم يختلفون في التوحيد بناءً على مراتبهم فيه.

المتن:

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

الشرح:

هو ليس ترك الرقية، الصواب: كون ترك الاسترقاء وهو طلب الرقية، أما الرقية فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقى نفسه ويرقي غيره.

المتن:

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الشرح:

لأنهم لما اختلفوا من هؤلاء السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ما ذكروا نسبًا ولا حسبا ولا ذكروا إلا أمورًا عملية، وُلدوا على التوحيد، هم الذين جاهدوا مع رسول الله وهم الذين فعلوا كذا وكذا.

المتن:

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

الشرح:

"بالكمية"، فهم أكثر من سواد أمة موسى، و **"بالكيفية"**، فالمحققون للتوحيد فيها أكثر من الأمم كلها، جعلني الله وإياكم منهم.

المتن:

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الشرح:

جعلني والله وإياكم من الذين يحشرون مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وفي قربه وفي زمرته.

المتن:

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الشرح:

وأن ذلك لا يضره، كون الناس يأبون الحق ولا يقبلونه لا يضر الداعي.

المتن:

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا، فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الشرح:

لأن الحديث الأول حديث عمران بن حصين: «**لا رقية إلا من عينٍ أو حمة**»، لا رقية نافعةٌ على وجه الكمال إلا من عينٍ أو حمة، لدغتك نملة اقرأ عليها الفاتحة أو قل: "**أعوذ بعزة الله وقدرته**"، أو قل: "**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء**"، يذهب أثره مباشرة، لأنه لدغة، لدغتك عقرب نفس الدعاء، إذًا أنفع الرقى ما كان لأجل عين أو لأجل حمة وهذا معناه، وليس معناه عدم جوازه في غير العين والحمة، بل حتى إذا انكسر يدك ارقها فإن الجبار يجبر كسرك.

لا تظن أن الأدوية هي التي تجبر هذا غلط عظيم وهذا خلاف التوحيد وخلاف تحقيق التوحيد وأننا نعلق قلوبنا بالأسباب فهذه مصيبة، يقول: (هذا الدواء مائة في المائة للألآم وهذا الدواء مائة في المائة للعظام)، هذا غلط عظيم أنت تبلع الدواء، فمن الذي يودّي الدواء إلى مكان الألم؟ أنت؟ يقولك: كرات الدم، مين اللي يودي كرات الدم أنت؟ والله ما تعرف وين الرئيس وين المرؤوس وين القوي وين الضعيف وين الأبيض وين الأحمر؟ ما تعرف، رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المتن:

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنت منهم**»، علم من أعلام النبوة.

الشرح:

لأنه توفي شهيدًا في معركة اليمامة مع المرتدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المتن:

العشرون: فضيلة عكاشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الشرح:

لم يقل له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنت لا تستحقها، وإنما قال: «**سبقك بها عكاشة**»، عرض.

المتن:

الثانية والعشرون: حسن خلقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"باب الخوف من الشرك"**

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} الآية، وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: {واجنبني وبني أن نعبد الأصنام}، وفي حديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**».

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من مات وهو يدعو من دون ا لله ندًا دخل النار**»، [رواه البخاري].

ولمسلم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**».

الشرح:

مناسبة هذا الباب لما قبله: لما ذكر تحقيق التوحيد وأنه أمرٌ عظيم ذكر باب **"الخوف من الشرك"**، للدلالة على أن تحقيق التوحيد لا يتم إلا بالخوف من الشرك، وهو أعظم ما به يتم تحقيق التوحيد، لأن الذي لا يخاف من الشيء لا يهرب منه، من خاف من الشيء يهرب منه، أنت تخاف من عدوك ما يمكن تقف لأن يأتي ويأخذك، تخاف من الأسد وتعرض نفسك له ولا تهرب؟ تهرب، فهذا مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن تحقيق التوحيد لا يتم ودخول الجنة بغير حساب لا يكون إلا مع الخوف من الشرك.

ولذلك كان سادات الصحابة أعظم الناس خوفًا من الله، وأعظم الناس خوفًا من حبوط العمل، وما الذي يحبط العمل إلا الشرك والنفاق والكفر عياذً بالله.

معنى هذه الترجمة: **"باب الخوف من الشرك"**، أي أن الخوف من الشرك أمرٌ لا بد منه في تحقيق التوحيد، ومعنى الخوف ليس مجرد الاعتقاد بل هو اعتقادٌ معه عمل ينتج عنه علمٌ به ليجتنب وينتج عنه عملٌ في نبذه ونبذ أصحابه.

ومعنى الشرك هنا: الذي هو ضد التوحيد، والشرك إذا أُطلق فيراد به الشرك في الألوهية، والتوحيد إذا أُطلق يراد به التوحيد في الِألوهية، هذا معناه في القرآن كله، فِإن أُريد بالشرك نوع آخر غير الشرك في الألوهية فلا بد أن يكون هناك قرينة تدل على ذلك وإلا فالأصل: أن التوحيد إذا أطلق يراد به توحيد العبادة، والشرك إذا أطلق يراد به الشرك في العبادة، هذه تتعلمها تنضبط معك وجه الشاهد.

أورد المصنف تحت هذا الباب آيتين وثلاثة أحاديث: -

الآية الِأولى: قوله في سورة النساء: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:١١٦]، هذه الآية من أعظم الأدلة التي تجعل الإنسان يخاف، لأن **"الله لا يغفر"**، ما دام الله لا يغفر لازم يخاف الإنسان، {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، قال: {لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}، أن وما بعده من الفعل المضارع مؤول بالمصدر، والمعنى: لا يغفر الشرك به.

قال جمهور المفسرين والعلماء: **"لا يغفر الشرك به"**، الألف واللام هنا: الشرك للعهد وهو الشرك المعهود الذي كان عليه المشركون، وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إن (أن) وما بعده من الفعل المضارع مؤول بالمصدر نكرة"**، إن الله لا يغفر شركًا به فعلى هذا حتى الشرك الأصغر لا يُغفر، معنى هذا: أن صاحب الشرك الأصغر يُعذب ثم بعد التعذيب ينظر إلى مصيره إلى الجنة.

وعلى كلا التفسيرين يجب على الإنسان أن يخاف الشرك هذا وجه الشاهد، إذا علمت أن الله لا يغفره تخاف منه، وقال الله عَزَّوَجَلَّ في موضعين من كتابه: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}، وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ}[إبراهيم:٣٥]، وجه الشاهد: إذا كان إبراهيم الخليلِ إمام الحنفاء وأبو الأنبياء وكاسر الأصنام يخاف على نفسه وبنيه من عبادة الأصنام الظاهرة، فكيف بالشرك الخفي ؟ فماذا نقول نحن؟ يجب علينا أن نظهر الخوف من الشرك ليل نهار، لأن من كان ديدنه الخوف من الشرك أصبح ديدنه الحرص على التوحيد، يكاد أن يكون إمامًا في التوحيد قدوة في التوحيد محققًا للتوحيد: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ} [إبراهيم:٣٥]، كاسر الأصنام يخاف على نفسه وبنيه من عبادة الأصنام، وما خافه على بنيه قد حصل لأن ذرية إسماعيل بعد قصي ابن كلاب عبدت الأصنام.

وأما الأحاديث الثلاثة: - فوجه الشاهد فيها ظاهر: -

الأول: قال: «**أخوف ما أخاف عليكم**»، صيغة أفضل التفضيل، أي: أشد شيءٍ أخافه عليكم هو الشرك الأصغر، أكثر شيءٍ أخافه عليكم الشرك الأصغر، فسُئل عنه فقال: «**الرياء**»، وهو أن يظهر الإنسان عملًا يعمله لله فيزينه لأجل الناس، فإذا كان هذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافه علينا، أفلا نحن نخاف منه ؟ ولهذا قال من قال من العلماء: **"لا يخاف النفاق إلا مؤمن ولا يأمنه إلا منافق"**، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف على أمته من الشرك الخفي.

وأما حديث ابن مسعود: فوجه الشاهد فيه: أنه قال: «**من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار**»، موجبة نسأل الله السلامة والعافية، موجبة وهي مفسرة للآية.

وأما حديث جابر: «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»، **"شيئًا"**، نكرة ولا لا؟ وهذا يؤكد قول أبي العباس ابن تيمية، لكن الجمهور قولهم: تجمع الأدلة.

المتن:

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه مسائل: الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الشرح:

الواجب على من يريد تحقيق التوحيد أن يخاف من الشرك الأكبر والأصغر.

المتن:

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد على عملٍ متقاربٍ في الصورة.

السابعة: أن من لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

الشرح:

والله مسألة عظيمة، من منا يدعو ويقول: يا رب جنبني وأولادي الشرك، إمام الانبياء يدعو بهذا الدعاء، وما ذكره الله في القرآن إلا لتكرره ذلك منه، وإلا فِأدعيته كثيرة، لما خصّ الله ذكر هذا الدعاء من أدعيته؟ لنتعلم ونقتدي.

المتن:

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر، لقوله: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}.

الشرح:

المحقق للتوحيد يعتبر بحال أكثر الناس، يرى أذكياء الناس يشركون يخاف، يرى الذي هم دكاترة فلاسفة يصنعون الصاروخ والقنابل يسجدون للصنم يصنعونه بأيدهم فيخاف من الشرك يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي، يعلم أن الثبات على التوحيد فضل من الله، هذه مسألة عظيمة حال أكثر الناس مع ذكاءهم وفطنتهم وفهمهم وعلو كعبهم في أمور الدنيا لكنهم يشركون يجعل الإنسان يخاف.

المتن:

العاشرة: فيه تفسير **"لا إله إلا الله"**، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

الشرح:

"فضيلة من سلم من الشرك"، أنه يدخل الجنة، «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة**»، أبشروا يا أهل التوحيد، والله هذه بشارة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للموحدين الذين ديدنهم التوحيد.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله"**

وقوله الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:١٠٨].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» -

وفي رواية: «**إلى أن يوحدوا الله - فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنياءهم فترد على فقرائهم، فإن هم**

أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه**»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم**».

يدوكون: يخوضون.

الشرح:

مناسبة هذا الباب لما قبله: أنه رَحِمَهُٱللَّهُ أراد أن يبين طريقةً عملية تدل على تحقيق التوحيد والخوف من الشرك وهو: أن يشتغل الإنسان بالدعوة إلى التوحيد يصبح ديدنه التوحيد، هذه من أعظم علامات المحققين للتوحيد أنه جيراهم التوحيد التوحيد التوحيد، وهذا يدل على فقهٍ عظيم للإمام رَحِمَهُٱللَّهُ.

معنى هذه الترجمة: **" باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله"، "الدعاء"**، بمعنى: الدعوة، دعا يدعو دعوةً ودعاءً مصدر، وهو أتى بالمصدر الممدود

للدلالة على أنه ينبغي أن يكون الدعاء معك، مهو الدعوة مرة واحدة خلاص لا، ليش ترك المصدر الأول وأخذ المصدر الثاني؟ هذا مثل ما يذكر لكم في القرآن الكريم قال تعالى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف:١٤٣]، وفي الكهف: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ} [الكهف:٩٨]، **"دكًا ودكاء"**، مصدرين لفعل دكَ يدك دكًا ودكاءً، ليش هناك اختار دكًا وهنا اختار دكاءً؟ اختار **"دكًا"**، لأن الجبل مرة واحدة صار رماد، هناك **"دكاءً"**، لأن سد ذي القرنين لا ينهدم مرة واحدة فكل يوم يحفروه ويحفروه، فإذا جاء وعد الله انهد.

فالمصنف اختار كلمة مصدر الدعاء بدال مصدر الدعوة، لماذا؟ لأنه ينبغي أن يكون جراك الدعاء وتستمر فيه وما هو يوم أو يومين، **"باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله"**، و **"الشهادة"**، هذه الكلمة لها شروط، وهي سبعة شروط معروفة معلومة كما قال العلماء –رحمهم الله– وهو قول الحافظ بن حكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"سلم الوصول"**

وبشروطٍ سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًا وردت
العلم واليقين والقبولُ ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

" وبشروطٍ سبعة قد قيدت "، يعني: الشهادة، هذه سبعة شروط.

زاد بعض العلماء:

وبشروطٍ سبعة قد قيدت وفي نصوص الوحي حقًا وردت
العلم واليقين والقبولُ والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

ذكر بعض العلماء شرطًا ثامنًا: وهو الكفر بالطاغوت، قال:

وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله قد عُبد

لكن هذه الزيادة فيها نظر في نظر القاصر لأنها تغني الشروط السابقة.

ودائمًا أقول: الشهادة لا تُقبل عند أي عاقلٍ من العقلاء إلا بهذه الشروط، لا قاضي ولا حاكم ولا مفتي ولا أحد، والشهادة لا تسمى شهادة إلا عن علمٍ ويقين، هذه الأمور لا بد منها **"أن لا إله إلا الله"**، ولها ركنان: -

الركن الأول: النفي، **"لا إله"**، وهو السالب.

الركن الثاني: **"إلا الله"**، هذا الركن الثاني وهو الإثبات الموجب، فلا معبود حقٌّ على وجه الأرض إلا الله، لا معبود حقٌّ لا في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة إلا الله، لذلك **"لا إله"**، **"إله"**، اسم لا النافية والخبر محذوف تقديره حقٌّ **"لا إله حقٌّ إلا الله"**، كل الآلهة التي تعبد باطلة، الله المعبود الحق كما قال الله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج:٦٢].

أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب آية وحديثين: -

الآية: من سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر صفحة: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[يوسف:١٠٨]، إذًا أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني، ما وجه الشاهد ؟

وجه الشاهد: أن من علامات المتبعين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يدعون إلى الله، لأن أنا ومن اتبعني على وجه استشهاد المصنف: أن **"أنا"**، بدلٌ عن واو الجماعة **"أدعو"**، **"أدعو أنا"**، بدلًا عن واو الجماعة في أدعو، **"ومن اتبعني"**، بدلٌ عن واو الجماعة، أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني، {وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

وأما حديث ابن عباس: فوجه الشاهد فيه: البداءة بالتوحيد قبل كل شيء، ما تروح تقلهم الصدق الأمانة والله لو تروح للصين وتقلهم تعالى ألقي لكم محاضرة عن الأمانة يقول لك: أهلًا وسهلًا ومرحبًا، لكن قولهم: تعالوا أنا بلقي لكم محاضرة عن بطلان معبودكم بوذا يقبلون؟ والله ما يقبلون.

لو تروح أمريكا وتقولهم في أي مكان: أنا ألقي لكم محاضرة عن الصدق، يفرحون؟ لذلك أيها الأخوة القضية الأساسية هي البداءة بالتوحيد، لذلك الدعاة إلى الله ليسوا طلاب حكم ولا طلاب دنيا ولا طلاب مناصب، يطلبون تعبيد الناس لرب العالمين، هذا هو وجه الشاهد.

وأما حديث سهل بن سعد: ففيه بيان فضل الدعوة إلى التوحيد.

نجمع الثلاثة: الآية والحديثين، ايش صار عندنا؟ تأملوا معي: صار عندنا المتبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته يدعو إلى التوحيد ويبدأ بالتوحيد ويعرف فضل التوحيد فينشغل به.

المتن:

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه مسائل:-

الأولى: الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الشرح:

هذه المسألة خطيرة: بعض الناس يدعو إلى نفسه، يبي يصيير له جاه ومنصب الناس يحبون راسه يكريمونه أو يدعو إلى جماعته أو حزبه أو يدعو إلى منصب أو إلى قبيلة أو إلى عنصرية، فهذه مصائب الناس اليوم، أدعو إلى الله وما أدعو إلى غير الله.

المتن:

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الشرح:

البصيرة من الفرائض: أي أمر فرض عليك أيها الداعي، و"**البصيرة**"، معناها: العلم، {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف:١٠٨]، العلم والحكمة، العلم بما تدعو والعلم بكيف تدعو وهي الحكمة.

المتن:

الرابعة: من حسن التوحيد: أنه تنزيهًا لله تعالى عن المسبة.

الشرح:

والله هذه من قبلك أنك حينما تدعو الناس للتوحيد تنزه الله عن النقص، تقوله: تعالى يا أخي أنت تدعو الجيلاني وأنت تدعو البدوي وانت تدعو فلا وفلان، أيهما أحسن؟ تقول يا لله أحسن ولا يا جيلاني أحسن! إن كان فيه ذرة إيمان ما بيقول شيء ثاني إن كان فيه ذرة إيمان ما أبي أقول درهم، إن كان فيه ذرة إيمان وذرة عقل يقولك: يا الله أحسن، خلاص ما دام يا الله أحسن، لماذا تدعو غير الله؟ هذه هي معنى الكلمة اللي قال الله لنا أن نقولها للنصارى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ} [آل عمران:٦٤]، لا أنت تقول يا عسى ولا احنا نقول يا فلان ويا فلان،-نقول: يا الله.

المتن:

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة: وهي من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك.

الشرح:

لأنه قال: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:١٠٨].

المتن:

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الشرح:

خلافًا للأشعرية والماتريدية والمعتزلة، أول واجب عل المسلم شهادة التوحيد فإن كان يقوله قبل البلوغ فأول واجب عليه عند البلوغ الصلاة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة ما هو الشك ولا النظر ولا الاستدلال كما يقوله من يقوله من ِأهل الكلام.

المتن:

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: **"أن يوحدوا الله"**، هو معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الشرح:

نسأل الله السلامة والعافية، الإنسان قد يكون من أهل الكتاب عند كتاب لكن ما يعرف فضل التوحيد، يقولك من أهل الإسلام والقرآن في جيبه وما يعرف فضل التوحيد يقرأ: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف:٥]، يصلي في الناس وخلص صلاة و يقوم يقول: يا سيدي فلان أعوذ بالله، أنا رأيت هذا بأم عيني، إمام يخطب الجمعة ويصلي بالناس وبعد ما خلص وكل شيء كبير سن جاي يبي يقوم ينادي سيده ووليه، نسأل الله السلامة والعافية تحسرت على صلاتي وره.

المتن:

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة. الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

الشرح:

ولو كان المظلوم كافر.

المتن:

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «**لأعطين الراية**» إلخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله في عينيه علم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الشرح:

كنت في باكستان في أحد السنوات: قال رجل: إن الوهّابية ينكرون معجزات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنا كنت أتذكر هذه العبارة فقلت: الإمام محمد بن عبد الوهاب يقول: **"إن من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء ثم قال: قوله: «لأعطين الراية»، قال: فيه علمٌ من أعلام النبوة"**، هذا كلامه في كتاب التوحيد.

المتن:

الثانية والعشرون: فضائل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الشرح:

"شغلهم عن بشارة الفتح"، بمحبة الله، من هو هذا المحبوب لله؟ الله أكبر، قلوبهم معلقة بالله وما هي معلقة بالدنيا الفانية.

المتن:

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى.

الشرح:

خلافًا للجبرية والقدرية.

المتن:

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك».

الشرح:

على مهلك.

المتن:

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله: «(أخبرهم بما يجب عليهم».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

الشرح:

"الحلف على الفيتا"، بوب عليه البخاري في كتاب العلم، وهذا دليل على أن الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتهج نهج البخاري.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"**

وقول الله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء:٥٧].

وقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}، {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} [الزخرف:٢٦-٢٧].

وقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} [التوبة:٣١].

وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} [البقرة:١٦٥].

وفي (الصحيح) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عَزَّوَجَلَّ».

وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

الشرح:

مناسبة هذا الباب لما قبله: أنه لمّا أمر وبيّن أهمية الدعوة للتوحيد نسب أن يذكر ما هو التوحيد الذي أنت تدعو إليه؟ يجب أن تعرف ما هو التفسير لهذا التوحيد، لذلك قال: **"باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"**، ما تدعو إلى التوحيد وأن تقصد توحيد الخالقية، لا، أنت تدعو إلى توحيد العبادة، لذلك قال: **"باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"**.

معنى هذه الترجمة: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يبين: أن الإنسان الذي يدعو عليه أن يعرف وأن يفسر التوحيد الذي يدعو إليه الناس وأن لا يقول كلامًا مجملًا وأن هذا التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فالتوحيد هو **"لا إله إلا الله"**، و **"لا إله إلا الله"**، هو التوحيد.

أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذا الباب: أربع آيات وحديثًا واحدا:-

الِآية الِأولى: قوله جلا وعلا: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء:٥٧].

آية الأسراء، فيه بيان لتفسير التوحيد، كيف؟ أن التوحيد المقصود به هو من يدعو الله ويتوسل ويأتي بالقرب ليصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ فهو القريب، وأما من يتخذ الوسائل ومن يدعو غير الله ليقربه إلى الله فهذا خلاف التوحيد، آية: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}[الإسراء:٥٧]، على تفسيرين في الآية:-

التفسير الأول: أن المشركين يدعون غير الله، لماذا؟ {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ}، لماذا تعبدون الأصنام وعيسى وكذا؟ قالوا: نريد {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ}، فالله ينكر عليهم ويقول: {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}، تدعوني مباشرة ولا تدعو هؤلاءِ؟ هذا التفسير الأول.

وأما التفسير الثاني: أي أولئك الذين يدعون أنتم تدعون عيسى، عيسى والملائكة يبتغون والصالحون يبتغون يا ربي الوسيلة، فكيف أنتم تدعونهم وهم يدعون الله وهم أقرب إلى الله منكم لأنهم على التوحيد وأنتم على الشرك، هذه الآية تفسير التوحيد على كلا التفسيرين.

وأما آية: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف: ٢٧].

فيه بيان أن التوحيد لا يتم إلا بالبراءة من الشرك وِأهل الشرك، البراءة من الشرك قلبًا وعملًا تبتعد عنه، والبراءة من أهل الشرك تبين لهم أن ما تفعلونه شركٌ يؤدي إلى النار بصراحة وبدون مجاملة ما ينفع تقولهم أنتم على خير ونحن على خير، أي خير وهم على الشرك؟ أنت تخدعهم بهذا، تيجي عند المشرك وتطبطب على راسه وتقوله على خير ؟!، لا بد من إعلان البراءة وتبين أن الجنة مأوى الموحدين وأن النار مأوى المشركين.

أما آية سورة التوبة: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} [التوبة:٣١].

فهذه تفسر التوحيد من جهة أن من علامات التوحيد عدم طاعة الأحبار والرهبان وهو العلماء والعبّاد وعدم طاعتهم في التحليل والتحريم، وأن التحليل والتحريم حق الله عَزَّوَجَلَّ على ما بينه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما آية سورة البقرة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} [البقرة:١٦٥].

ففيه إشارة: إلى أن التوحيد المطلوب هو ذاك التوحيد الخالص الذي ليس معه شيء، المشرك يحب الله لكن حبه لله غير مقبول عند الله لأنه مشوب مع حب غير الله كحب الله، أما الموحد فيحب الله تعبدًا وخوفًا وتعظيمًا وتبجيلًا وتمجيدًا وحمدًا ولا يحب غير الله كحب الله، هذه الآيات تفسر التوحيد.

وأما حديث: «من قال: لا إله إلا الله وكفر»، فهذه تفسر معنى التوحيد، قول لا إله إلا الله، والكفر بما يعبد من دون الله.

المتن:

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيّنَها بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء، بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لادعائهم إياهم.

الشرح:

هما أطاعوا العلماء والعبّاد في التحليل والتحريم مثل ما ترون الآن، الذي يقوله البابا هذا هو الدين، يعني أضرب لكم مثال: في الديانة اليهودية جوازا يتزوج الرجل بما شاهدت وما عندهم عدد معين حتى ينقلون في العهد القديم أن سليمان تزوج بأكثر من ألف امرأة، شلون الآن في ألف ١٩٥٤ خرج علماء اليهود وقالوا: اليهودي ما يتزوج إلا واحد، إذًا غيروا الدين ولا ماغيره؟ غيروا الدين.

النصرانية: ما فيها التنصيص على الزواج من واحد، بل فيها التنصيص أن الرجل يتزوج ما يشاء، خرج البابا الكنسي وقال النصراني ما يتزوج إلا من واحد، إذًا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم مشرعين مع الله.

أما أهل الإسلام فيقولوا: العالم يُطاع فيما ليس فيه نص ولا لأ، العابد يقتضي به فيما لا يخالف الشرع، أما إذا قال العالم قولًا ويطلع عالم يقولك مثلًا: الربا حلال، فيه حد يطيعه من المسلمين؟ لا أحد يطيعه إلا من انتكست فطرته أو انخدع صح او لأ، يطلع من يزعم العلم ويقولك: الراقصة مجاهدة؟ فيه أحد

من العوام يصدقه؟ ما أحد يصدقه، فنحن نعلم هذا الدين عندنا، هذا يفسر التوحيد.

المتن:

ومنها قول الخليل (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) للكفار: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}،{إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}[الزخرف:٢٦-٢٧]. فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة: هي شهادة أن لا إله إلا الله. فقال: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف:٢٨].

ومنها: آية البقرة: في الكفار الذين قال الله فيهم: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧].

ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟

الشرح:

بعض المشركين اليوم يصرح يقول: لو خيرت بين حب الله وبين حب فلان لاخترت حب فلان، قاتلك الله والله ما قاله أبو جهل ولا فرعون، نسأل الله السلامة والعافية.

المتن:

ومنها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**» وهذا من أعظم ما يبيِّن معنى **"لا إله إلا الله"**، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا لمعرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيالها من مسألة ما أجلها، ويالها من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

الشرح:

هذه مسألة عظيمة: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكتفي بمجرد القول منه حتى يظهر الكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت ، هذه الأبواب الخمس هي تعتبر مقدمات، وما سيأتي من الأبواب هي إما بيان لنواقض التوحيد او لنواقصه أو بيان لمكملات التوحيد وواجباته.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا ولكم العلم النافع، الأسئلة إن شاء الله نجيب عليها في اللقاء القادم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، هذا هو المجلس الثاني من مجالس القراءة والتعليق على كتاب التوحيد، ونبدأ على بركة الله تعالى حيث وقفنا عند **"باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه"**.

المتن:

الحمد لله رب العالمينِ، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات يارب العالمين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– في **"كتاب التوحيد"**:

"باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه"

وقول الله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} [الزمر:٣٨].

عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه**»؟ قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**»، رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**» وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**».

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف:١٠٦].

الشرح:

قوله –رحمه الله– **"باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه"**، مناسبة هذه الأبواب والأبواب التي تأتي بعد: لبيان أنه لما تم التعريف بالتوحيد وفضله وتفسيره ناسب أن يذكر شيءٌ من نواقضه أو نواقصه، والشيء يظهر الحسن والضد.

مراد المصنف بهذا الباب: أن من الشرك **"الألف واللام"**، فيه الجنس، أي من جنس الشرك، لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

"الحلقة"، كل شيء مستدير سواء وضع على المصعم أو على العضد او على الرقبة أو على الظهر او على الفخذ او على الساق، و **"الخيط"**، معروف، **"ونحوهما"**، فشمل الحلقة إذا كانت من صفر أو من حديد، **"ونحوهما"**، شمل البلاستيك مثلاً شمل أوراق الشجر مثلًا وشمل الحرير مثلًا، **"لرفع البلاء أو دفعه"**، هذا بيان سبب اللبس، لماذا يلبس؟ لرفع البلاء، **"البلاء"**، المصيبة النازلة، **"أو دفعه"**، أي دفع البلاء من أن تنزل.

إذًا مراد المصنف من هذا الباب: بيان حكم هذا النوع من الملبوسات انتبهوا، بعض الأشياء قد تكون في أصلها مباح وتنقلب إلى محرم وتنقلب إِلى شرك بحسب نيات أصحابها، نضرب مثال: الآن لبس الحلقة والصفر يجوز للرجل أن يلبس خاتمًا من الفضة وهو حلقة، وللمرأة أن تلبس سوارًا في معصمها من الذهب او الفضة أو الماس و اي شيء ويجوز للمرأة أن تلبس خيطًا تتزين به من الزينة، إن لبست الخيط لأجل انها تظن أنها سبب في دفع البلاء او في رفع البلاء صار من الشرك الأصغر، إن ظنت أن الخيط بنفسه يرفع البلاء ويدفع البلاء فهذا شركٌ أكبر، هذا مراد المصنف –رحمه الله.

أورد تحت هذا الباب آية وثلاثة أحاديث: -

الآية: قوله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ} [الزمر:٣٨]، ووجه الشاهد فيه: {إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ}، استدل المصنف بعموم الآية على خصوص ما يعتقد فيه دفع الضر وجلب الخير، لأن الآية عن المدعوات من دون الله أيا كانت، {قُلْ أَفرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ}، أيًا كانت، {إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ}.

إذًا إذا قالوا: لا يمكن إلا بالله إذًا لماذا تعلق قلبك بغير الله، إن قال هذه أسباب فالأسباب منقسمة إلى قمسين: -

سببٌ شرعي: وهو ما ثبت بدلالة النص، سبب شرعيٌ وعقليٌ وطبعيٌ، هذا النوع الأول من الأسباب، هذا لا بأس به مثل علاج الشرع بالحجامة، والطبع

في الإنسان أنه إذا أخرج الدم يخف جسمه، والعقل يدل بالتجارب أن الحجامة مفيدة، سبب شرعي وعقلي وطبعي.

وإما أن يكون السبب شرعيًا ليس طبعيًا: مثل الرقى، الرقية لا يمكن أن يعلم بطبع الإنسان ما هو الذي يرقى به؟ لكن جاء الشرع بالرقية من القرآن والسنة والأدعية المباحة، هذا طبٌ لا يعلمه علماء الطب ما يدركونه، هذا سبب شرعي.

وإما أن يكون السبب عقليًا وطبعيًا فقط مباحًا، مثل كون الأطباء يعلمون أن هذا دواء لهذا، وهو مباحٌ في الأصل، إذا جاءنا شخص بتوهمات وتخيلات لا شرع يدل عليه ولا عقلٌ يدركه ولا طبعٌ يصححه هذا هو الذي يكون اعتقاد أنه سبب يكون شرك أصغر واعتقاد أنه نافعٌ بنفسه شركٌ أكبر.

إذًا {إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ}، لا أحد يستطيع أن ينفع ولا يضر إلا الله عَزَّوَجَلَّ، الأسباب الشرعية الله جعلها والأسباب الطبيعية الله جعلها وغير هذا ما يمكن، (ليش الخيط هذا ؟ قال: والله هذه سوار يباع في الصيدلية)، ما شهد به أهل الطب وإنما يتجارون به تجارة ما يجوز هذا.

ثم هنا قاعدة مهمة وهي: **"أن الأسباب الطبعية العقلية المنصوص عليها في الشرع منعه ليس لنا استخدامه"**، يعني مثلًا جاء في الشرع: «**تداووا ولا تداووا بحرام**»، لو جاءنا بالطبع والتجربة أن لحم الخنزير ينفع في كذا ما يجوز لنا أكله ولو كان الطبع يدل على ذلك، لو جاءنا بالطبع والعقل أن هذا السوار ينفع من

الروماتيزم ما دام الشرع نهى عن سوار النحاس ما يجوز لنا أن نلبسه خلاص انتهى، **"ما جعل الله دواء أمتي فيما حرم عليهم"**، فهذه مسألة مهمة لا بد أن ننتبه لها.

وأما وجه الشاهد من حديث عمران فهو واضح، قال: **"رأى رجلًا في يده حلقة من صفر"**، صفر النحاس، قال: «**ما هذه**»؟ ،**"قال: من الواهنة"**، **"الواهنة"**، مرضٌ يصيب العظم قريب من الروماتيزم، قال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**»، لماذا لا تزيدك إلا وهنًا؟ التعلق بما ليس سببًا لا شرعًا ولا عقلًا وطبعًا يعني التوهم، التعلق والنظر والالتفات إلى ما ليس بسبب لا شرعًا ولا عقلًا وطبعًا يعني التوهم، لذلك قال يعني الضعف يعني العجز، **"الوهن"**، يعني الضعف، «**لا يزيدك إلا وهنًا**»، إلا ضعفًا ومرضا.

قال: «**فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**».

إذًا فيه إشارة أن من ظن أن الحلقة من الصفر هي الدافعة هذا شرك أكبر، لذلك قال: «**لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**»

وفي حديث عقبة: وجه الشاهد فيه: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**»، المقصود بـ **"التميمة"**، هي الذي نسميها اليوم الحجب أو الحجاب، «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**»، دعاءٌ عليه، «**ومن تعلق ودعة**»، **"ودْعةً"**، بسكون الدال وهي: كما قال المصنف –رحمه الله-: **"الودعة خرزات من صدف البحر"**، مثل هذا لو أن إنسان حط عقيقة، ليش حطيت العقيقة؟ قال: هذا مفيد في الطاقة، هذا لا

يختلف الحكم فيه والباب واحد، لأن هذه الأسباب المتوهمة التي لا شرع يدل عليها ولا طبع عند علماء الطب يدل عليه هذا ما يجوز استخدامه كسبب.

مثل الإنسان الذي يأكل التراب؟ ليش تاكل التراب؟ قال: هذا يسد الجوع، من قالك يسد الجوع؟ خيالك؟ ما يجوز.

وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»، هل هو أطلق الشرك أكبر ولا أصغر؟ إن كان يعتقد أنه سبب أصغر وإن كان يعتقد أنه بنفسه ينفع ويضر أكبر.

وأما حديث حذيفة الذي رواه ابن ابي حاتم، ابن ابي حاتم إذا أُطلق فالمقصود به: في تفسيره: **"أنه رأى رجلًا"**، يعني حذيفة، **"في يده خيط من الحمى فقطعه"**، **"حمى"**، معروفة، ولا زال بعض الناس يعلق شيء من الحمى او من الصفار، مرض الصفار يصيب جسم الإنسان يكون فيه خلة دم يصبح عينه من تحت أصفر ووجه الإنسان أصفر، أو بعض الناس يعلق خيط لأن في عينه يطلع حبة، هذا كله داخل في هذا الحديث، **"رأى رجلًا في يده خيطٌ من الحمى فقطعه، وتلا قوله"**: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف:١٠٦].

وجه الشاهد: أن هذا الرجل المعلِق لهذا الخيط جمع بين الإيمان والشرك، إيمانه بالله وشركه بالتعلق بهذه الأسباب التي ليست مشروعة.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

فيه مسائل: الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الشرح:

وهذا لا خلاف فيه: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، يعني جنس الشرك الأصغر اكبر من الكبائر، وليس المقصود أن كل فردٍ من أفراد الشرك الاصغر هو أكبر من الكبائر، فيه فرق بين المسألتين: جنس الشرك الأصغر أكبر من جنس الكبائر عند الله عَزَّوَجَلَّ ولكن هذا لا يعني أن كل فردٍ من أفراد الشرك الأصغر هو أكبر أنواع وأفراد الكبائر.

لما نقول نحن: جنس الملائكة أفضل من جنس الأدميين، مو معناه: أن كل ملك فهو أفضل من كل ملك مو معناه هذا الكلام، فرق بين المسألتين.

المتن:

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الشرح:

لماذا لم يعذر الجهالة؟ الجهالة يُعذر بها الإنسان، لكن هنا لم يعذر لأنه في مكانٍ يمكنه رفع الجهل يسأل قبل ما يعمل العمل.

المتن:

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: «لا تزيدك إلا وهنًا».

الشرح:

وهذه قاعدة: **"كل ما ليس بسببٍ شرعًا وطبعًا فإن التعلق به لا يزيد في العاجل إلا مضرةً"**.

المتن:

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئًا وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في آية البقرة.

الشرح:

لا شك أن الصحابة يستدلون بالآيات التي وردت في الشرك الأكبر على الأصغر، لماذا؟ لأن الآيات التي في الشرك الأكبر عامة، والشرك الأصغر من جنس الشرك الأكبر لكنها دونها في المرتبة والأحكام المترتبة، فيجوز الاستدلال بها، مثل أن لو جاء إنسان ويحذر الإنسان من الشرك الأصغر يجوز

له أن يقول: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨]، الآية تدل على عظمة الشرك، فاتق الله واترك الشرك.

المتن:

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة، أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له، أي ترك الله له.

الشرح:

من علق تميمة ودعةً عن العين هناك أسباب شرعية تدفع العين وإذا وقع العين هناك أسباب شرعية وطبعية لعلاج العين، ما يجوز التعلق بالتوهمات.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في الرقي والتمائم

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [رواه أحمد وأبو داود].

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلق شيئًا وكل إليه». [رواه أحمد والترمذي].

التمائم: شيء يعلق على الأولاد عن العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى الإمام أحمد عن رويفع أنه قال: قال لي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه».

وعن سعيد بن جبير أنه قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» [رواه وكيع].

وله عن إبراهيم أنه قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

الشرح:

مناسبة هذا الباب: أن الرقى والتمائم حكمهما حكم الخيط من الحمى والحلقة من حيث التفصيل، الأصل في الرقى: أنه جائز إذا كان بكتاب الله وسنة

رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد تكون هناك رقى شركية شرك أكبر، وقد تكون هناك رقى شركية شرك أصغر.

نفس الحكم في التمائم: التمائم إذا كان من القرآن لم يقل أحد أنه شرك وإنما اختلفوا في جوازه وعدده، وإذا كانت التمائم من غير القرآن واعتقد أنها أسباب فهذا شركٌ أصغر، وإذا اعتقد أنها تنفع وتضر فهذا شركٌ أكبر.

إذًا المناسبة واضحة: قوله: **"باب ما جاء في الرقى والتمائم"**، **"الرقى"**، جمع رقية، عرفها المصنف بقوله: هي **"العزائم"**، يعني قول الإنسان وهو يقرأ عزمت عليك إلا خرجت، هذا الباب سميت بالعزائم، حينما يرقي ممسوسًا أو مسحورًا يقرأ آيات ويطلب إذا كان الجن يطلب منه أن يخرج وإذا لم يكن شيء يطلب من الله ويعزم المسألة ويطلب من الله بعزيمة صادقة أن يعافيه الله.

وأما **"التمائم"**، فجمع تميمة، وعرفها المصنف –رحمه الله–: **"شيءٌ يعلق عن الأولاد عن العين"**، يعلق عن الأولاد فيها شيء مكتوب أو ما فيها شيء مكتوب فكله يسمى تمائم.

أورد المصنف في هذا الباب: أربعة أحاديث وأثرين: –

أما حديث ابن بشر: فوجه الشاهد فيه: «أن لا يبقين في رقبة بعير قلادةٌ من وتر أو قلادةٌ إلا قطعت»، قد يقول قائل: يا أخي وضع القلادة زينة و كان من عادة العرب أنهم يعلقون قلادة الوتر ويعلقون القلائد لأجل دفع العين، فجاء الشرع

بنهي ذلك عن ذلك سدًا لباب ذرائع الشرك، فلما تمكن التوحيد هل يقال: يجوز تعليق القلائد على الجمال وتعليق الأوتار عليها؟

الجواب: لا، لأن هذا النهي لأحياء التوحيد ومنع الوسائل المؤدية للشرك، وإذا تقرر ذلك فالأمر الأصل فيه: وضع القلائد على الجمال والخيول الحل، لأن هذه الأوتار ماذا تفعل لتدفع عينًا؟ والله شيء غريب جدًا عند الناس وعقائد (يحط حذاء في سيارته يعلق حذاء في سيارته ويظن الحذاء تدفع العين)، أين عقله؟ الظاهر وضع عقله تحت الحذاء وعلق الحذاء.

والآخر يحط الكف يظن إن الكف تدفع العين صورة الكف، والآخر يضع عين زرقاء، سبحان الله العظيم شيء غريب جدًا، يقول: هذه تلفت عين الناظر، والله اللي يبي يحسدك ويعطيك عين هذا شيء عادي عنده، وشايف ألف مرة، ايش اللي بيصده؟!

وأما حديث ابن مسعود: فوجه الشاهد فيه: عموم النهي «إن الرقى»، عام ولا خاص؟ عام، «والتمائم والتولة شركٌ»، التولة عرفها المصنف، والرقى والتمائم كذلك.

طبعًا الرقية: المصنف -رحمه الله- بيّن أن الدليل خصّ الرقية الشرعية منطوقًا وفعلًا، منطوقًا كما جاء في صحيح مسلم: أن قومًا قالوا يا رسول الله: إنا كنا نرقي وإنك نهيت عن الرقية، فقال: «أعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم

يكن شركا»، وفعلًا «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرقي الحسن والحسين برقى، فلما نزلت المعوذتان كان يرقيهما بهما».

وأما التمائم كما قال المصنف: بعض السلف رخص فيه وبعضه لم يرخص، والصواب: مع من لم يرخص فيه ومنهم قول ابن مسعود، لذلك أورد أثر تلامذة ابن مسعود في آخر الباب قال: كانوا يكرهون التمائم من القرآن ومن غير القرآن، **"كانوا"**، يعني: اصحاب ابن مسعود يقولون، لماذا الحق معهم؟ لعدة أسباب: -

الأول: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن التمائم ولم يأتي ما يدل على جوازه.

ثانيًا: أنك إذا جوزت التمائم من القرآن فهو وسيلة أنك تدخل بالقرآن أماكن نجسة.

ثالثًا: أنك أنت ربما يصيبك الجنابة فتحمل القرآن وأنت على جنابة وغير طهارة.

رابعًا: أنك إذا جوزت التمائم من القرآن ربما يكون وسيلة إلى الشرك، فهم يقولون: نكتب القرآن، وإذا فتحت وجدت مع القرآن حسابات ونقوش وأرقام وحساب وشيء آخر.

هذه أربعة أسباب: لأجلها ينبغي الامتناع عن التمائم حتى لو كان من القرآن.

وأما التولة: فهذا نوعٌ من أنواع السحر، وهو ما يسمونه سحر التحبيب عكس سحر التنفير، أعاذنا الله وإياكم وحفظنا الله وإياكم وذرياتنا وأزواجنا.

وأما حديث عبد الله بن عكيم: قال: «من تعلق شيئًا وكل إليه».

إذًا يجب على الإنسان أن يعلق قلبه بالله ولا يعلق قلبه بالمعلقات.

وأرود –رحمه الله– حديث رويفع قال: «يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته»، **"عقد لحيته"**، فُسر بتفسيرين: –

التفسير الأول: أنه يعقدها يربطها حتى لا تطول، يعني: يمسكها كذا ثم يربطها كذا حتى لا تطول مثل ما يفعل السيخ وهي طائفة من الطوائف في الهند، أو يربطها لطولها فيجعل منها ظفائر، كل هذا يدخل في عموم: «يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته».

والتفسير الثاني: أنه يدخل فيمن يكون شعره مسترسلًا فيجعده، يلفلفه لكي يصير على شكل تجاعيد وما يكون مسترسل.

وعلى كل حال: الأول هو المشهور.

قال: «أو تقلد وترًا»، **"تقلد"**، يعني وضع قلادة من الوتر على رقبة نفسه أو على رقبة بعيره، هذا كله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريء منه، «أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه»، لماذا الاستنجاء برجيع الدابة والعظم ؟

رجيع الدواب: طعام دواب الجن، والعظم: طعام إخواننا الجن.

وأما أثر سعيد بن جبير: فهذا له حكم المرفوع، لماذا له حكم المرفوع؟ سعيد بن جبير كيف يدرك أن قطع التميمة من الإنسان كان كعدل رقبة؟ بعض العلماء يقول: أن هذا له حكم المرفوع لأن هذا لا يعلم إلا بنص، ولكن الصواب: أنه

ليس له حكم المرفوع لِأن العالم ربما يجتهد مثل ما أنت إذا خلصت إنسان من الشرك فكأنك أعتقته من العبودية لغير الله إلى حرية الله عبودية الله عَزَّوَجَلَّ، ما في بأس، ولكن فيه دلالة: على فضل قطع التمائم.

وأما أثر إبراهيم فسرناه: كانوا يعني أصحاب بن مسعود يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

تنبيه: جاء عن عائشة أم المؤمنين كما في السنن للبيهقي: وعن عبد الله بن عمرو بن العاص في بعض الأثار أنهما كان يعلقان التمائم على رقاب الصبيان، لكن الأسانيد ضعيفة جدًا

المتن:

فيه مسائل: الأولى: تفسير الرقي والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟

الشرح:

هذا إنصاف الإمام، مع أنه يرجح أنه لا يجوز لكنه يذكر الخلاف.

المتن:

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين، من ذلك.

الشرح:

وليس المقصود عين الدواب، لو علقت أي شيء على البيت على السيارة أو على نفسك أو على أولادك لأجل العين بل لو علقت المصحف لأجل العين كان من الشرك ولا يجوز.

المتن:

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال –رحمه الله تعالى-: **"باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما"**

وقول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} [النجم:١٩].

عن أبي واقد الليثي، أنه قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَل

لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، لتركبن سنن من كان قبلكم».

[رواه الترمذي وصححه].

الشرح:

هذا الباب مناسبته لما سبق: لما بين حكم المعلقات بيّن الآن حكم المتمسحات أو حكم المتبركات، ما حكم من يتبرك بالشجر والحجر؟ فهذه مناسبة دقيقة، وأيضًا سبب آخر للمناسبة: وهو أن الحكم واحد، والتفصيل بينهما واحد: فإن التبرك بالشجر أو الحجر إما أن يكون شركًا أصغر أو شركًا أكبر، مثل ما سبق معنا في لبس الحلقة والخيط.

قوله –رحمه الله–: **"باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما"**، ولم يذكر الحكم لأنه ينقسم إلى قسمين، التبرك بالشجر والحجر ينقسم إلى قسمين: -

قسمٌ منه يكون ممنوعًا منعًا يصل إلى الشرك الأصغر.

وقسمٌ منه يكون ممنوعًا يصل إلى الشرك الأكبر.

متى يكون التبرك بالشجر والحجر شركًا أصغر؟ إذا ظن أنه سبب للبركة، ومتى يكون التبرك بالشجرة والحجر شركًا أكبر؟ إذا ظن النفع فيهما **"باب من تبرك بشجر أو حجر"**، هكذا في بعض النسخ بدون التاء في الموضعين، وفي بعض النسخ: **"باب من تبكر بشجرة أو حجر"**.

ومعنى التبرك؟ التبرك: طلب الزيادة والنماء وثبوت الخير، سبحان من يطمس على قلوب من شاء وبصائر من شاء، كيف للشجر أو للحجر أن يثبت خيرًا أو

يجلب خيرًا أو ينمي خيرًا؟ لكن عقول المشركين شيءٌ عجب تجد أجلكم الله: الحمار لا يتمسح بالشجر إلا احتكاكًا لجلدة ولا يتسمح بالحجر إلا تتطبيبًا لجربه، وهذا رجل عاقل وعنده عقل بزعمه يتمسح بالشجر والحجر ويطلب الخير والنماء والبركة.

أورد المصنف-رحمه الله- تحت هذا الباب: ثلاث آيات من سورة النجم، وحديثًا واحد: -

الآية: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} [النجم:١٩]، **"اللات"**، رجلٌ كان يلت السويق ويكسر الخبز ويضع عليه السويق للحجاج، ولذلك سُمي باللات، أو قيل: اشتق اسمه من الله وهذه من اشتقاقات الشركية والإلحاد في أسماء الله.

"اللات"، رجل صالح، وأما **"العزى"**، فهي شجرةٌ كانت بين الطائف وبين مكة من جهة عرفات وكان لهم بيتٌ عندهم يتبركون بهذه الشجرة ويزعمون أنها نافعة واشتقوا لها اسم من أسماء الله العزيز.

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}، {وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى} [النجم:٢٠]، **"مناة"**، اسم صنم مصنوع من الحجر، **"اللات"**، اسم انسان، و **"العزى"**، اسم شجرة، و **"المناة"**، اسم حجر صنم من حجر نحتوه كان في المشلل بين المدينة ومكة، لذلك قال الله عنه:}، {وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى} [النجم:٢٠]، **"الأخرى"**، يعني: البعيدة عن مكة.

ماذا تنفع هذه الأشياء؟ أفرأيتم هذه ما نفعها؟ إنسان ميت شجرة من الجمادات وحجر من الجماد، كيف ينفع؟ قد يقول قائل: أليس الحجر الأسود ينفع ويضر؟ نقول: لا، الحجر الأسود لا ينفع ولا يضر، إنما الذي ينفع ويضر هو اتباعك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال عمر: **"والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله قبلك ما قبلتك"**.

وما يروى أن عليّ قال: **"بلى إنه يضر وينفع، إن له لسان وشفتين يشهد لكل"**، فهذه الرواية لا تصح، ثم لو صحت فليست هذه مضرة لأن شهادة الشهود للإنسان أو على الإنسان ليست هي المضرة، الضرر هو عمل الانسان، فإن شهد لك بالخير لأنك فعلت الخير وإن شهد لك بالشر لأنك فعلت الشر، وما شاهدته إلا دليل.

لذلك أيه الاخوة: يجب على الإنسان أن يعتقد أنه لا وثنية في الإسلام وما فيه تمسح بالأحجار والأشجار في دين الله عَزَّوَجَلَّ، هذه من اعتقادات المشركين من الهندوس، وأهل الصليب يتمسحون بصلبانهم وما هي موجودة عند أهل الإسلام، غريب جدًا تجد مسلم يتمسح بحجر أو شجر أو نحوهما من الحديد أوالنحاس أو الجبال أو الغيران أو القبور فهذا موجود.

أورد المصنف فيه حديث ابي واقد: والشاهد فيه قوله: **"وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم"**، فيه دلالة أن العكوف في غير المساجد من صفة المشركين، **"ينوطون"**، أي بمعني: يعلقون، ناط الشيء

بالشيء: يعني علقه، **"يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"**، **"اجعل لنا ذات أنواط"**، يعني: اطلب من الله أن يجعل البركة في هذه الشجرة نعلق فيها أسلحتنا فتنتقل البركات من الشجرة إلى أسلحتنا فننتصر.

إذًا اعتقدوا النفع والضر فيها ولا سبب؟ طلبوا من الله أن يجعل الشجرة سببًا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، هم قالوا: اجعل لنا معبودًا في الأرض وهؤلاء ما قالوا معبود في الأرض قالوا: اجعل لنا شجرة نتبرك بها، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستدل بالنهي عن الشرك الأصغر بآية وردت في الشرك الأكبر.

«لتركبن سنن من كان قبلكم»، **"سنن"**، أي طريقة وسبل من كان قبلكم، **"السنن"**، هي الطرق، جمع: طرق وليس له مفردٌ من لفظه وأما السنة والسنن فالسنة: معناها الهدي ويطلق على الخير.

المتن:

قال –رحمه الله تعالى–:

فيه مسائل: الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم»، فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الشرح:

اليوم يرون الشرك الأكبر يقول: لا لا ما تفرق المسلمين ولا تذكر التوحيد، التوحيد يجمع المسلمين، والله لا ينفع أنك تجمع صورة الناس وقلوبهم شتى، التوحيد هو الجامع والسنة هي الجامعة.

المتن:

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا﴾.

التاسعة: أن نفي هذا معنى **"لا إله إلا الله"**، مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أن غيرهم لا يجهله ذلك.

الشرح:

أيضًا الشرك في أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بذلك، ما قال لهم يله اشهدوا لا إله إلا الله مرة ثانية، يعني فيه دلالة: إن الشرك الأصغر لا يرتد صاحبه، وفيه دلالة على أن الإنسان إذا قال الشيء ولم يفعله مستفهمًا لا يتعلق به حكم، فرق بين مقالة الشيء مستفهمًا وبين مقالة الشيء مقررا، هم طلبوا ذلك الشيء مستفهمين ولم يطلبوا ذلك مقرين.

المتن:

الثالثة عشرة: ذكر التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

الشرح:

خلافًا لمن يصفق عن التعجب، السنة هي التكبير عند التعجب.

المتن:

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

الشرح:

ما وجه سد الذرائع؟ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يجعل البركة على الأسلحة بأي سبيل وبأي طريقة، لكن الله لم يفعل ذلك، وأمر نبيه أن يقول هذه المقالة العظيمة حتى يسد الذرائع المفضية إلى الشرك، وهنا انتبه: **"بركة كل شيء بحسبه فإن جاوزته وقعت فيما وقع فيه أهل الشرك"** ، انتبه الله عَزَّوَجَلَّ قال

عن المطر: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا}[ق:٩]، بركته مطهر وطاهر تشرب وتغسل وما هو بركته إنك تأخذه تتمسح فيه.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ماء زمزم: «ماءٌ مبارك شفاء سقم وطعام طعم»، إذا هذا وجه البركة فيه، عندك آلام في العين تحطه في عينك ومو معنى البركة إنك تقول والله هذا ما دام موجود عندي في البيت فالشر ما يجيني، مَنْ يفهم هذا الفهم السقيم؟ بركة العالم أن يعلمك وبركة الصالح أن يدعو لك، مو بركة الصالح تتمسح فيه، هذه طريقة أهل الشرك.

المتن:

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله: «إنها السنن».

الثامنة عشرة: أن هذا عَلم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

الشرح:

"انه لنا"، لماذا لنا؟ لماذا الله ذكر لنا ذلك؟ حتى نحذر ولأن ذلك واقعٌ في الأمة لا محالة، فيجب ألا نكون منهم.

المتن:

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما (من ربك)؟ فواضح، وأما (من نبيك)؟ فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما (ما دينك)؟ فمن قولهم: (اجعل لنا إلهًا) إلخ.

الشرح:

متقرر عندهم: أن العبادات مبناها على الأمر، لأنهم سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه عبادة والتبرك عبادة، لازم فيه أمر وما فيه أمر ما يصير، لا يمكنهم أن يتبركوا بشيء ليس فيه أمر ولا بد فيه من الأمر، قلنا قبل قليل في درس أصول الفقه: أن العبادات الأصل فيها الحذر حتى يأتي الأمر، وفي هذا دلالة على مسائل القبر: أما (من ربك)؟ فواضح، لأن الآمر هو الله، تعبد من؟ الله، بأمر من؟ الله.

وأما (من نبيك)؟ فمن إخباره بأنباء الغيب، هو الذي يخبرك بالغيب، كيف تتعبد الله؟ وأما (ما دينك)؟ فمن قولهم: (اجعل لنا إلهًا)، إذًا **"اجعل لنا إلهًا"**، يعني: اجعل لنا دينًا نتأله به ربنا.

المتن:

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: ونحن حدثاء عهد بكفر.

الشرح:

سنة أهل الكتاب مذمومة إلا ما له أصل ودليل عندنا في كتابنا، وما ليس له أصل ودليل في كتابنا فإن كان في كتابنا ما ينفيه فوجب نفيه وإن لم يكن في كتابنا ما ينفيه ولا ما يثبته فهذا يُترك ولا يحدّث به ولا يُكذّب ولا يعمل به.

أما المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، إنسان أمريكي أسلم ما يصير على طول أسلم إصير داعية، لماذا؟ لأن في قلبه أشياء معلقة ولا بد من طلب العلم، رجل كان مغنيًّا ثم استقام ما يصير إصير داعية لازم يطلب العلم ويخرج أشياء من قلبه، ما ضلال الناس إلا بسبب هذا أنه ينتقل مباشرة من الكفر للإسلام ويصبح داعية، من الفجور إلى الاستقامة الظاهره يصبح داعية، كيف هذا؟ ما يصير، هذا سبب فساد كثير من أحوال المسلمين، نسأل الله أن يهدينا والمسلمين.

المتن:

ثم قال –رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في الذبح لغير الله"

وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، {لا شَرِيكَ لَهُ} [الأنعام:١٦٣].

وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر:٢]

عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن ووالديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض» [رواه مسلم].

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلمقال : «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ، فضربوا عنقه فدخل الجنة» [رواه أحمد].

الشرح:

قوله: **"باب ما جاء في الذبح لغير الله"**، المناسبة: أنه لما ذكر المتبركات غالبًا الناس يتقربون إلى ما يُتبرك به، وأعظم ما يتقربون إلى المتبركات هو الذبح، فناسب أن يذكره بعد ذكر المتبركات، وأيضًا: أن هذا ناقض من نواقض الإسلام وهو الذبح لغير الله تعالى.

قوله: **"باب ما جاء في الذبح لغير الله "، "الذبح"**، المقصود به: إنهار الدم على وجه التقرب لغير الله سواءً كان بالذبح سواء كان بالعقر سواءً كان بالنحر أو بأي طريقة أو بالقتل، إذا كان المقصود: هو إنه انهار الدم تقربًا لغير الله فهذا الحكم هو المراد، ومقصود **"باب ما جاء في الذبح لغير الله"**، أي: أنه من

الشرك الأكبر، الذبح لغير الله لا يتصور فيه التقسيم، كله شركٌ أكبر، الملك ملك الله عَزَّوَجَلَّ والبهائم ملك الله فكيف تذبحها لغير الله، فقد يقول قائل: احنا نذبح لِلأكل هل قصدت التقرب إلى أهلك بإنهار الدم ؟ مين المجنون اللي يقول هذا الشيء؟ يقول: أنا ذبحت لضيفي هل قصدت أن تتقرب إلى ضيفك باللحم الذي قدمته وطبخته ولا بالدم؟ {لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} [الحج:٣٧]، لكن الذبح لله حينما انت تذبح لله تتقرب إلى الله بإنهار الدم: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر:٢].

ولذلك أيها الأخوة: الذبح لغير الله شركٌ أكبر مطلقًا، وقد نقل الشيخ سليمان في **"تيسير العزيز الحميد"**، كما سيأتي إن شاء الله معنا في الدورة التأصيلية الثالثة حينما نقرأ **"كتاب تيسير العزيز"**: **"أنه ذكر اتفاق علماء ما وراء النهرين: أنّ ما يذبح للأمراء حينما يقدمون لمجرد مرورهم أن هذا من الذبح لغير الله"**، لماذا؟ لأنهم قصدوا أن يروهم وأنهم يعظمونهم بإنهار الدم، يقولك: أنا أتحمد له على السلامة، قوله: أنت كذاب فلو أردت أن تتحمد له بالسلامة كنت ذبحته في المسلخ ورحت وزعت لحمه، أنت تبي توريه أنك قاعد تنحر له، هو يمر مني وانت قاعد تذبح، هذا أمر خطير أيها الأخوة ونبّه عليه الشيخ ابن باز-رحمه الله- وغيره من أهل العلم.

أورد المصنف تحت هذا الباب: آيتين وحديثين: -

الآية: قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي}، هذا هو وجه الشاهد **"ونسكي"**، على أحد التفسيرين في النسك: أي ذبحي، والتفسير الثاني: أن النسك أعم من الذبح وهو مناسك الحج أو مناسك التعبد، فمناسك الحج يدخل فيه النحر ومناسك التعبد يدخل فيه النحر، كله لله.

وفي الآية لفتة عجيبة جدًا: فيه أمران شرعيان مقابل أمرين كونيين: -

"الصلاة والنسك"، أمر شرعي منك، تأله، تعبد.

"المحيا والممات"، فعل الرب من الربوبية، مقابل ربوبيته ينبغي عليك التألم والتعب.

وأما قوله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر:٢]، فالشاهد فيه: وانحر لربك، وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه، **"وانحر لربك"**، حُذف المفعول لأجله، **"لربك"**، اللام حرف جر و**"ربك"**، مجرور به، ودلّ على التخصيص: **"فصلي لربك"**، تصلي لله وما تصلي لغير الله، كذلك لا يجوز أن تنحر لغير الله، بابهما واحد.

وأما حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن ووالديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض» [رواه مسلم].

وأما حديث عليّ: فالشاهد فيه: لعن الله من ذبح لغير الله.

وحديث: «لعن الله من لعن والديه مباشرةً أو تسببًا»، لذلك جاء في الحديث: قالوا: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه»، «لعن الله من أوى محدثًا»، فُسر بتفسيرين كلا التفسيرين صحيحان: -

الأول: **"لعن الله من أوى محدثًا"**، أي مغيرًا دين الله عَزَّوَجَلَّ، المبتدع اتسوي له اقامه وتطلبه وتجيبه ويغير دين الله عَزَّوَجَلَّ، أو من جماعتك تتستر عليه، ما يجوز هذا، **"لعن الله من آوى محدثًا"**، أي: مغيرًا لدين الله.

التفسير الثاني: **"لعن الله من أوى محدثًا"**، أي: صاحب دمٍ وجنايةٍ، تعرف إن فلان قتل فلان وتروح تغير التحقيق إن ما قتل، أنت يشملك هذا اللعن، فلان صدم فلان بحادث سيارة وأنت تعلم أنه ظالم، أجيب واسطة تغير التقارير كلها تدخل في هذا، فلا سرق وتروح تسرق ملفه من المغفر علشان ما أحد يعرف فتدخل في هذا.

هذا المعنى صحيح والمعنى الأول صحيح، **"لعن الله من غير منار الأرض"**، **"منار الأرض"**، يعني حدود الأرض، وقيل **"منار الأرض"**، أي: أنوار الأرض، نور الكتاب والسنة يغيرهما بالذوق والوجد والمنطق والفلسفة، كل هذه تفاسير صحيحة.

وأما حديث طارق بن شهاب: فوجه الشاهد فيه: أن الأول قرّب ذبابًا، فخلوا سبيله فمات فدخل النار، هذا وجه الشاهد فيه.

المتن:

قال-رحمه الله-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير (إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي).

الثانية: تفسير (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ).

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثًا وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله فيلتجيء إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك في الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيّن، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الشرح:

يعني: أهل السنة يفرقون بين لعن المعين ولعن العموم، لعن العموم: كقولنا: **"لعن الله من ذبح لغير الله"، "لعن الله من غير منار الأرض"، "لعن الله أهل البدع"**، أما تشوف واحد من أهل البدع بعينه ما يجوز تلعنه، هذا المقصود.

لعن الله المتبرجات، شفت متبرجة بعينها ما يجوز تلعنها، فأهل السنة يفرقون في اللعن بين المعين وبين العموم، يجوز في العموم بالأوصاف والعموم في الأعيان ما لا يجوز في المعينين من الأشخاص.

المتن:

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

طبعًا هذا من رواية طارق بن شهاب صحابيّ صغير، قيل: أنه لم يسمعه من رسول الله وسمعه من سلمان، ما يضر فمراسيل الصحابة كلها في حكم الموصول.

المتن:

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم.

الشرح:

هنا قد يقول قائل: كان مُكره، نقول: لا، فيه فرق بين الإكراه وبين غير الإكراه، كان يمكن يقوله أنا ما أبي أقرب برجع من حيث أتيت، مثل إنسان الحين رايح فرنسا ووصل المطار قالوا له: انت عندك تأشيرة مانتا داخل لين تلبس صليب لين تعتقد أنه ثالث ثلاثة، ما يجوز أنت تقف وتقوله: طيب أنا بأرجع.

ففيه فرق بين الإكراه الملجيء الذي به لا يكفر صاحبه إذا قال الكفر أو عمل الكفر، وبين الإكراه غير الملجيء، هذا الذي فرّق فيه الإمام، هنا قال: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شر، يعني استهان بالموضوع، فرق بين الأمرين.

متى يجوز للإنسان أن يفعل الكفر أو يقول الكفر؟ إذا وقع عليه إكراه مُلجيء مع أن الأفضل هو سره (٥٠:٥٨)، والإكراه الملجيء أن يلحقه ضررٌ في عينه أو في نفسه أو في أهله أو في عرضه.

المتن:

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر.

الشرح:

لأن العمل القلبي هل يقدرون عليه؟ ما يقدرون، قالوا له: قرب ذباب ولا نبي نقتلك، فاختار القتل ولم يختار الفك، فإن قال قائل: هذا دليل أن الأول كان مكره إكراه ملجيء قلنا: فعله استهتارًا واستهزاءً لو أنه فعله وهو خائف وهو وجل من الله ما ترتب عليه هذا الأمر.

المتن:

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافرًا لم يقل: (دخل النار في ذباب).

الشرح:

مسلمٌ في الأصل يعني، لأنه لو كان كافر أصلًا ما فيه فائدة من قولنا: **"دخل النار في ذبابة"**، لو كان كافر أصلي ما يُقال **"دخل النار في ذباب"**، دخل النار

لأنه كافر، فلما قال: **"دخل النار في ذباب"**، علمنا: أنه كان مسلمًا في الأصل وحصل له الردة بسبب هذا الفعل الشركي.

المتن:

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

قال –رحمه الله تعالى–:

"باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله"

وقول الله تعالى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} [التوبة:١٠٨]،

عن ثابت بن الضحاك رضي الله تعالى عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟ قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم»؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» [رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما].

الشرح:

مناسبة هذا الباب لما قبله ظاهر: لما ذكر الذبح لغير الله وأنه شرك ناسب أن يذكر حكم ذبح المسلم في مكان يُذبح فيه لغير الله، مناسبة ظاهرة.

وقوله: **"باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله"**، أي لا يذبح لله عَزَّوَجَلَّ بمكانٍ وهذا المكان يُذبح فيه لغير الله، مثال: لو كان هناك معبد هذا المعبد يُذبح فيه لبوذا ما يصير للمسلمين أن يأتون عند هذا المعبد ويذبحون فيه ولو كان نيتهم الله، لكن هذا ليس شركًا وإنما هذه بدعة، وفيه تلّبس بأوصاف المشركين مكانيًا.

والمسلم يجب عليه أن يتمايز عن المشركين في أفعاله وفي الزمان والمكان، فجاءت أعياد الإسلام متمايزة وعبادات المسلمين متمايزة عن أماكن عبادات الكافرين، صور عبادات المسلمين مختلفة عن صور عبادات المشركين، لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.

شيءٌ عجب: إذا كان لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، ماذا نقول للي يروحون بلاد المشركين أصلًا؟ يقول لك: رايح سياحة؟ شلون تروح سياحة في بلاد يتقرب فيه لغير الله؟ أنت لو كان نيتك التقرب إلى الله ما جاز أنك تروح هناك، فكيف وأنت تفعل المباح في بلاد الكفر والشرك، هذا امر عجب.

أورد المصنف-رحمه الله- تحت هذا الباب: آية وحديثا: -

الآية: قوله تعالى: {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} [التوبة:١٠٨]، وهذا معروف انها نزلت في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الضرار وهو مسجدٌ بناه المنافقون

في بني عمر بن عوف قريب من مسجد قباء هذه الموجودة الآن، وأرادوا تفرقة أهل المسلمين في قباء حتى يزينوا باطلهم فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي في هذا المكان، الظاهر هو مسجد مثل ما يقولون هذا معبد وهذا معبد هذا مكان عبادة وهذا مكان عبادة، نقول: شتان بين مكانٍ يعبد فيه الله وحده: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا}[الجن:١٨]، وبين مكانٍ يعبد فيه غير الله.

فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أن يصلي جذبه عمر فأنزل الله: {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ}، الذي هو مسجد قباء، {أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة:١٠٨]، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم من هدم المسجد هذا.

لما الرسول يروح يصلي هناك يصلي لمن؟ قطعًا لله يقينًا لا مرية فيه ومع ذلك نهاه الله، وقد يقول قائل: ما حكم الصلاة في الكنيسة؟ الصلاة في الكنيسة إذا لم يكن فيها صلبان ولم يكن فيها صور يجوز بشرطٍ واحد غير الصلبان والصور، ما هو هذا الشرط؟ ألا يكون في وقت عبادتهم.

قد يقول قائل الآن: هنا جوزت إذا كان في وقت غير وقت عبادتهم، هل يجوز للإنسان أن يذبح في مكان يذبح فيه لغير الله في غير هذا الوقت؟ الجواب: لا يجوز، لأن الصلاة صورتها مختلفة عن عبادة النصارى، أما الذبح فصورتك

مشابهة لنفس الذبح الذي هو يفعلونه، فكيف نعرف الفرق؟ ربما هم يتوهمون أنك جيت تتقرب إلى معبودهم.

وأما حديث ثابت بن الضحاك فظاهر: قال: **"نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة"**، بوانة اسم منطقة، **"فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال"**، يعني: النبي صلى الله عليه وسلم يسأله لماذا؟ ليش؟ ايش معنى خص بوانة؟ قال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، مو بس وثن يعبد، فيه عيد يجتمعون فيه؟ قالوا: لا.

ويش تقولون الآن للي يروحون في عيد الكريسماس ويروحون إلى بلاد الكفر، يبون يشوفون الشرك والكفر، هذا حديث مثل الشمس النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، قالوا: لا، مع الأسف أن بعض العلماء يقولون: يجوز أنك تروح إلى بلاد الكفر، يروح يسمع عبادة غير الله لماذا؟ ماذا قالت أم جريج؟ قالت: **"لا أراك الله حتى ترى المومسات"**، يعني اعتبرت رؤيته للمومسات عقوبة، لماذا نحن نعرض نفسن لهذه العقوبات ونرى الكفر والشرك ولا نستطيع أن نقول شيء؟ هذه مصيبة يا إخوان.

فقال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله»، ما هو وجه الشاهد: عدّ الذبح لمكانٍ يذبح فيه لغير الله أو لمكان فيه عيد من أعياد الجاهلية عدّه

معصية لله، قال: «أوف بنذرك»، ثم علل لماذا سأل؟ «فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم».

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: فيه مسائل: -

الأولى: تفسير قوله: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

الشرح:

الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصد، مع الأسف أن بعض المسلمين يعملون أعمالًا من التزين والتجمل كأن هذا العيد عيده، والله لما يأتي عيد الأضحى أو عيد الفطر لا يعمل هذا الشيء، هذا من اغرب ما يكون والله، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدي ضال المسلمين

قال –رحمه الله تعالى-:

"باب من الشرك النذر لغير الله"

وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [الإنسان:٧].

وقوله: {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ} [البقرة:٢٧٠].

وفي (الصحيح) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

الشرح:

مناسبة هذا الباب لما قبله: أن المشركين أو المتبركين يتبركون بالمتبركات بالذبح والنذر، المقدم الذبح ثم يأتي النذر، فناسب ذكر النذر بعد الذبح، هذا وجه.

والوجه الآخر: أن النذر مثل الذبح ليس فيه تقسيم، النذر لغير الله شركٌ أكبر ما فيه تقسيم، هذا وجهٌ آخر لمناسبة إيراده، وأيضًا أحكام النذر متعلقٌ بأحكام الذبح وأحكام الذبح متعلقٌ بأحكام النذر.

ما هو النذرِ ؟ قال: **"باب من الشرك النذر لغير الله"**، النذر لغير الله هو شركٌ أكبر وما فيه أصغر، ما هو النذر؟ النذر: هو أن يوجب المكّلَف على نفسه شيئًا لم يكلفه الشرع، لم يوجبه الشرع، هذا النذر حتى يكون صحيحًا لله لا بد أن يكون في شيءٍ مشروع، ما فيه نذر فيما ليس بمشروع من العبادات.

يعني لو واحد نذر أن يقف في الشمس هذا نذر ليس نذر طاعة، النذر المشروع الذي تتقرب به إلى الله لا بد أن يكون في جنس العبادات كأن تقول: أذبح لله نذرًا عليّ، نذرٌ عليّ إِن أصوم ونذرٌ عليّ أن أصلي ونذرٌ عليٍّ أن اقرأ القرآن ونذرٌ عليّ اِن اتصدق، لا بد من جنس العبادات حتى يكون قربة إلى الله، أما النذر لغير الله فهو أن يلزم المكَلَف نفسه شيئًا لغير الله سواء كان مشروع او غير مشروع فهذا من الشرك الأكبر.

واستدل المصنف بآيتين وحديث: -

قال: وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [الإنسان:٧]، ما وجه الشاهد هنا؟ وجه الشاهد: أن الله مدح المؤمنين بوفائهم بنذورهم، فدل على أن الوفاء بالنذر عبادة إذًا لا يجوز صرفه لغير الله، لو لم يكن الوفاء بالنذر عبادة لما مدح الله أهله، فلما مدحهم علمنا أن الوفاء بالنذر عبادة، النذر عبادة ولا الوفاء بالنذر عبادة؟ الوفاء بالنذر عبادة، أما النذر نفسه فمكروه.

وأما الآية الثانية: {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ} [البقرة:٢٧٠]، أي: فيجازي عليه، فدل على: أن النذر مثل النفقة بدلالة

الاقتران، النفقة عبادة ولا لا؟ إذًا النذر عبادة، ولما قال: {فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ} [البقرة:٢٧٠]، علمنا أنه يجازيِ، إذًا دل على أن النذر عبادة، لذلك الله يجازي عليه بالحسنات، فإن صرفته لغير الله فكمن تصدق رياءً وشركًا وكمن أنفق للأصنام والأوثان، فالنذر لغير الله مثل النفقة للأوثان والأصنام.

وأما الحديث فواضح: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»، قلنا: نذر الطاعة هو أن يلزم المُكَلَّف نفسه بجنس من العبادات لم يلزمه بحكم الشرع، «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

كيف نذر أن يعصي الله؟ إما يصرف ويقول: نذرٌ علي أن أذبح هذا الجاموس للبدوي، أو يقول: نذرٌ علي أن أمشي إلى قبر الجيلاني، أو يقول: نذرٌ علي أن أوقد الشموع على قبر كذا، أو يقول: نذرٌ عليّ أن أصوم ثلاثة أيام لفلان أو أسجد عند قبر فلان، ونحو ذلك.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل: الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

الشرح:

نكتفي بهذا إن شاء الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثالث

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، هذا هو المجلس الثالث من مجالس القراءة والتعليق على كتاب التوحيد في هذه الدورة التأصيلية الأولى المباركة، وكنا قد وقفنا عند الباب الثاني عشر: **"باب من الشرك الاستعاذة بغير الله"**، فنبدأ على بركة الله تبارك وتعالى.

المتن:

الحمد لله رب العالمينِ، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات يارب العالمين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– في **"كتاب التوحيد"**:

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن:٦].

وعن خولة بنت حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»، [رواه مسلم].

الشرح:

قوله -رحمه الله-: **"باب من الشرك الاستعاذة بغير الله"**، **"من"**، هنا لبيان الجنس، أي بابٌ من جنس الشرك: الاستعاذة بغير الله، و**"السين والتاء"**، في الاستعاذة للطلب، وأصل الكلمة من: عاذ يعوذ عوذًا، واستعاذ يستعيذ استعاذةً، فالاستعاذة معناه: طلب العوذ، وهو: اللجأ من مخوفٍ إلى مانعٍ، والمقصود هنا: بابٌ من الشرك الاستعاذة بغير الله: أن يطلب الإنسان ويلجأ إلى غير الله من مخوفٍ لا يقدر عليه إلا الله.

تذكروا هذه المسائل: الاستعاذة والاستغاثة والدعاء هذه الأبواب وما شابهها المقصود بها: ما لا يقدر عليه إلا الله، وأما مجرد الاستعاذة يأتي إنسان ويقول: أعوذ بك من شر فلان هذا أمر اختلف العلماء فيه بين الكراهة والجواز إذا كان في مقدوره، وإنما الذي أجمع عليه المسلمون من الصحابة والتابعين وأهل السنة المتبعون لهم بعد: أن الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ أكبر ومن جنس الشرك الأكبر.

المناسبة بين هذا الباب والذي قبله: أن الباب الذي قبله **"بابٌ من الشرك النذر لغير الله"**، إذًا هناك بيان جنس نوعٌ من أنواع الشرك وهو النذر، وهذا أيضًا بيان نوع جنسٍ من أنواع الشرك وهو الاستعاذة بغير الله، والنذر لفظيٌ والاستعاذة لفظيٌ، فهذا الجامع بينهما.

أورد المصنف -رحمه الله- تحت هذا الباب آية واحدة وحديث واحد:

فالآية: من سورة الجن: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [الجن:٦].

إذا نزل أحدهم في الوادي في الليل وهو مسافر ينادي ويصرخ فإني استعيذ بسيد هذا الوادي من سفهاءها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: وقول الله تعالى: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[الجن:٦]، هذه الاستعاذة لماذا سماها الله شركًا ؟ قال: وقول الله تعالى: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[الجن:٦]، وحكى أنه من أفعال المشركين، لماذا ؟ لأن فيه طلب العوذ من غائب غير حاضرٍ، هذا واحد.

ثانيًا: لو أراد السفهاء من الإنس أو من الجن أو اللصوصِ أن يؤذوا هذا المستعيذ ما استطاع أن يمنعه سيد هذا الوادي بزعمه، فإنه إن قدر على منع السفهاء من الجن ما قدر على منع السفهاء من الإنس، وإن قدر على منع السفهاء من الإنس لكونه إنسيًا ما قدر على منع السفهاء من الجن، وإن قدر على هذا وهذا ما قدر على منع الهوام والدواب، ولذلك هو نوع من أنواع الاستعاذة الشركية.

قال: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}، فيه تفسيران: -

الأول: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}، أي شركًا على شركهم، وذلك بأن يسمعوا صوتًا أنك في أمان.

الثاني: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}، أي زادوهم نصبًا وتعبًا وشقاوة مدام هذول مستعيذين فينا خل نلعب فيهم، فيلعبون بهم وهم نائمون ويضحكون عليهم ويستهزئون

بهم وعلى سفاهة عقولهم، من أكمل عقلًا: الإنس ولا الجن؟ الإنس قطعا، الدليل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [الإسراء:٧٠]، والرسل والأنبياء كلهم من الإنس، فكيف ينزل العاقل إلى من هو أدنى منه؟! يعني فيه عاقل يقول: يا أيها الحمار استعيذ بك؟ لو فرضنا أن الجن عندهم عقلاء فعقلاؤهم دون عقلائنا فكيف يستعاذ بهم؟! هذا أمر غريب جدًا.

إذًا هذه استعاذة شركية، لماذا؟ من وجهين: -

الأول: أنه استعاذة بغائبين غير حاضرين.

الثاني: انه استعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قد يقول قائل: فيه رقيب وعتيد وملك حفظة استعيذ بهم: ما يجوز لأنهم لا يعيذونك إلا بأمر الله، فكيف تستعيذ بهم؟ لا يقدرون، قال: الله ممكن يقدرهم، ما دام الله يمكن يقدرهم فاطلب العوذ من الله مو منهم.

أضرب لكم مثال: لو أن رجلًا مشلولًا، الرجل المشلول هل يمكنه أن يأتيك ويسحبك من البحر وهو مشلول، مايقدر يتحرك وهو مشلول اليدين والرجلين؟ يقدر أو لايقدر؟ لا يقدر، ييجي عاقل يقول: أنا بستعيذ فيه، لماذا؟ قال: الله ممكن يقدره أنه يتحرك، يا أيها المشلول تعالى أنقذني، المشلول يقول: اطلب من الله إنه يشفيني الأول وبعدين أنا أجيك، المرجع إلى الله، كيف يستعيذ المستجير بالنار وهو أصلًا مسكين.

فلذلك الاستعاذة بالمخلوقين ولو كانوا حاضرين ما دام غائبين أو غير مأذونٍ لهم ليس لنا أن نستعيذ بهم.

إذاً وجه الشاهد منه واضح: أنه الله ذكر هذه الآية في معرض ذم أفعال المشركين من الجن والإنس.

وعن خولة بنت حكيم، ووجه الشاهد فيه: أن الله عَزَّوَجَلَّ هو المعيذ وهو المستعاذ به حقًا وصدقا وهو الذي يعيذ من شاء، ولذلك علمنا كيف نستعيذ ؟ نقول في الصباح: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات، وإذا نزلنا منزلًا نقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق مرة واحدة لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك، هذه الاستعاذة التوحيدية والاستعاذة التعبدية والاستعاذة التي تقربك إلى رب البرية.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الشرح:

انتبهوا الآن: العلماء استدلوا بهذا الحديث على أن **"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"**، أن الإنسان قدّم كلمات الله لله، فهذا فيه دلالة على: أِنه إنما قدّم صفات الله عَزَّوَجَلَّ، القرآن والكلام من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وكلمات الله المقصود بالحديث: عامة الشراح يقولون: المقصود **"بكلمات الله"**، الكلمات التامة، **"اعوذ بكلمات الله التامة"**، المقصود بالكلمات: الكلمات الكونية، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[يس:٨٢]، فأنت تستعيذ بقول الله: {كُنْ فَيَكُونُ}[يس:٨٢]، تقول: إني ألجأ إليك يا رب لأنك تقول للشيء كن فيكون أن تعيذني، وهذا من أحسن المناسبات في الاستعاذة.

فكلمة **"أعوذ بكلمات"**، الباء هنا باء الوسيلة، **"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"**، أي: أعوذ إلى الله متوسلًا بكلمات الله التامات من شر ما خلق، دلّ على أن كلمات الله ليست مخلوقة لأنها لو كانت مخلوقة ما جاز التوسل بها ولا جاز التوسط بها ولا جاز الاستعاذة بها، هكذا استدل العلماء ومنهم الإمام أحمد في الرد على الجهمية.

المتن:

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الشرح:

لأن هذا الدعاء فيه بيان: أن من التجأ إلى الله حفظه الله وصانه ولم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك، ووالله الذي لا إله إلا هو إن هذا الدعاء ليس بحاجة إلى التجربة وإنما الواقع غير الخير شاهد، ما من مسلم يقول هذا الدعاء إلا ولا يتضرر، ومن نسيه فنزل منزلًا فقال هذا الكلام تضرر، هذا الواقع يشهد على ذلك.

المتن:

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع - لا يدل على أنه ليس من شرك.

الشرح:

إذا حصل منفعة دنيوية للإنسان بالاستعاذة بالجن وبالاستعاذة بالمقمورين فجاءت الشياطين فتمثلت بهم حصلك منفعة: هذا ليس دليل على جواز الشرك، فإن كثيرًا من أهل الصلبان وكثيرًا من أهل البوذيين يستغيثون ببعض الأوثان وينتفعون فليس النفع دليلًا على جواز الشرك، كما أن التداوي بالحرام وحصول الدواء ليس دليلًا على إباحته، الباب واحد.

أسألكم سؤال: الإنسان لو أكل لحم الخروف يشبع، لو أكل لحم الخنزير يشبع، هل كونه شبع بلحم الخنزير دليل على إباحته؟ إذًا ليس التداوي بالحرام دليل على إباحته، ليست الاستعاذة الشركية وحصول المنفعة المترتبة عليها دليلًا على صحتها، تأصيل لازم نفهمه، ما هو الفاصل؟ الفاصل: هو التوحيد والشرك.

المتن:

ثم قال –رحمه الله تعالى–:

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقوله الله تعالى: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ} [يونس:١٠٦].

{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [يونس:١٠٧].

وقوله: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ} [العنكبوت:١٧].

وقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأحقاف:٥].

وقوله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل:٦٢].

وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا المنافق. فقال النبي: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عَزَّ وَجَلَّ».

الشرح:

قوله -رحمه الله-: **"باب من الشرك"**، قد سبق بيان: أن **"من"**، هنا لبيان الجنس، أي من جنس الشرك أن يستغيث، أن وما بعده من الفعل المضارع: مأول بالمصدر، والمعنى: باب من جنس الشرك الاستغاثة بغير الله، **"باب من جنس الشرك"**، دعاء غير الله، لأن كلمة **"أو يدعو"**، أيضًا معطوفة على أن، أن وما بعده من الفعل المضاع مأول بالمصدر والمعنى: باب من الشرك الاستغاثة بغير الله، بابٌ من الشرك دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ، أي: فيما لا يقدر عليه إلا الله، لا تنسوا هذه القاعدة التي ذكرنها.

لماذا؟ لأنه يجوز للإنسان أن يستغيث بإنسان فيما يقدر عليه، قال الله عَزَّوَجَلَّ :{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}[القصص:١٥]، يجوز للإنسان أن يدعو غيره ويقول: يا عمرٌ تعال عاوني ولا ما يجوز ؟ يجوز ما دام موجود ومادام يقدر ما فيه مانع، إذا هذا معنى هذه الترجمة المباركة.

وأما المناسبة فهي ظاهرة أيضًا لأن الاستعاذة: طلب العوذ من مخوفٍ لُيصان عنه، أما الاستغاثة فطلب الغوث من مخوفٍ واقع، فأولًا ذكر ما هو متوقع ثم ناسب أن يذكر ما هو واقع.

وأيضًا بينهما مناسبة أخرى: أن الاستعاذة بغير الله والاستغاثة بغير الله ودعاء غير الله كل هذه من جنس الشرك الأكبر، هذه المناسبة، **"الاستغاثة"**، السين

والتاء: للطلب، إذًا معناه: طلب الغوث، والغوث: إنما يكون لكشف كربةٍ، والدعاء: قد يكون لكشف كربة أو لجلب خيرٍ متوقع مستقبلي ولو في غير كربة، أيها أعم صار؟ الدعاء أعم، لأن كل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة.

ومن هنا قال العلماء: **"إن دعاء الغوث أن يرفع الإنسان يديه حتى يرى بياض إبطيه"**، والدعاء أن يرفع يديه هكذا، والدعاء أن يقول هكذا، كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

أورد المصنف –رحمه الله– تحت هذا الباب: أربعة آيات وحديثًا واحدا:-

أما وجه الشاهد من الآية الأولى: وهي قوله تعالى: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ} [يونس:١٠٦]، وجه الشاهد فيه: أن دعاء غير الله وطلب الغوث مع وقوع مضرة على الإنسان من غير الله يعني: أنك تطلب ممن لا يقدر، هذا معنى الكلام، {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ}، وما سمعت كلام الله، {فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ}، فسمى دعاء غير الله فيما لا ينفع ولا يضر سماه: ظلمًا وهو من جنس الشرك الأكبر.

{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [يونس:١٠٧]، المشركين يقولون: أصنامنا وأوثاننا ينفعون بإذن الله، ما تنفعهم هذه الكلمة، لماذا؟ أسألكم سؤال: هذه خشبة إن شاء الله أن تنفعني: تنفع ولا ما تنفع؟ إن شاء أن تضرني: تضر ولا ما تضر؟ هل يجوز أن اقول: أنا ما دام أن الله يشاء أن ينفعني

بها ينفعني وإن شاء أن يضرني ضرني بها؟ يجوز أن أقول: يا خشبة يا خشبة؟ وين العقول، من أين علمت أن إذن الله موجود عند هذه الخشبة؟ لماذا لا تدعو من عنده الإذن؟ هذه الخشبة ما تنفع.

شالفرق بين الخشبة وبين القبر الذي أنا أقف عليه، القبر فيه المقبور، والمقبور إما ميت مبرور أو عياذ بالله ميت مسعور، فيه وسط؟ ما فيه وسط، إما رجلٌ من المسلمين فهو إما منعم أو معذب، وإما رجلٌ من الكافرين معذبٌ، كيف يستغاث بمن هو مشغول عنك إما بنعمة وإما بنقمة؟ مع أن العقلاء كلهم يقولون: المشغول لا يُشغل، والله يقول عن الصالحين وعن الشهداء: {عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩]، عند ربهم فوق السماء السابعة، كيف أنت تستغيث به؟ يسمعك من فوق السماء السابعة؟ أين العقول أين المعقول؟ أين المدرك من المنقول؟ شبهات واهية، هذا الذي أوقع من أوقع في عبادة عيسى وأوقع من أوقع في عبادة عزير وأوقع من أوقع في عبادة الجيلاني وفي عبادة البدوي وفي عبادة الحسين، ما الذي أوقعهم إلى هذه الشبهات؟ أمر خطير، من الذي ينفع ويضر؟ الله، من الذي يكشف الضر؟ الله، والله جل وعلا نفى النفع والضر عن غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أنا أسألكم سؤال: إنسان لم يولد له ولد ويذهب إلى الطبيب، بالله عليكم هل يقول: يا طبيب الله يخليك يا طبيب أرجوك وأتوسل إليك وأقبل يديك وأتمسح برجليك؟ يقول هذا الكلام للطبيب؟ ما هو سبب للعلاج؟ سبب

شرعًا وكونًا ولا لا؟ شرعًا وكونًا، قال ما يصير يا أخي رجال مثلك شلون تطلب منه هالشكل روح قول له كم حقك، تفضل أخذ حقك وعطني الدواء، قول: يارب، يا مُسّيكين أنت أبيت أن تتمسح بحي وأن تقبل رجلي حي، كيف تذهب وتتمسح بتراب ميت؟ وين العقل؟ ويقولون احنا أهل المنطق والفلسفة واحنا أهل الذوق، والله لا تعرفون لا المنطق ولا الفلسفة ولا الذوق الشرعي، تعرفون مناطق اليونان وفلسفة الهند والبراهمة وذوق السيخ والهندوس، والله ما يعروفون إلا هذا، هذا الذي أردانا وأردى الأمة، نسأل الله جل وعلا يحفظنا وإياكم بحفظه.

هذه الآية وجه الشاهد منها: أبلج من شمس الضحى في ربيعة النهار.

الدليل واضح على الباب.

البعض ما نسميهم السفهاء لأنهم أدنى من السفهاء، بعض المتعالمين، يقول: ما فيه شاهد من وجه الآيات على الباب، مسكين، صدق الشاعر:

عليّ نظم القوافي من معادنها وماذا عليّ إذا لم تفهم البقر

وأما الآية الثانية: فوجه الشاهد فيها: قوله تعالى: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ} [العنكبوت:١٧]، الرزق عند من؟ العافية رزق؟ نعم، الصحة رزق؟ نعم، العلم رزق؟ نعم، كشف الكربة رزق؟ نعم، كشف المضرة رزق؟ نعم، طلب الحاجات رزق؟ نعم، الجنة رزق؟ نعم، القربة رزق؟ نعم، تطلبها ممن؟ {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ} [العنكبوت:١٧].

ما رأينا عاقلًا يطلب الرزق من حي عنده أموال، أضرب لكم مثال: يوجد هناك أناس يسمونهم من أصحاب الملايين، في أحد من العقلاء يروح يذل نفسه يقول: تكفى ارزقني؟ ما حد يقوله ارزقني، إن احتاج الإنسان يقوله: أعطني دين، هذا أقصى ما يفعله العقلاء، أو يتملصون له من أصحاب الملايين بِأفعال وِأقوال لعلهم يعطونهم، ولا يقولون: نريد رزقًا لأنهم يعلمون الرزق عند الله.

كيف تذهب إلى ميت تطلب منه الرزق؟ كيف؟ يقول: الله قادر أن يقدره على أن يرزقني، خلاص ليش تروح عند الميت اطلب الخشبة هذه، الخشبة الله قادر أن يجعلها ويعطيك الرزق، الله قادر يجعل الخشبة هذه تصير مكينة طباعة وتطبعلك الفلوس، ما فيه داعي تروح للميت اطلب من الخشبة!

والله شيء مبكي، شيء محزن، شيء والله يدمي القلب ويدمع العين ويضيق الصدر، كيف رجل يشهد أن لا إله إلا الله ثم يسأل غير الله؟ ما عرفنا قيمة التوحيد، كذبوا علينا يوم أن قالوا: التوحيد نتعلمه في عشر دقائق، التوحيد ندندن عليه حتى نموت، نسأل الله أن يميتنا على التوحيد وأن يحيينا على التوحيد.

كيف يترك رب العالمين جل في علاه العظيم الكريم أرحم الراحمين أكرم الأكرمين سامع الأصوات قاضي الحاجات مجيب الدعوات ويذهب الإنسان إلى بشر من البريات أو إلى حجر أو إلى تراب أو إلى جمادٍ؟! والله أيها الأخوة صدق الله حينما قال: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}

[البقرة:١٣٠]، وأي سفه أعظم من الشرك؟ والله أسفه السفه: الشرك، أظلم الظلم: الشرك {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة:٧٢]، ثم يقولون: الشرك نعرفه نحن إعيال المسلمين ثم تسألوا ما هو الشرك؟ والله ما يعرف الشرك.

يجب أن ندرس التوحيد ويجب أن نتدارس التوحيد، مساجدنا اليوم كلها مواعظ عن الصدق وعن الأمانة، لماذا؟ من يخالفك في هذا اليهودي ولا النصراني ولا البوذي؟ كلهم يتفقون على هذا، تكلم فيما ميزك الله به وهو التوحيد والسنة.

أما وجه الشاهد من الآية الثالثة: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأحقاف:٥]، ففيه بيان: أن أشد الناس ضلالًا هم المستغيثين بغير الله والداعين غير الله {مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

قد يقول قائل: إني أنا أذهب إلى الميت والميت يسمعني في قبره فهو يقول كما هو قول جماهير الفقهاء، والصواب: أن الميت لا يسمع وهو قول أئمة الحنفية السادات، وألّف في ذلك العلامة الهروي الملا عليّ قاري الحنفي كتابًا في هذه المسألة وأجلى المسألة جلاءً بينًا، والله ليس لأحد حجة، لو فرضنا أن الأموات يسمعون: فاسمعوا ماذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا

دُعَاءَكُمْ}، الله يقول: لا يسمعوا، وأنت تقول: يسمع، أنت تكابر ماذا نفعل معك ؟

قال الله: {وَلَوْ سَمِعُوا}، فرضنا الآن قولك: يسمع، {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، ليش ما يستجيبون؟ إما لأنهم ما يأتمرون بأمر الله، أنت ما طلبت من الله الذي يأمر، طلبت منه، أسألكم بالله سؤال: أنا عملت في العسكرية وأنتم منكم من يعمل في العسكرية وفي الشرطة ومن لا يعمل أنا أسألكم سؤال: جيت عند نقطة تفتيش الشرطي أوقفك أنت تترجي الشرطي ولا الظابط الموجود؟ الظابط، لماذا تترجى للظابط؟ لماذا الإنسان يترجى الآمر دون المِأمورين؟ لِأن المأمور لا يستطيع أن يفعل شيء إلا بآمره.

فالله يقول: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، لأن الأمرِ أمر الله، أنت تركت الله وذهبت للمأمور المسكين، لما استجابوا لكم لأنهم لا يستجيبون إلا بأمر الله، أو {مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، لأنهم مشغولون عنكم إما بالنعيم وِإما بالجحيم.؟

فرضنا الآن أن أحد يقول: هم يسمعوني، الله يقول: {لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ}، قال: يستجيبون لي، الله يقول: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، قال: حتى لو ما سمعني ولا استجاب لي كلامي عند قبره ينفعني يوم القيامة، قال الله: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} [فاطر:١٤]، الله أكبر.

أي جلاء أوضح، أوضح شيء في القرآن التوحيد، أجلى شيء في القرآن التوحيد ونبذ الشرك، وأشكل شيء على الناس هو هذا الأمر الجلي الواضح،

والله آيات الشرك أعظم من آيات الصلاة وأكثر وأعظم من آيات الصدق والوعد وأكثر، لكن الشيطان حباءله كثيرة.

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} [فاطر:١٤]، يقول: هذا الكلام أنتم تقولونه، أقول: هذا مو كلامي: {وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر:١٤]، الله أكبر، لذلك يقول الله: {وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ}، قال العلماء: عيسى عليه السلام يستحي يوم القيامة أن يشفع، لماذا ما عليه ذنب ولا عليه خطيئة، ما الذي ينقصه أن يشفع؟ حياءً من الله لأنه عُبد مع الله واستغيث به من غير الله، هذه مسألة عظيمة: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[الأحقاف:٥]، لو رأى الناس إنسانًا يحرق ماله يقولون عنه: سفيه احجروا عليه كائنًا من كان احجروا عليه ويصدر في حقه صكٌ من القضاء، يحجر عليه كائنا من كان، إنسان يذهب إلى القبر ويقول: يا ولي الله ولا يحجر عليه ؟!، والله يقول: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}[الأحقاف:٥]، لماذا عن دعائهم غافلون ؟ لأنهم إما في نعمة وإما في نقمة، الأرواح عند أهل السنة والجماعة: أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار، وأبدان المؤمنين منعمة وأبدان الكافرين معذبة، كيف ذلك؟ إذًا هم مشغولون في كلا الحالتين.

أما وجه الشاهد من الآية الأخيرة: فالله يقول: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل:٦٢]، وهذه الآية انتبهوا لها: وردت على وجه الاستفهام التقريري، يقرر المشركين، استفاهم تقريري، معناه: المشركين مقرين بهذا ولا غير مقرين؟ مقرين، فواعجبًا من مشركي قريش يقرون بهذا وأنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، وواعجبًا من مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويزعمِ أن الولي الجيلاني هو الغوث الأعظم، واحسرتاه على توحيدٍ فقدناه واحسرتاه على توحيد ما عرفناه، والله ما عرفوا التوحيد فهم يظنون التوحيد توحيد ابن عربي وتوحيد ابن الفارض، قاتل الله البدعة وقاتل الله الشرك.

وأما الحديث فأورده المصنف -رحمه الله- لبيان: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أصحابه الأدب في حسن اللفظ، هذا هو وجه الشاهد، يعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأدب في حسن اللفظ في باب التوحيد.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي وهو بمنزلة الملك والأمير في المدينة ولا لا ؟ يقدر على أن يمنع المنافق من إيذاء المسلمين ولا ما يقدر؟ يقدر، ومع ذلك لما قالوا: **"قوموا بنا نستغيث برسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من هذا المنافق"**، كلمة نستغيث: أراد منهم أن يلقوها وأن لا يقولها إلا في حق الله، فقال النبي: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عَزَّ وَجَلَّ».

المتن:

ثم قال – رحمه الله تعالى – فيه مسائل:-

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله:﴿ولا تدع من دون ا لله ما لا ينفعك ولا يضرك.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الشرح:

دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله والاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والنذر والذبح، خمس، هذه لا بد تتقرر وما فيه تقسيم أكبر وأصغر، كله إما جائز وإما أكبر، الدعاء ما ينقسم، يقول دعاء شرك أكبر دعاء شرك أصغر؟ ما فيه الكلام هذا، الاستغاثة ما تنقسم وما تقول استغاثة شرك أصغر واستغاثة شرك أكبر، والاستعاذة نفس الشيء والذبح نفس الشيء والنذر نفس الشيء، احفظ هذه الأمور الخمس.

المتن:

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها. السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

الشرح:

لأن الجنة من الرزق، فإذا كنت لا تطلب الجنة إلا من الله فما دونه من الأرزاق لا تطلبها إلا من الله.

المتن:

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الشرح:

يقولون: الميت يسمع، الله يقول {وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف:٥]، وأنت تيجي تقول: الميت يسمع، سبحان الله العظيم.

المتن:

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الشرح:

والله يتبرأ منك يوم القيامة، من يدعو وليًا من دون الله أو صالحًا من دون الله أو نبيًا من دون الله أو رسولًا من دون الله أو صحابيًا من دون الله: والله الذي لا إله إلا هو أنه ليتبرأ منه يوم القيامة كما أخبر الله عن تبريء عيسى في القرآن، و كما

أخبر الله عن تبري محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوحى إليه أن يقول لنا: أنه يقول يوم القيامة للمبدلين: «سحقًا سحقا».

المتن:

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد والتأدب مع الله.

الشرح:

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد بجوانب عدة، وفي كتاب التوحيد بابان في هذا المقام، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد أعظم من أي شيء آخر وجعل له حمى وحمى وحمى حتى لا تقع أمته في الشرك، ومع ذلك استطاع إبليس وأعوان من الجن بالتدليس أن يوقع الأمة فيما ليس له أساسٌ ويجعلونهم يقدسون ما ليس بمقدسٍ عند الله ورسوله.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: **"باب قول الله تعالى"**:

{أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}، {وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا} [الأعراف:١٩٢].

وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر:١٣].

وفي (الصحيح) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: شُجَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم»؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وفيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا»، بعدما يقول: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد) فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾،

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا».

الشرح:

هذا الباب الرابع عشر، هذا الباب بوب الإمام -رحمه الله- بالآية على طريقة البخاري-رحمه الله-، ومقصوده بهذا الباب: أن هؤلاء الذين يقعون في الاستعاذة بغير الله والاستغاثة بغير الله والنذر بغير الله، كيف يسعيذون بهؤلاء ويستغيثون ويدعون مع علمهم أنه لا يخلق إلا الله: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا}، **"شيئًا"**، نكرة في سياق النفي عمت، فغير الله لا يقدر على خلق شيء أبدًا.

خذها قاعدة: لا خالق إلا الله، والعبيد يصنعون، الصنعة غير يعني المادة موجودة وهم يشكلونها فقط، ما معنى الخلق؟ الخلق معناه أعم من ذلك معناه: إيجاد الأرواح، الخلق معناه: إيجاد المعدومات مو مجرد التشكيل والصورة، المصور من أسماء الله والخالق من أسماء الله والبارئ من أسماء الله، {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا}.

قد يقول قائل: عيسى عليه السلام أخبر الله أنه يخلق من الطين، يخلق هنا: بمعنى يصور، وإلا فالله هو الذي يجعل الروح فيما صوره من الطين، {وَإِذْ تَخْلُقُ}، أي تصنع، {مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي}.

لذلك القاعدة عند أهل السنة والجماعة احفوظها: **"أن آيات الأنبياء أفعال لله تعالى"**، تعرفون عصا موسى عليه السلام؟ ضرب موسى بعصاه البحر، هل أصبح البحر فلقًا لأن العصا قوية ولأن موسى قوي ولا لأن الله أراد؟ لأن الله

أراد، إذًا هو فعل الله، من الذي أخرج من الصخرة ناقةً عشراء؟ الله، إذًا كونه جرى على يد صالح ولا على يد موسى ولا على يد عيسى ولا كون الحصا سبح في يد محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليس ذلك من أفعالهم لأن الله أمرهم أن يقولوا: {قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا}[الأعراف:١٨٨]، هذه أفعال الرب تبارك وتعالى.

فآيات الأنبياء إما كلام الله وإما فعل الله، ليس فعلًا للعباد لأنها ليست من مقدوراتهم ولا هي داخلةٌ تحت جنس قدرهم، {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف:١٩١]، فبعض الدعاة إلى الشرك يقولون: الولي يخلق، قاتلك الله، الولي يخلق؟! إذا كان الولي يخلق معنى أن هناك عدة خالقين، كيف يقول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} [المائدة:٧٣]، وأنت تقول الولي يخلق.

لا خالق إلا الله، هذه عقيدة تربى عليها الصغير والكبير وأنت تقول الولي يخلق بإذن الله، إذا قلت: الولي يخلق بإذن الله، أنا أقدر أقول: الخشبة تخلق بإذن الله والحديدة تقدر تخلق بإذن الله والقبر يخلق بإذن الله والصليب يخلق بإذن الله، إشمعنا أنت كلامك صح وكلام الصلبان غلط؟! ولا بينك زبينهم تحالف سري ونحن ماندري! يوجد تحالف سري.

من الذي أوجد هذا البلاء من الشرك إلا النصارى وأذنابهم من المجوس والهندوس وأذناب اليهود، كما ذكر ذلك أبو حامد الغزالي في **"فضائح**

الباطنية"، هم تجمعوا في بغداد ونشروا هذا الفساد بين العباد باسم الدين وباسم الحمية للصالحين عياذاً بالله.

إذًا {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}،{وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا}[الأعراف:١٩٢]، فأورد المصنف -رحمه الله- هذه الآية بابًا لبيان قباحة الاستعاذة بغير الله والاستغاثة بغير الله وهذا وجه المناسبة.

الاستعاذة بغير الله والاستغاثة بغير الله عبادات لا تكون إلا لمن يخلق، النذر عبادة لا تكون إلا لمن يخلق، الذبح عبادة ولا تكون إلا لمن يخلق، الدعاء عبادة ولا يكون إلا لمن يخلق، ومن لا يخلق لا يدعى ولا يستغاث ولا يستعاذ به فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

أورد المصنف-رحمه الله- تحت هذا الباب آية واحدة وأربعة أحاديث:

أما الآية: فقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر:١٣]، هذه التمرة إذا أنت طلعت النواة فأنت تجد أن هذه التمرة عليها غشاوة، هذه الغشاوة تسمى قطمير، ماذا تساوي هذه الغشاوة؟ لا شيء، لا تساوي شيئًا في دنيا الناس، الله يقول: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر:١٣]، النبي والولي لا يمكلون شيئًا، كذبوا عليك يوم أن قالوا: يملكون بإذن الله، ترى هذي القاعده اطردها، اجعلها مطردة، قوله: إذا كان الولي يملك بإذن الله فالخشبة تملك بإذن الله، ليش ما تجوز الاستغاثة بهذه الخشبة وجوزت الاستغاثة بذاك القبر؟ يقولك هذا رجل صالح، قوله: هذه الخشبة ما

عليها دم شنو المشكلة، قال: لا بد من الصلاح، قوله: إذا كانت مسألة صلاح ليش تستغيث بالولي الفلاني؟ ليش ما تستغيث بجبريل! ما عندهم أي حجة والله: {مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}، قطمير ما يملكوه.

والقاعدة: أن من لا يملك لا يعطي، فاقد الشيء لا يعطي، إذًا مادام لا يملك لا يعطي، فاقد الشيء لا يعطي، كيف تدعوا هذا مثل أعمى تذهب إلى أعمى: يا أعمى أعطني بصرًا، مثل جاهل: يا جاهل علمني، بالله عليكم: هل العاقل يعمل هذا الكلام؟ الله يقول: {مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}، كيف تطلب ممن لا يملك؟ يقول: لا يملك بإذن الله، قوله: الأعمى يمكن أن يبصرني بإذن الله والجاهل يمكن يعلمني بإذن الله، القاعدة هذه كيف دخلت في المسلمين.

ما وجه إيراد هذه الآية: يبين المصنف قباحة الشرك، أنهم يدعون أناسًا لا يملكون شيئًا مع الله.

وأورد بعد ذلك أربعة أحاديث، الأحاديث الأربعة كلها فيها بيان لقضية واحدة، ما هي؟ من أكرم الخلق؟ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإجماع المسلمين وبإجماع الأنبياء والمرسلين السابقين حتى بكى موسى أن الله فضله عليه، أكرم الخلق الله يقول له: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران:١٢٨]، وقد أخذنا في قاعدة دلالات الأصول الفقهية والقواعد الفقهية: **"أن النكرة في سياق النفي تعم"**، {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}، حتى قطمير ؟ نعم، حتى قطمير لا يملكها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الله يقول.

مع أنه تكلم متى؟ يوم أن مشركي قريش شجوا وجهه الشريف وكسروا رباعيته ودخل المغفر في رأسه فقال: «كيف يفلح قومٌ شجوا نبيهم؟»، يتكلم عمن؟ يكلم الكفار، ومع ذلك لأن الله يعلم أن من الكفار من يسلم قال له: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}.

لو كان له من الأمر شيء كان يدخل أبا طالب الإسلام، لو كان له من الأمر شيء لما قتل عمه حمزة، لو كان له من الأمر شيء ما كسر رأسه ولا شج وجهه ولا كسرت رباعيته صلوات ربي وسلامه عليه، إذا كان أكرم الخلق لا يملك مع أكرم الأكرمين شيئًا، فكيف بمن دونه؟! الله أكبر.

الحديث الذي بعده: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا على أقوامٍ: اللهم العن فلانًا وفلانًا»، فأنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}، ياسبحان الله، يقاتلونه ويتعجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حالهم والله يقول: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}، يأذون أصحابه ويعلنهم والله يقول له: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}، لأن لعن المعين لا يجوز.

هذه الآية وهذا سبب النزول فيه دلالة على: أن لعن المعين لا يجوز ولو كان كافرًا ما دام حيًا، لماذا؟ لأنك لا تدري لعله أن يسلم.

وأما الحديث الثالث: وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام»، وهؤلاء الثلاثة كلهم أسلموا، سبحان الله العظيم، شوفتوا كيف: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}، سبحان الله.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعمه لعمته لابنته: «لا أغني عنكم من الله شيئا»، الله أكبر، والله وبالله وتالله قد بيّن عليه الصلاة السلام البيان المبين ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، تركنا على البيضاء، من يقع في حفر الشرك وبدع الضلالة فوالله من جهة نفسه ومن جهة إلفه ومجتمعه، ما على الرسول من قصور في بيان أبدا.

المتن:

ثم قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}.

السابعة: قوله: {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} فتاب عليهم وآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

الشرح:

القنوت في النوازل سنةٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحيح من أقوال أهل العلم: **"أن القنوت سنة يكون بأمر ولي الأمر"**.

المتن:

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنه المعين في القنوت.

الشرح:

أي: وأن ذلك لا يبطل الصلاة، هذا المقصود بهذه الفائدة، تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يبطل الصلاة خلافًا لبعض الفقهاء، ففيه دلالة على أن الدعاء المعين لا يبطل الصلاة.

المتن:

الحادية عشرة: قصته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}.

الشرح:

ما خطب وقال: اسمعوا أنا رسول الله وأنا أشفع لكم تعالوا عندي بس، سبحان الله: تدرون متى أخبرهم بالشفاعة؟ في أخر حياته أخبرهم أنه سيشفع يوم القيامة للأولين والأخرين لما أخبره الله.

المتن:

الثانية عشرة: جدّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الشرح:

أي والله، لو أن مسلمًا اليوم يتكلم عن التوحيد ويتكلم على الشرك كما تكلم رسول الله عن التوحيد وعلى الشرك ليسمونه مجنونًا مافيه كلام، يقولون: هذول رجعيين ما عندهم إلا توحيد توحيد توحيد،ما عندهم عقول احنا ناس واصلين القمر وهذول لما الحين توحيد وشرك خليهم يقولون، نسأل الله أن يحيينا وأن يميتنا على التوحيد وأن يجعلنا من المقتدين برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو شيئًا يسيرا.

المتن:

الثالثة عشرة: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئًا» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا»، فإذا صرح صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ـ تبين له التوحيد وغربة الدين.

الشرح:

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطقُ عن الهوا: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[النجم:٤]، يقول لفاطمة: «لا أغني عنك من الله شيئا»، فهو لا يقول إلا الحق، كيف يأتي إنسان ويقول: يا سيد الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند الحادث العميمِ ؟ يا عجبًا والله يا أخوة، يا عجبًا، كيف يُترك رب العالمين ويتوجه إلى من أ رسله الله للعالمين؟! شيءٌ غريب والله.

المتن:

ثم قال-رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى:

{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ:٢٣].

وفي (الصحيح) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن

يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

وعن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ».

الشرح:

هذا الباب أيضًا بوبه الإمام-رحمه الله- بالآية: **"باب قول الله"**، {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ:٢٣].

معنى الباب واضح، وأما وجه إيراده: فأورده المصنف لبيان عظمة الجبار جل جلاله وعظم سلطانه، الملائكة وهم أقوى خلق الله وخيرة خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين يفزعون من قوله ويعلمون أنه العلي الكبير جل في علاه، فإذا كان الله سبحانه هو العلي الكبير فكيف يرغب عنه إلى غيره، هذا هو وجه المناسبة من إيراد المصنف لهذا الباب.

أورد –رحمه الله– تحت هذا الباب حديثين: حديث ابي هريرة والنواس بن سمعان: وفيهما الدلالة على أن الله تبارك وتعالى عظيم جليل علي كبير، حتى الملائكة جبريل ومن دونه كلهم يفزعون من كلام الله تبارك وتعالى، فأنى لهم أن يتقدموا بين يديه وأنى لهم أن يفعلوا شيئًا بدون إذنه، والله يقول عن الملائكة: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل:٥٠].

قال–رحمه الله تعالى– فيه مسائل:–

الأولى: تفسير الآية.

الشرح:

تفسير الآية يعني بسبب النزول أو بكلام الصحابة وهذا من أحسن ما يكون.

المتن:

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الشرح:

هذه الآية في أي سورة؟ سورة سبأ، هذه الأية قبلها: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}، نفى الملك، هذه واحدة. {لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ}، الملك لا يوجد والشراكة أيضًا لا توجد لا فيه شراكة أعيان ولا فيه شراكة أموال، {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ}[سبأ:٢٢]، ما فيه معاونة بعد، هذه انتفت وهذه انتفت وهذه

انتفت، أيش اللي باقي ؟{وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}، بقيت الشفاعة، والله نفاها فقال: {وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}، {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ}، نرجع إليه كما المبدأ إليه سبحانه وتعالى.

المتن:

الثالثة: تفسير قوله: {رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: (قال كذا وكذا).

الشرح:

فيه دلالة على أن جبريل يسمع كلام الله من الله وأن بعض الملائكة يسمعون صوت الرب تبارك وتعالى، فيه دلالة على أن كلام الله له صوتٌ كما نبّه عليه البخاري –رحمه الله-.

المتن:

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أن يقول لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الشرح:

صفة ركوب بعضهم بعضًا: جاء في كلام من؟ قال: وصفه سفيان بكفه فحرفها يعني: قال هكذا، وبدد بين أصابعه يعني: أبعدها، يعني هكذا يركب بعضهم على بعض حتى يصلوا إلى السماء فيسمعوا كلام ملائكة السماء الدنيا.

المتن:

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مئة كذبة.

الشرح:

إذا ما تقول مئة فما يصير تقول كذبه، لأن الكذبة فعلةٌ أو للمرةِ، مادام مئة لازم تقول كَذْبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟

التاسعة عشرة: كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها. العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

الشرح:

إثبات الصفات صفة الكلام وصفة الصوت وصفة سماع جبريل من الله عَزَّوَجَلَّ الكلام وصفة العلو سبحانه وتعالى.

المتن:

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.

قال-رحمه الله تعالى-:

باب الشـــفاعة

وقول الله تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ} [الأنعام:٥١].

وقوله: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر:٤٤].

وقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:٢٥٥].

وقوله: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:٢٦].

وقوله: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ} [سبأ:٢٢].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع».

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

الشرح:

الشفاعة في اللغة: ضد الوتر، فكل عدد زوجي فهو شفع وكل فرد فهو وتر، اثنان أربعة ستة ثمانية هذا شفع، وسميت الشفاعة شفاعةً من باب: أن الطالب

من الله واحد ثم يطلب من آخر أن يدعو الله معه فيصبحان اثنان، هذا وجه تسمية الشفاعة شفاعةً من حيث اللغة.

والشفاعة منقسمة إلى ثلاثة أقسام:-

شفاعةٌ شركية: وهي الطلب من غير الله والزعم بأنهم هم يطلبون من الله، الطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والزعم أنهم يطلبون من الله.

الثاني: شفاعةٌ بدعية: وهي أن يُطلب بالأموات من الله، يقول: يا الله أسألك بجاه فلان وأسألك بشفاعة فلان وأسألك بتوسل فلان وبمنزلة فلان ونحو ذلك، فهذه شفاعةٌ بدعية.

الثالثة: شفاعةٌ شرعية: التي تقرب العبد إلى الله: فهي التي تُطلب من الله ولا تطلب من غير الله، يقول: يا رب اجعل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفيعًا لي يوم القيامة.

أضرب لكم مثال: لو أن إنسان عنده معاملة عند فلان من الناس وفي الليل يريد أن يدعو، يدعو الذي عنده المعاملة ولا يدعو الله أن يلين قلب المعامل؟ يدع الله أن يلين قلب من عنده المعاملة، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، طول الليل يقول: يا رب لين قلب المسؤول عليّ، يارب تجعله ايسر لي، فتذهب وذاك الرجل إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن لان لك وعمل لك، فأنت طلبت من الله.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جعل الله له الشفاعة، تطلب من الله أن يجعله شفيعًا لك، هذه الشفاعة التوحيدية السنية التي جاءت في كتاب رب البرية.

أورد المصنف تحت هذا الباب: خمس آيات ثم أورد فيه كلام أبي العباس لأنه مفصلٌ لا مزيد عليه ومختصر لا إخلال فيه.

أما الآية الأولى: فقول الله عَزَّوَجَلَّ: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ}[الأنعام:٥١]،فنفى الولاية والشفاعة مطلقًا، والآية فيها نفي الشفاعة الشركية، إذا انتفت الشفاعة الشركية، فلمن الشفاعة ؟

أورد الآية الثانية: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر:٤٤]، إذًا نفى الشفاعة عن غير الله وهي الشفاعة الشركية، وأثبت الشفاعة كلها لله وهي الشفاعة التعبدية التوحيدية السنية، ثم قد يقول قائل: هناك أناس يشفعون، فأورد المصنف الآية الثالثة التي فيها بيان أنه لا أحد يشفع عند الله إلا بعد إذنه.

ليس هناك شفاعات قهرية خلافًا لشفاعات الدنيوية، يعني وزير الدفاع ووزير الداخلية وبعض الوجهاء يمكن يقول لبعض الملوك والرءساء تسوي هذا الشيء ولا ترى بسويلك سالفه، إقول خل انسكته، قهرًا سمع شفاعته، يتصور ولا ما يتصور؟ يتصور، أما رب العالمين لا أحد يستيطع أن يقهره، ولذلك قال: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:٢٥٥]، على وجه الإنكار، أي لا

أحد يشفع عنده إلا بإذنه، **"من"** هنا: على وجه الإنكار، **"من"**، أي لا أحد، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:٢٥٥].

أما الآية الرابعة ففيه بيان: أن الشفاعة التي هي ثابته وهي لله بملك الله وبيد الله إن وجدت من غير الله فهي بعد الإذن والرضا وهذا هما شرطا الشفاعة الشرعية، تُطلب من الله ولا تكون إلا بعد الإذن والرضا، إذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع والشافع، اللعانين لا يكونوا شفعاء يوم القيامة، ثم الشفعاء لا يستطيعون أن يشفعوا للكافرين المغضوب عليهم، إنما يشفعون لمن رضي الله عنهم، قال تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي}، **"كم"**، يعني: كثير من الملائكة في السموات لا تغني شفاعتهم شيء، ذكر ملائكة السموات لعلو مكانتهم وفيه إشارة: إلى أن ملائكة السموات أعلى منزلة من ملائكة من ملائكة الأرض، لماذا ؟ لأن الله لم يذكر ملائكة الأرض هنا لان المقام مقام ذكر الأشرفين، قال: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}[النجم:٢٦]، أذن الله لمن يشاء من الشفعاء والمشفوع فيهم ورضاه عن الشافع والمشفوع فيهم.

وقوله جل وعلا : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}[سبأ:٢٢]، والشفاعة ملكٌ فإن قال قائل: فإن الله أعطى الشفاعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أطلبها منه، نقول: الذي أعطى له

الشفاعة أمرك أن تدعوه وأن تطلب منه وأخبرك أنه لا شفاعة إلا بإذنه فعلام تتوجه إلى غيره.

وكلام أبي العباس –رحمه الله– كلامٌ مفصل، قال: **"نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك"**، وهذه في الآية الأولى من سورة سبأ: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [سبأ:٢٢]، هذه رقم واحد.

"أو قسط منه"{وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ} [سبأ:٢٢]، هذه رقم اثنين.

{وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ:٢٢]، هذه رقم ثلاثة، أو يكون عونًا لله.

هذه الآية القارعة لجذور الشرك، **"ولم يبق إلا الشفاعة، فبين الله أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب"**، كما قال تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتضى} [الأنبياء:٢٨]، **"فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن"**.

وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا»، ما يكون كما يقول بعض الناس: يقول أنت آمن بالمسيح خلاص أنت أمنت بالمسيح المخلص فهو يخلصك من النار وكل شيء عند المسيح، ويوجد من المسلمين من تشبه بالنصارى وقال: كل شيء عند الجيلاني وكل شيء عند النقشبندي وسمعت بأذني من يقول: إنك إذا مت وأنت تعرف النقشبندي يكفي خلاص تعرف الله ما تعرف الله مو مهم المهم تعرف

النقشبندي، وهذا موجود في الجيلاني هذا الكلام وفي البدوي هذا الكلام وفي النقشبنيدي هذا الكلام وفي الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ هذا الكلام.

قال: **"هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن"**.

وأخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع».

وقال له أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ عشان إنعرف لمن يشفع، قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، يعني الموحدين مو المشركين، **"فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون إلا لمن أشرك بالله"**.

هنا الآن سؤال: إذا كان الأمر كذلك فما فائدة الشفاعة؟ جاء الجواب: **"وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود"**.

المقصود من الشفاعة: إظهار منزلة الشافع وإلا فالله راضٍ عن المشفوع لذلك أذن له، فجعله سببًا وليس هو الأمر إليه أصالةً.

"فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص".

أسألكم سؤال: النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لما أخبر عن الشفاعة والذين يدخلون الجنة بالشفاعات ويدخلون منهم أناس بغير حساب، ماذا قال عكاشة ابن محصن ؟ قال: أنت منهم، هذا نوع يعتبر شفاعة ولا لا ؟ قال: أنت منهم، بالله عليكم: هل قال عكاشة ابن محصن: يا رسول الله يا شفيعي ؟لا، هو دعا له، ولا ما دعا له؟ لماذا لم يقول له هذا الكلام؟ لأنه يعلم أنه من عند الله، لذلك لما لم يرد الله أن يجعله شفعيًا للآخر قال الآخر: وأنا يا رسول الله، قال: «سبقك بها عكاشة»، سبق القلم بما هو جفَّ.

المتن:

قال-رحمه الله-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود

الشرح:

وهي لعامة الخلق والورى: للإنس والجن والكفار والمسلمين لأجل إقامة القضاء والحكم يوم القيامة.

المتن:

الخامسة: صفة ما يفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولًا، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول الله تعالى":

{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:٥٦].

وفي (الصحيح) عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة:١١٣].

وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص:٥٦].

الشرح:

هذا الباب السابع عشر: أورده أيضًا على وجه إيراد الآية وبوب بالآية {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:٥٦]، ونفي الهداية هنا: هي هداية التوفيق و الإلهام، والهداية هدايتان:-

هداية الإرشاد والدلالة: وهي من الوسائل التي جعلها الله في الأنبياء وفي العلماء وفي المرسلين وهي من الوسائل التي توجد في كتاب رب العالمين وفي العلم.

أما هداية التوفيق والإلهام: فهي منتفية عن كل مخلوق، لأن القلوب بيد الله: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:٥٦].

ما وجه إيراد المصنف لهذا الباب؟ لما بين أن الشفاعة التي ربما يتعلق بها بعض الناس ويشركون من بابها ربما لا يتقرر في قلبه ما ذكر من الشفاعة فأراد أن يبين له أن أحسن الناس شفاعةً هو رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأعظم الناس نصيبًا في الشفاعات هو النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومع ذلك إذا لم يرد الله شيئًا لا يملكه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فغيره من الشفعاء من باب أولى أنهم لا يملكون شيئًا إذا لم يرد الله.

إذًا تعلق قلبك بالله الذي إذا شاء شيئًا يكون، هذا هو مقصودة من إيراد هذا الباب بعد الشفاعة: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:٥٦]، فإذا كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يستطيع أن يوفقك وأن يلهم قلب عبدٍ محبوبٍ إليه إلى

الإسلام معنى ذلك أنه لا يستطيع أن يشفع لعبد محبوب إليه إذا لم يأذن الله، حتى إذنه لعمه أبي طالب إنما كان بإذن من الله، زيارته لقبر أمه بإذن من الله، شفاعته يوم القيامة في المقام المحمود بإذن من الله، شفاعته لأهل الكبائر بإذن من الله، شفاعته لفتح باب الجنة بإذن من الله وهكذا.

أورد المصنف-رحمه الله- حديث ابن المسيب عن أبيه، سعيد ابن المسيب عن أبيه، والمسيب صحابيّ صغير شهد موت أبي طالب وهو من قريش، يقول: **"لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده عبد الله ابن أمية"**، عبد الله ابن أمية رئيس الكفار، **"وأبو جهل"**، رئيس الكفار وفرعون هذه الأمة.

فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»، بعض الناس تعلق بكلمة **"قل"**، قال ها: يكفي القول، هذا جهل لأن أبا طالب يعلم معناها وهو مصدقٌ بمقتضاه ويحتاج فقط أن يتلفظ، ما الدليل أنه عالمٌ بمقتضاه، قال: **"ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية"**، فعنده علم وما هو جاهل وهو عربي فصيح يفهم ما معنى **"لا إله إلا الله"** إذا قالها، فمعنى: **"قل لا إله إلا الله"**، يعني: إنك ما باقي لك شيء تدخل في الإسلام إلا التلفظ، مثل إنسان تيجي تقوله أسألك سؤال: من الخالق ؟ يقولك: الله، من المعبود بحق؟ يقولك: الله، من محمد؟ يقول: رسول الله خاتم النبيين، من عيسى؟ يقول: عبد الله ورسوله، يا اخي انت ما باقي لك شيء قل: لا إله إلا الله

تصير مسلم، هل معنى هذا الكلام أن قول **"لا إله إلا الله"**، هو الإسلام؟ لا، لأن المقتضيات الأخرى موجودة.

يا شباب يا أبنائي لازم ننتبه لهذه المسائل، بعض الناس يأخذ شيء ويترك أشياء، قال: «كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقالا له: **"أترغب عن ملة عبد المطلب؟"**، الله أكبر، جلساء السوء، **"فأعاد عليه النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فأعادا"**، **"لقد علمت أن دين محمد من خير أديان البرية دينا ولولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني بذاك سمحًا مبينا"**، خائف من كلام الناس بس لما يقولوا: ترك دين ابوه وترك دين جده وصار سني يقولك: طرقية.

"فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب"، طبعًا أبو طالب ما راح يقول هو، **"هو"**، من لفظ المسيب، كره أنا يأتي بضمير **"أنا"**، حتى لا ينسب إلى نفسه الكفر، وهذا من أجمل الدلالات على أن الصحابة بلغاء فصحاء، لأن عبد المطلب ما قال هو، هو أتى بالضمير أنا، لكن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كره أن يأتي بضمير خشية أن ينسب إليه، قال: **" فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله"**.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[التوبة:١١٣]، كيف تبين وبأي شيء تبين ؟ بالموت على الكفر، لكن مادام كافرًا حيًا يجوز أن تستغفر له ويجوز أن تدعو

له بالرحمة يجوز أن تدعو له بالهداية لأن هذا كلها من مقتضيات دخوله في الإسلام، اللهم تب على فلان واللهم اغفر لفلان وهو حي واللهم ارحم فلان واللهم تب على فلان واللهم وفق فلان، كل هذه مقتضيات الدخول في الإسلام، لكن إذا مات خلاص انتهى: {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة:١١٣].

{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} [التوبة:١١٤]، كيف وعده إياه؟ هو قال: {لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} [الممتحنة:٤]، {يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا}،{قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}[مريم:٤٧]، وعد ولا ما وعد؟، ولذلك جاء في سورة إبراهيم: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ}[إبراهيم:٤١]، قال: **"ولوالدي"**، دخل أبوه ولا ما دخل؟ لا، لما تبين لإبراهيم أنه مات على الكفر، ماذا قال؟ قال الله: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة:١١٤]، لذلك لا تجد في أدعيته بعد موت أبيه دعاءً لأبيه، وكل الدعاء لنفسه وذريته.

وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص:٥٦].

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير قوله: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}[القصص:٥٦].

الثانية: تفسير قوله {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة:١١٣]

الثالثة: وهي المسألة الكبرى – تفسير قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قل: لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال للرجل: «قل لا إله إلا الله». فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الشرح:

والله هذه من المصائب أن أبا جهل يدرك ما معنى **"لا إله إلا الله"**، بعض الناس اليوم يقول: **"لا إله إلا الله"** وبعدين يقول: يا مناة يا ولات، طبعًا هو ما يقول لفظ مناة وولات ولكنها ألفاظ أخرى.

المتن:

الخامسة: جدّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

الشرح:

الإمام-رحمه الله- في أحد رسائله سمّاها بـ **"الشبهة الملعونة"**، اتباع للأباء والأجداد.

المتن:

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم، اقتصروا عليها.

الشرح:

نكتفي بهذا إن شاء الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى ِآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المجلس الرابع

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، هذا هو المجلس الرابع من مجالس القراءة والتعليق على كتاب التوحيد للإمام المجدد أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ونحن في المجلس العاشر من مجالس برنامج الدورة التأصيلية الأولى المباركة، وكنا قد وقفنا على قوله -رحمه الله- في الثامن عشر: **"باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"**.

المتن:

الحمد لله رب العالمينِ، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات يارب العالمين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في **"كتاب التوحيد"**:

"باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}[النساء:١٧١].

وفي (الصحيح) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}[نوح:٢٣]، قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى

قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» [أخرجاه].

وقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

ولمسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا.

الشرح:

قوله-رحمه الله-:**"باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"**، معناه: أي أن هذا بابٌ في بيان: أن سبب كفر الناس وتركهم للدين المنزل هو الغلو في الصالحين، يعني: هذا بابٌ في بيان: أن سبب كفر الناس وتركهم للدين المنزل هو الغلو في الصالحين، والغلو مجاوزة الحد.

ما مناسبة إيراد المصنف لهذا الباب بعد باب {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} ؟

المناسبة: أن الِآية صريحة في أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقدر أن يهدي من يحب، ومع ذلك الناس يعتقدون فيه وفي الأنبياء أشياء فوق ما نفاه الله تبارك

وتعالى، ما سببه ؟ سببه: الغلو في الصالحين، والغلو في الأنبياء وجعل النصارى يعتقدون ألوهية عيسى، الغلو في الأنبياء والمرسلين والصالحين جعل اليهود يعتقدون أن عزير ابن الله، الغلو في الصالحين جعل بعض الناس يعتقد أن الأولياء حل فيهم ذات الله عياذً بالله ونحو ذلك من الكفريات والشركيات.

أورد المصنف-رحمه الله- تحت هذا الباب: آية وأربعة أحاديث:-

أما الآية: فهي قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}[النساء:١٧١]، وهي الواردة في آخر النساء: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا}[النساء:١٧١].

فليس لأحدٍ أن يغلو في الدين بهواه، فالله عَزَّوَجَلَّ قال لأهل الكتاب: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}[النساء:١٧١]، وما نهى عن هذا الشيء إلا لأنه ترتب عليه الشرك والكفر الذي بعده وهو قولهم عن عيسى: أنه ابن الله عياذً بالله، فهذه الآية من أصرح الآيات في أن الغلو في الصالحين سببٌ للكفر والشرك.

وأرود فيه حديث ابن عباس في تفسيره قول الله تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا}، **"وقالوا"**، يعني: قوم نوح، **"لا تذرن"**، يعني: لا تتركن،

والنون هنا: نون التوكيد الثقيلة، **"لا تذرن آلهتكم"**، أصنامكم ومعبوداتكم، {وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا}، الأول عام والثاني خاص، **"لا تذرن آلهتكم"**، معبوداتكم، {وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا}، هذا خاص، {وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، خمسة أشياء: **"ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر"**.

قال ابن عباس مبيّنًا ما سبب كفر قوم نوح ؟ قال: **"هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم"**، حطوا علامات تدل على أن هذا ود وهذا يغوث وهذا يعوق وهذا نسر، **"ففعلوا، ولم تعبد"**، لأنهم يعلمون أنهم رجال صالحين، يجون إلى المجلس يشوفون ما يدل على صورة ود ويغوث ويعوق ونسر فيتذكرون الله فيعبدون الله، **"حتى إذا هلك أولئك"**، أي الذين نصبوا هذه الأنصبة، وهذا دلّ على قلة علمهم و إن لم يشركوا لكن قلة العلم مصيبة وسببت لهم وضع الأوثان، **"حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت"**.

وقال ابن القيم وجمع كلام بن عباس وغيره من السلف: **"قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم"**، يعبدون الله وما يعبدون المقبورين، هذه الخطوة الأولى هي عبادة الله في مكان لم يشرعه الله، هذه الخطوة الإبليسية الأولى، مثل ما يقول بعض الناس: احنا نيجي عند القبر نعبد الله، هذه واحد.

"ثم صوروا تماثيلهم"، وضعوا صورة للأنبياء كما فعل النصارى ووضعوا صورة لعيسى وهؤلاء وضعوا صورة ود ويغوث ويعوق ونسر، **"ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"**، مع الله، وما معنى عبدوهم؟ موصلو لهم فحسب، قالوا: نحن نصلي لها وهي تقربنا إلى الله، نحن نستغيث بها وهي تطلب من الله، وهذا هو عين أعمال المشركين اليوم، يقولون: نحن نطلب من الولي والولي يطلب من الله، هذا هو عمل المشركين الأول.

وأورد حديث عمر، والشاهد فيه: النهي عن الإطراء والمديح الزائد الذي يكون فوق ما جاء في الشرع، «لا تطروني»، أي لا تمدحوني «كما أطرت النصارى ابن مريم»، أي كما مدحت النصارى ابن مريم، مديح النصارى أنهم قالوا: ابن الله، «إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

قال الإمام محمد-رحمه الله-: عبدٌ لا يُعبد رسولٌ لا يُعصى صلوات ربي وسلامه عليه، هذا هو الوسط الذي أمرنا به، هذا هو التوسط والوسطية: لا نعبد الأنبياء والمرسلين ولا نخرج عن طاعتهم، إياكم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»، ومع الأسف وقع من بعض المسلمين من قال: دع ما ادعته النصارى في نبيهم ثم قل ما شئت بعد من مدح، هذا غير صحيح ولا يجوز أن يمدح الرسول بما ليس فيه.

أيهما أعظم من يقول ان عيسى ابن الله تعالى الله عن ذلك؟ أيهما أعظم جرمًا؟ كله جرم، لكن أيهما أعظم من يقول ان ابن مريم هو ابن لله وثلاث ثلاثة ولا

من يقول إن الدنيا والآخرة من فعل رسول الله، أيهما أعظم؟ يعني الله ليس له فعل ؟ يقول قائلهم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عياذً بالله من الغلو ما يستحي الإنسان من حكايته فضلًا عن اعتقاده يقول قائله: إن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم، لو قال القائل يخاطب الله: إن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم لما عرف أحد ولا خطه أحد.

نقول نعم صحيح: الدنيا والآخرة من جود رب العالمين، واللوح والقلم من علوم الله عَزَّوَجَلَّ، هو جعل هذا كله التي هي خصائص رب العالمين جعلها للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»، ظن المسيكين إن «كما أطرت»، يعني تقول: ابن الله بس، طيب إذا قلت: لا تقلل: ابن الله ،تقول: هو فوق الله، جائز ؟ هذه غباوة أو تغابي، «إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وأما الحديث الثالث: عن ابن عباس، فوجه الشاهد فيه: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذرًا من الغلو: «إياكم والغلو»، و**"إيا"**، بمعنى أداة تحذير، أحذركم من الغلو **"إياكم"**، احذروا من الغلو، وهذا الكلام متى قاله ؟ قاله وهو يأخذ حصى الجمار في يده ويقول: «بمثل هذا فارموا وإياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»، هذا كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **"إنما"**، أداة حصر، ما سبب هلاك من قبلنا ووقعوهم في الشرك وفي عذاب الله ؟ الغلو، ولهذا يقول العلماء:

"أعظم سبب من أسباب وقوع الناس في مخالفة أمر الله هو الغلو في الصالحين".

وأما الحديث الرابع: فوجه الشاهد فيه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا، و **"المتنطع"**، هو الغالي في الكلام والغالي في الفعال يسمى متنطعًا، وأما المتفيهق فهو الغالي في الكلام فقط، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «هلك المتنطعون».

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: معرفة سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الشرح:

سبب قبول البدع: هو الغلو، ما يمكن إنسان يقبل البدع إلا بسبب الغلو فهو يغلو في العبادة ويجيب شيء جديد، يغلو في فلان ويقبل كل ما يقوله.

المتن:

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

الشرح:

خلط الباطل بالحق، محبة الصالحين دين، لكن الغلو فيهم بدعةٌ وضلالة، فالخلط بينهما ترويجٌ للباطل.

المتن:

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الشرح:

تفسير الآية التي في سروة نوح: يقولون لنوح: {لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح:٢٣]، أذكر أني كنت أطوف فإذا بشخص في طوافه كله ما عنده ذكر إلا يا فاطمة الزهراء يا فاطمة الزهراء، في الطواف، فما صبر قلبي والله أتيته بالتي هي أحسن وقلت له: يا أخي أنت عند

الكعبة وعند بيت الله قل: يا الله، نظر إليّ نظرة احتقار وتركني ومشى، وأنا في قرارة نفسي أقول: إن شاء الله إني لا أراه مرة أخرى.

وفي تقدير الله عَزَّوَجَلَّ أني بعد طوفة أو طوفتين وإذا أنا بجواره ونفس الدعاء يا فاطمة الزهراء يا فاطمة الزهراء، قلت له: نادي الله عَزَّوَجَلَّ الذي خلق فاطمة الزهراء فنظر إليّ نظرة خشيت أن يضربني فخفت وابتعدت عنه فهو رجلٌ ضخم وكان هذا في طواف الوداع والناس لابسين كل واحد.

وبعد طوفة أو طوفتين وأظنها الأخيرة بالنسبة لي وإذا بي أراه ونفس الدعاء يا فاطمة الزهراء يا فاطمة الزهراء، فرفعت صوتي وقلت: يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم يا من خلقت محمد وفاطمة وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي، فنظر إليّ هكذا وأنا لابس ملابس فمسكني هكذا ودفني وقال: أنت لك الله وأنا لي فاطمة، قلت: الحمد لله رضيت بذلك، هذه مصيبة.

المتن:

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الشرح:

القاعدة الكلية: النهي عن الغلو قاعدة مضطردة، أي غلوٍ منهي عنه في الأقوال في الأفعال في الاشخاص في الذوات في الهيئات في العبادات في الطاعات في

المباحات، كل غلوٍ منهي عنه هذه قاعدة مضطردة، وذلك لأنه ولو كان في مثل رمي الحصاة سيؤدي إلى ضلالات.

المتن:

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الشرح:

هذا موجود عند بعض الناس يقرأ هذه القصة في كتب التفاسير ثم هو يغلو في شيخه غلوًا لم يحصل حتى من قوم نوح، وهذا سمعته بأذني: أن شخصًا يقول: النقشبندي هو الله والله هو النقشبندي، هذا سمعته بأذني من إنسان يقول هذا الكلام عياذً بالله، وهذا والله ما قاله قوم نوح قالوا: {وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ} [يونس:١٨].

المتن:

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

الشرح:

وهذا مُشَاهد: في أي مكان لا تجد علمًا تجد الخرافة والشركة والبدعة، وفي أي مكان تجد السنة وتجد أهل السنة تجد إماتة البدعة ولله الحمد والمنة.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده"

في (الصحيح) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا

فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله»، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: «لما نُزل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا، [أخرجاه].

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعًا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» [رواه أبو حاتم في صحيحه].

الشرح:

قوله –رحمه الله–:**"باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده"**، أي هذا بابٌ في بيان: أنه قد جاء التغليظ فيمن يعبد الله عند قبور الرجال الصالحين، جاء التغليظ من الشرع فيمن يعبد الله عند قبور الرجال الصالحين، فكيف بمن يعبدهم؟ لا شك أن الذي يبعدهم أعظم وأشد إغلاظًا عليه من الشارع.

ومناسبة هذا الباب: أنه لما سبق ذكر أن الغلو سبب الشرك وسبب ضياع الدين بيّن في هذا الباب صورة من صور الغلو في الصالحين وهو عبادة الله عند قبورهم، صورة من صور الغلو في الصالحين هذا هو وجه المناسبه وهو: عبادة الله عند قبور الرجال الصالحين.

أورد المصنف–رحمه الله– تحت هذا الباب: أربعة أحاديث كلها تدل على التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف بمن يعبد غير الله؟

وانتبهوا الآن: صرف العبادة لغير الله يساوي شرك، صرف العبادة عن الوجه الشرعي يسمى بدعة، هو الآن يعبد الله إذا ما حصل شرك لكن عبد الله في مكان لم يشرعه الله ورسوله صار بدعة، فلا نخلط الأمرين: فيه عندنا شرك وفيه عندنا

بدعة، الشرك: صرف العبادة لغير الله، البدعة: صرف العبادة عن الوجه المشروع إلى صورة وهيئة غير مشروعة.

أورد المصنف أربعة أحاديث كلها تدل على التغليظ فيمن عبد الله عند الصالحين:

أولها: **"حديث عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أن أم سلمة"**، وهي من المهاجرات الأول للحبشة، **"ذكرت لرسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كنيسة رأتها في أرض الحبشة"**، طبعًا تعرفون أن الحبشة كلهم كانوا نصارى، **"وما فيها من الصور"**، وفيها دلالة على جواز دخول الكنائس وهي لو لم تدخل لما رأته، ودل على أنها دخلت الكنيسة ورأت هذه الصور.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولئِكِ»، صلحوا الفتحة حطوها كسرة لأن الخطاب لها، **"أولى"**، اسم إشارة والكاف كاف الخطاب، «أولئِكِ»، أي هؤلاء المشار إليهم يا أم سلمة «إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح»، الرجل الصالح في زعمهم ، والعبد الصالح في زعم الكنيسة، «بنوا على قبره مسجدًا»، يعني: معبد ويقال له المسجد: يعني مكان العبادة.

«بنوا على قبره مسجدًا»، يعني: معبد، لذلك الآن أكثر كنائس النصارى القديمة إنما هي مبنية على أسماء الصالحين منهم كنيسة القديسة فلان وكنيسة القديس فلان وكنيسة البابا فلان بأسماء من هم مدفونون في هذه الكنائس، «بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئِكِ شرار الخلق عند الله»،

فوجه الشاهد فيه: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حذّر من الأمرين: من عبادة الله عند هذه القبور ومن التصوير وغلّظ القول عليهم بقوله: «أولئِكِ شرار الخلق عند الله»، قال: **"فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل"**.

وأما الحديث الثاني: ولهما عنها قالت: «لما نُزل برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، **"نُزل"**، مبني للمجهول وأصله نَزلَ، نزل الموت أو المرض أيًا كان هو مبهم الفاعل، «لما نُزل برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه»، **"خميصة"**، قطعة من الخماش يطرحها على وجهه ويمسح بها عرقه.

«فإذا اغتم بها كشفها»، يطرح القميص على وجهه ثم إذا اغتم بها يعني: كاد نفسه أن ينقطع أخرها، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى»، تغليظ عجيب، لماذا لعنة الله على اليهود والنصارى؟ هل لأنهم يهود أو نصارى؟ الجواب: لا، إذًا لماذا لعنة الله عليهم؟ للفعل الذي فعلوه، ما هو الفعل الذي فعلوه؟ «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، ما هو سبب اللعن؟ ليس سبب اللعن كونهم يهود أو نصارى، سبب اللعن كونهم «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

تقول أم المؤمنين عائشة: **"يحذر ما صنعوا"**، أي تحذير أبلغ من هذا، **"ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا"**، يعني: لولا هذا المعنى لكان قبره بارز وما كان في حجرته، لأجل هذا المعنى جعل قبره في بيت أم المؤمنين

حتى لا يكون بارزًا للناس، سبحان الله العظيم: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن اليهود والنصارى لأنهم «اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد»، وفي رواية: «وصالحيهم».

وبين ابن عباس: أن سبب ضلال قوم نوح سوء فعل علماءهم الذي صوروا تلك الصور لأولئكم الصالحين، ثم يأتي إنسان اليوم ويحتج بفعل أمراء الوقت الذين أدخلوا بيت عائشة في المسجد كما فعله بعض خلفاء بني أمية ويحتجون بالفعل على تجويز الأمر ويتركون أقوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصريحة البينة الواضحة، يحتجون بفعل الملوك على جواز اتخاذ القبور مساجد، هذا من أعجب ما يكون.

وأما الحديث الثالث: حديث جندب بن عبد الله قال: **"سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس"**، تأملوا معي: خمس ليالي، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي يوم الاثنين، معنى هذا الكلام: أن بيانه كان في أي يوم ؟ إذًا يوم الخميس، يوم الخميس قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد نشط فوعظ الناس، خميس جمعة وسبت وأحد والاثنين توفي، قبل أن يموت بخمس ماذا قال ؟ قال وهو على المنبر: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل»، **"الخلة"**، شدة المحبة.

«فإن الله قد اتخذني خليلًا»، أصبح قلبه مخاللًا لربه، « كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا»، دلّ على عظيم محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت

أبا بكر خليلًا»، اسمعوا للتحذير الآن: «ألا»، أداة تنبيه، «وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»، هذا الآن خبر، لماذا يحذر قبل أن يموت بخمس من هذا الفعل ؟ «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

في الأولِ: بيّن حكم الخاص: أنهم كانوا يتخذون قبور أنبياءهم مساجد، وفي الثاني: بنى عليه تحذيرًا عامًا: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد»، أي قبر لا تتخذه مسجد ولا تتخذه مكان عبادة وما يصير تصلي في المقبرة عند القبور لا تصلي ولا تسجد ولا تركع «فإني أنهاكم عن ذلك».

أولًا فعل وبيّن أن هذا كان فعل من كان قبلنا وبيّن أنه يحذرنا من ذلك ثم نهى: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد»، ثم صرّح وقال: «فإني أنهاكم عن ذلك».

لهذا قال المصنف: **"فقد نهى عنه في آخر حياته"**، هذا واحد.

"ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله"، هذه اثنين، كيف لعن؟ لأن حديث عائشة في نفس المقالة: «لعنة الله على اليهود والنصارى».

"والصلاة عندها من ذلك"، إذا كان نهى عن البناء على القبور، فالصلاة عندها من ذلك المنهي عنه.

"وإن لم يُبْنَ مسجد"، قد يقول قائل: ما أبني مسجد ولكن أصلي، البناء على القبر منهي لأجل ألا يتخذ معبدًا فإذا اتخذ معبدًا فالمعنى وجد لو بدون البناء، فحكمه واحد، **"وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا"**، هذه شيء مؤكد.

إذاً لماذا هي تقول: خُشي؟ أي خشي يعني: يُتخذ مسجد مُصلى ولو من غير بناء من غير الصحابة، ما هو من الصحابة فالصحابة عندهم هذا الشيء معلوم، **"وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا"**، هذا بالاتفاق، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا». ما معنى مسجدًا؟ مكان الصلاة.

وأما الحديث الرابع: حديث الإمام أحمد عن ابن مسعود مرفوعًا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»، بالله عليكم أي أمر أغلظ من هذا، **"باب من جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف من يعبده"**.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: ما ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك. كيف بيّن لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذه مسجدًا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجدًا وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم

الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الشرح:

وهم أول من بنى علبيه المساجد: يقصد العُبيّديين الذين كانوا في مصر ويسمون أنفسهم بالفاطميين زورًا وبهتانًا وهم أول من بنى على القبور المساجد واتخذوا قبور الصالحين مساجد، أما قبل القرن الرابع ما كان أحد من السلف يتخذ القبر مسجدًا أبداً.

المتن:

الثانية عشرة: ما بلي به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

الشرح:

"كتاب التوحيد"، من أحسن المؤلفات في بيان توحيد الألوهية، والعجيب أن أعداء التوحيد يقرأون هذا الكتاب ولا يستطيعون الرد عليه لأنه قال الله وقال الرسولِ، من يستطيع أن يرد على قال الله وقال الرسول؟!

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله"

روى مالك في (الموطأ): أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى} [النجم:١٩]، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «لعن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». [رواه أهل السنن].

الشرح:

قوله –رحمه الله-: **"باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله"**، أي: أن هذا بابٌ في بيان: أن الغلو الذي يصدر من بعض الناس في قبور الصالحين يجعل نهاية الأمر إلى أن يصبح هذا المكان وثنًا يُعبد مع الله تبارك وتعالى، ،و هذا مشاهد وواقع.

ومناسبة هذا الباب: أنه لما بين أن الغلو في الصالحين سبب ضلال الناس عن الدين، وفي الباب الذي بعده: بيّن أن عبادة الله عند قبور الصالحين منهيٌ عنه، أراد –رحمه الله أن يبين أمرًا واقعيًا: وهو أن الغلو في قبور الصالحين هو سبب

الشرك وسبب الوثنية وسبب وقوع الناس في تسمية هؤلاء مع العبادة مع الله تبارك وتعالى، فهذه مناسبة ظاهرة.

أورد المصنف-رحمه الله- في هذا الباب: حديثين وأثرين:

أما الحديث الأول: فما رواه مالك في (الموطأ): أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا ربه وطلب من ربه أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، والفرق بين الوثن والصنم، الوثن: كل شيء عُبد مع الله وليس له صورة وهيئة معينة، فالقبر المعبود مع الله يسمى وثنًا والصليب يسمى وثنًا وأي شيء يعتقد في أنه ينفع ويضر مع الله فهو يسمى وثنًا خيطًا حديدةً حجابًا أي شيء، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»، هذا دعاءه لنفسه، ثم قال محذرًا إيانا: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قال العلامة ابن القيم: **"وقد استجاب الله دعاء نبيه فلم يستطع أحد من المشركين أن يعبد قبره مباشرةً"**، هذا من استجابة الله لرسوله، بل إن من المشركين ممن ينتسبون إلى الدين من يعبدون بعض الصالحين أشد من عبادتهم لرسول الله فإذا تأملت في ذلك لا تجد سبب إلا أن الله صرفهم عن عبادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك تجد الناس يقولون: يا بدوي يا جيلاني يا نقشبندي وقلة من الناس من يستغيث برسول الله، تجد أن قبر البدوي يعبد وقبر السيدة زينب تعبد وقبر الحسين يعبد وقبر الجيلاني يعبد وقبر النقشبندي يعبد،

وقبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصان محفوظ بحمد الله وهذا من فضل الله تبارك وتعالى.

قال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد»، ونحن ولله الحمد لم نتخذ قبر رسول الله مسجدا، لأن قبره في بيت عائشة ومسجده كان مفصولًا عن قبره فإدخال القبر في بناء المسجد لا يغير حكم المسجد الأول ويبقى القبر قبرًا، والحمد لله أنه محاطٌ بثلاثة جدان.

ثم أورد فيه أثر مجاهد في قوله عَزَّوَجَلَّ:{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}[النجم:١٩]، قال في تفسير اللات: كان يلت لهم السويق، يلت لهم: أي للحجاج، السويق: الخبز الجاف ويجعله في مرق أو في إدام، فمات، وهو كان رجل صالح يطعم الحجاج، فمات، فعكفوا على قبره، عبدوه، وعلى تفسير ابن عباس من رواية أبي الجوزا: كان يلت السويق للحاج، رجل صالح، فاشتدوا غلوًا فيه حتى عبدوه مع الله، ،هذا فيه دلالة على أن الغلو في الصالحين يصيرهم أوثانًا.

والأثر الثاني: وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»، هذا الحديث صحيح المعنى، ويدل له رواية: «لعن الله زوّرات القبور»، وزوّرات هي صيغة مبالغة، وزائرات اسم الفاعل، «لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليه المساجد والسرج».

"زائرات القبور ملعونات" لأنهم إذا زرن المقابر يحصل لهن الخوف الشديد والكدر على حياتهن مع أزواجهن ويحصل لهن الفزع، بل وربما يحصل منهن

العويل والاستغاثة بالموتى، **"والمتخذين عليها المساجد"**، أي أن الرسول لعن المتخذين على القبور المساجد، و**"السرج"**، هم الذين يوقدون الشموع على الأموات أو اللمبات ونحو ذلك، وإنارة القبور تدخل في اللعن ولا يجوز إنارة المقابر إلا إذا كانت الإنارة للطرقات فهذا لا بأس به، أما أن يجعل على كل قبر إنارة وضوء هذا لا يجوز، أما إذا كانت المنارات للطريق المؤدية للقبور لا بأس.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الشرح:

أين استعاذته مما يخاف وقوعه؟ هو اللجأ إلى الله: «اللهم»، هذا نوع من الاستعاذة، «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»، فهذا بمعنى الاستغاثة وبمعنى الاستعاذة، هو يطلب العوذ أن يكون قبره وثنًا يعبد ويطلب اللجأ والصون والحفظ.

المتن:

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها – معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

الشرح:

لماذا عبدت؟ لغلوهم في الرجل اصالح.

المتن:

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زَوَّارَات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

الشرح:

وهنا لم يذكر لعن آخر لأنه مر وهو لعن المتخذين عليها المساجد.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك"

وقول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} [التوبة:١٢٨].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». [رواه في المختارة].

الشرح:

قوله-رحمه الله-: **"باب ما جاء في حماية المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك"**، أي هذا بابٌ في بيان: الوسائل والطرق التي تدل على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصطفى المختار حمى جناب التوحيد، وجناب التوحيد: أي الأمور الموصلة إلى نقضه ومعناه: أنه وضع حول التوحيد أسورةً وجدرًا حتى يُحمى ويُحفظ التوحيد.

وجناب الشيء طرفاه، فإذا حفظ الأمر من الطرفين فإنه يكون مصونًا، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك: أي أنه عليه الصلاة والسلام أغلق الأمور الموصلة إلى الشرك، فهو عليه الصلاة والسلام لم يحذر من الشرك فحسب حذر من الشرك وحذر من الأسباب، والطرق الموصلة إليه لفظيةً كانت أو

عملية، نفسية كانت أو ظاهرة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن هذا كله، هذا مراده -رحمه الله-.

ووجه المناسبة لهذا الباب بالباب الذي قبله: أنه ربما يطرى في بعض أذهان الناس أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد، الغلو يسببها الشرك، فهل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي نهى عن الغلو نهى عن الأسباب الموصلة إلى الغلو ؟ الجواب: نعم، هذا وجه مناسبة هذا الباب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينهى عن الغلو فحسب بل نهى عن أدنى من ذلك وهو أنه نهى عن الأمور الموصلة إلى الشرك وهي الأسباب والطرق التي توصل إلى الشرك ليس فقط الغلو نفسه بل الأمر أعظم من ذلك.

أورد المصنف-رحمه الله- تحت هذا الباب: آية وحديثين:

أما الآية فقوله جل وعلا: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[التوبة:١٢٨]، ووجه الشاهد فيه: قوله: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}، يعزّ عليه وقوعكم في العنت وفي مخالفة الشرع، يغضبه أن تقعوا فيما يخالف أمر الله، ويتأسف على حالكم إن وقعتم في مخالفة دين الله عَزَّوَجَلَّ، ثم هو حريصٌ عليكم وهذا هو الأمر الثاني، ثم هو رؤوف رحيم بالمؤمنين فقال: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

هذه الصفات الثلاث تجعلنا نستيقن أنه عليه الصلاة والسلام حمى جناب التوحيد وسد كل طريق موصل إلى الشرك، لأن من كان هذا وصفه فإنه يكون لا شك يؤدي البلاغ المبين.

وأما حديث أبي هريرة: فوجه الشاهد فيه: النهي من جهتين: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا»، هذا النهي الأول، إذًا معنى هذا الكلام: أنه ينبغي أن نصلي في بيوتنا وأن نقرأ القرآن في بيوتنا، إذًا لا يجوز لنا أن نصلي في القبور ولا أن نقرأ القرآن في القبور، هذا هو الوجه الأول.

لماذا لا يجوز أن نصلي في القبور وأن نقرأ القرآن في القبور؟ ليس لأن الصلاة لله أو القراءة لله، ولكن لأن هذا مكان يخشى أن يعبد فيه غيره مع الله، «لا تجعلوا بيوتكم قبورا»، صلوا في بيوتكم واقرؤا القرآن في بيوتكم «لا تجعلوا بيوتكم قبورا»، المقبرة لا يصلى فيها ولا يقرأ فيها القرآن، هذا وجه الشاهد الأول للباب،سد هذا الباب، قال: لا تقرأ في القبر ولا تصلي في القبر ولا تجعل بيتك مثل القبر، اقرأ في بيتك القرآن وصلي في بيتك.

«ولا تجعلوا قبري عيدا»، هذا الوجه الثاني: أنه سد حتى هذا الباب، «لا تجعلوا قبري عيدا»، ما معنى العيد؟ العيد هنا: مقصود به معنيان:

لا تجعلوا قبري موضعًا للاجتماع وتجتمعون عنده، وهذا من معاني العيد هو الاجتماع.

الثاني: أي مزارًا تزورنه بين الفينة والفينة، لأن المقصود من زيارة القبور تذكر الآخرة وهو يحصل بأي قصد، فمعنى هذا الحديث: أنه لا يجوز لنا أن نشد الرحل إلى قبره صلوات ربي وسلامه عليه، وهذا جاء مصرحًا: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، فلا يجوز للإنسان أن يشد رحله لأجل زيارة قبر رسول الله.

وما جاء في بعض كتب الفقهاء من جواز زيارة قبر رسول الله فهذا حق لا ينكر ولكن ليس معناه جواز شد الرحل، العلماء السابقين أرادوا شيء واللاحقين فهموا شيء فوقعوا فيما نهى عنه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، مثل علماء قوم نوح: الأولين الذين اتخذوا قبور الصالحين جعلوها أوثان لهم أرادوا شيء، ماذا أرادوا ؟ أرادوا إذا رأوهم أن يذكروا الله، والذين بعدهم فهموا شيء آخر أن هؤلاء ما وضع لهم هذه الأوثان إلا لأجل أنهم شفعاء عند الله فعبدوا مع الله.

فالعلماء السلف الصالحين والفقهاء السابقين نصوا على استحباب زيارة قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وما هو مقصودهم شد الرحل ولكن مقصودهم: أنك إذا وصلت المدينة يندب في حقك أن تزور قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقبر أبي بكر وعمر وقبور شهداء أحد وقبور البقيع، ليس المقصود أنك تنوي بشد الرحل القبر، هذا ليس مقصودهم لأن النبي صلى الله عليه سلم نهى عن شد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد، فرق بين الأمرين.

قال : «لا تجعلوا قبري عيدًا»، قد يقول قائل: أنا بروح أصلى عند القبر، فجاء النهي لغلق هذا الباب قال : «وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت»، يعني أنت إذا رحت عند القبر وقلت: السلام عليك يا رسول الله، أنا بسألكم سؤال: لو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي وهو رأى هذا الجدار في القبلة وأنت في الصف الأول وتقول في نفسك: السلام عليك يا رسول الله ، كان يسمعك ؟ سبحان الله سبحان الله، إذا كان لا يسمع حال حياته وهو من وراء جدار وصوتك منخفض فكيف يسمعك بعد الموت عند القبر، هذا والله من التناقض العجيب، قالوا حديث «من صلى عليّ عند قبر بلغني» حديث لا يصح.

هذا الحديث هو الحديث الصحيح: «وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت»، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يسمع وهو في عالم البرزخ ولا بد من واسطة يبلغ «فإن لله ملائكةً سيارين يبلغونني عن أمتي السلام».

وأما الأثر الثاني: حديث علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو الملقب بزين العابدين وهو إمام من أئمة السنة وإن ادعت الشيعة أنه من أئمتهم فنحن نقول: هو من أئمتنا هو ووالده وجده وعمه فكلهم من أئمة أهل السنة وابنه محمد ابن علي وابنه جعفر بن محمد بن عليّ، فكلهم من أئمة السنة.

وعن علي ابن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**"**، الظاهر أن الجدار انصدع فوجد الرجل فتحة يرى فيها القبر فيدخل فيها فيدعو، يدخل من الفرجة إلى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

"فيدعوا، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **"**، من هو ابوه ؟ الحسين، عن جده؟ عليّ ، عن رسول الله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إذًا هذا الحديث مسلسل بآل البيت: علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي ّعن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه الضياء المقدسي في المختارة.

المتن:

قال –رحمه الله تعالى –: فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

الشرح:

نعم، هذا هو الذي جاء: عرض الصلاة والسلام عليه، أما حديث: «حياتي خير لكم ومماتي خيرٌ لكم تعرض عليّ أعمالكم»، فهذا حديثٌ ضعيف، ولو عرضت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعمال أمته كل يوم لما تهنأ بالعيش في الجنة وتنكت في عالم البرزخ، وما عند الله خيرٌ وأبقى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم، فالذي يعرض من أعمالنا على رسول الله هو ما جاء في النص ولا نتعدى النص الثابت، وقد جاء في النص أن الذي يعرض من أعمالنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاتنا وسلامنا.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان"

وقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء:٥١].

وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة:٦٠].

وقوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} [الكهف:٢١].

عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا»، ورواه البرقاني في صحيحه.

وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

الشرح:

قول المصنف: **"باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان"**، أراد به: بيان أن الشرك سيقع في هذه الأمة كما وقع في الأمم السابقة.

ووجه المناسبة: أنه لما بيّن في الأبواب السابقة خطر الغلو وخطر عبادة الله عند قبور الصالحين، وحماية جناب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجناب التوحيد، فربما يقول قائل: لماذا هذا كله وهذه الأمة أمة توحيد؟ فأراد المصنف أن يبين أنه قد جاءت الآثار والأحاديث والآيات التي تدل على أن بعض هذه الأمة ستنقلب على عقبها ويصبح حالها حال المشركين، وهذا فيه رد على من يزعم أن أهل الإسلام لا يقعون في الشرك كأن عندهم خاتم لا يمكن أن يشركوا.

ويستدل بعضهم على نفي الشرك عن هذه الأمة بحديث: «إني لا أخاف عليكم الشرك ولكن أخاف أن يرجع بعضكم إلى بعضٍ يضرب رقاب بعضكم بعضا»، أو حديث: «إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم»، يستدل بعضهم بمثل هذه الأحاديث، مع أن الخطاب فيه للصحابة ما هو لعموم الأمة، وأما عموم الأمة فقد جاءت الآيات والأحاديث الدالة على وقوع الشرك.

فأورد المصنف تحت هذا الباب: ثلاث آيات وثلاثة أحاديث:

أما الآية الأولى: فقوله عَزَّوَجَلَّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[النساء:٥١]، طيب هم أوتوا نصيب من الكتاب وعندهم قرآن، كيف يؤمنون بالجب والطاغوت؟ الله ما ذكر لنا هذه إلا لنحذر

حتى لا نكون مثلهم عندنا كتاب الله ثم نقع في الشرك والكفر، هذا الدليل الأول.

الدليل الثاني: والشاهد فيه قوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة:٦٠]، ما وجه الإيراد؟ وجه إيراد هذه الآية: أن الله أخبر أن الذين قبلنا من أهل الكتاب: لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وجعل منهم من يعبد الطواغيت، إذًا لا يجوز لنا نحن أن نأمن، ما بيننا وبين الله عَزَّوَجَلَّ عهد أن هذه الأمة لن تقع في الشرك، بل ما ذكر الله ذلك إلا لنحذر من فعالهم وصنائعهم.

وأما الآية الثالثة: آية الكهف: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}[الكهف:٢١]، ووجه الشاهد فيه: أن الحكم للغالب، والغالب هم الذين قالوا: {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}، قال العلماء منهم: {فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ}[الكهف:٢١]، صكروا الغار و خلاص هذا كلام العلماء منهم، لكن الناس ما يسمعون كلام العلماء، الناس يسمعون كلام المتغلبين: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف:٢١]، مالنا شغل فيكم، انتوا تقولوا: حط بنيان صكروا الغار ؟ لا، احنا نحط مسجد هنا.

فبيّن الإمام في إيراده لهذه الآية: أن الحكم للمتغلبين وليس الحكم للعالمين، هكذا أخبر رب العالمين، فإذا كان الأمر كذلك في الأزمنة السابقة فيكون الأمر

كذلك في الأزمنة اللاحقة، ونحن نرى ونشاهد كيف أن الحكم يكون للغالب والمتغلب.

وأما الأحاديث:

فالحديث الأول: وجه الشاهد فيه: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، هذا واضح: وقعوا في الكفر ستقع هذه الأمة، وقعوا في الشرك تقع، وقعوا في الغلو ستقع هذه الأمة، قال: «حذو القذّة بالقذّة»، والقذّة هنا: أطراف الريش السهم، السهم هكذا يكون مسنن ثم في جهة الطرفين يكون له أسنان هكذا ولا بد أن تكون متساوية حتى لا تميل إلى اليمين واليسار عند تسديد الهدف، والمقصود: شدة التشبه بهم عياذاً بالله: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

في الأمس القريب، رأينا رجل راكب موترسيكل وهو قد لبس قميصًا عليه صورة جمجمة، فتذكرت هذا الحديث: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، وضعوا صورة جمجمة وضعنا صورة جمجمة، نسأل الله السلامة والعافية، «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، كناية إلى أنهم يُتبعون في كل شيء، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟، يعني ما فيه أحد يسايركم ويسايسكم إلا هؤلاء، نسأل الله جل وعلا أن يردنا إلى ديننا ردًا جميلا.

وأما حديث ثوبان: فوجه الشاهد فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في آخر هذا الحديث أن هناك طائفة من هذه الأمة باقية، قال: «وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم»، فبيضة الإسلام باقية، ليس مقصود

المصنف **"باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان"** أن كل الأمة يعبد الأوثان لا، لأن الحديث: «فيستبيح بيضتهم»، فبيضة الإسلام لا تستباح وباقية ولله الحمد والمنة، ما الذي يستباح إذًا ويُدخل فيها الشرك والبدعة والضلال والتسلط من الكافرين ؟ إنما يكون لبعض أطراف أهل الإسلام وبعض أهل الإسلام وليس كل أهل الإسلام.

«قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة»، مجاعة عامة تصيب كل أهل الإسلام هذا غير موجود، تأتي المجاعات في أطراف لبلاد المسلمين، «وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم»، ما يمكن أن الكفار يتسلط علينا إلا إذا كان هناك من يعينه من داخلنا، فمثلًا: إذا جاء الكفار وأرادوا احتلال بلاد المسلمين لا يمكن إلا أن يكون هناك أعوان من المسلمين معهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها اللي هو الشرق والغرب والأمم المتحدة كلها تجتمع وتريد إهلاك بيضة الإسلام وتريد تدمير مكة والمدينة لا تستطيع حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضا.

ويؤكد هذا المعنى ما جاء في الحديث الثالث: وهي رواية البرقاني في صحيح البرقاني والمختار، هذان الكتابان بعض علماء الحديث يجعلهما في مصاف صحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان، **" صحيح البرقاني والمختار للضياء**

المقدسي"، من شدة عنايتهما بالأحاديث يجعلهما في مصاف صحيح ابن حبان وابن خزيمة، ولكنهما كتابان غير مشهوران لتأخرهما.

قال: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»، معناه: أن فيه أئمة مضلين يلبسون لباس الدين وهم يضلون المسلمين لجهلهم أو لقصدهم، «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين»، هذا صريح، هذا الباب: **"باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان"**، صريح، «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون».

هذا القادياني يدعي انه مسلم والثاني القادنيون يدعون الإسلام ويقولون: إن غلام أحمد القادياني رسول من الله، أي إسلام هذا وأي دين هذا، إذا كان الذي يدعي أن غلام أحمد القادياني رسول من الله يكون كافر خارج عن الإسلام، فكيف بمن يعبد غير الله؟ الذي يعبد غير الله أشد.

قال: «كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»، جعلنا الله وإياكم منهم.

المتن:

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟: هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلًا من المؤمنين.

الشرح:

لا شك أن الإيمان بالجبت والطاغوت: المقصود به: اعتقاد القلب، وأما موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها: فهذا فيه تفصيل، فإن كان مع الإكراه فهذا لا يضر لأن الله رفع الإكراه، وإن كان الناس يوافقون أصحاب الجبت والطاغوت ويبغضونها في قلوبهم ويعرفون بطلانها لكنهم يوافقون عليها لدنيا فهذا أيضًا فيه تفصيل.

المتن:

السادسة: وهي المقصود بالترجمة – أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

الشرح:

مع أن بعض الناس اليوم يؤلف مؤلفات أن الأمة الإسلامية لا تقع في الشرك كأنه لا يرى الكفر ولا الشرك الواقع في الأمة، مغمض عيونك؟! ما ندري إذا

كان الكفر والشرك لا يقع في الأمة ليش الفقهاء في كل مذهب يضعون **"باب أحكام المرتدين"**، ليش أبو بكر يقاتل المرتدين إذًا؟! سبحان الله العظيم.

المتن:

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب خروج من يدّعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق وفيه أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح. وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

الشرح:

المختار ابن أبي عبيد الثقفي الكذاب المبير هذا الرجل خرج في آخر عهد الصحابة ومع ذلك وجد من الناس من يتبعه وهو يدعي النبوة، فكيف إذا خرج إنسان يدعو الناس إلى عبادة غير الله سيجد من يتبعه.

المتن:

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

الشرح:

نسأل الله أن يجعلنا من مناصريه ومن معاونيه ومن مظهريه.

المتن:

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

الشرح:

فانتشر دين الإسلام شرقًا وغربًا، شرقًا حتى وصلِ إلى أطراف الهند وإلى إندونيسيا وماليزيا وهو شرق العالم، وغربًا: إلى أن وصل إلى المغرب، وأما الشمال والجنوب فهذا لم يحصل لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزوى له.

المتن:

وإخباره بأنه أعطي الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

الشرح:

الكنزين: هو الأصفر والأحمر، والأحمر هو ملك قيصر لأن مالهم كان الذهب، والأصفر هو ملك الفرس وكان مالهم الفضة البيضاء.

المتن:

وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون من العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

الشرح:

حصل الخوف على أمتي من الأئمة المضلين: بأنه لولاهم لما ضل من ضل، الأئمة المضلون حصر «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»، حصر هنا، لماذا حصر؟ **"إنما"**، هذه أداة حصر، «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»، لماذا حصر؟ لأن لولاهم ما ضل من ضل في أي نوع من أنواع الضلالة.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في السحر"

وقول الله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} [البقرة:١٠٢].

وقوله: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء:٥١].

قال عمر: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وعن جندب مرفوعًا: «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي (صحيح البخاري) عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصح عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

قوله: **"باب ما جاء في السحر"**، أي: هذا بابٌ في بيان: أن السحر نوع من أنواع الكفر والشرك المخالف والمجانب للتوحيد، والمقصود في كتاب التوحيد: هو بيان التوحيد وما يضاده.

ووجه إيراد المصنف لهذا الباب بعد باب **"ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان"**، لبيان: أن من أنواع الكفر الواقع في الأمة ذهاب بعضهم إلى السحرة ووجود الساحرين، فهذا واقع، والمناسبة ظاهرة.

أورد المصنف تحت هذا الباب: آيتين وحديثين وأربعة آثار:

أما الآية: فقوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} [البقرة:١٠٢]، ووجه الشاهد فيه: أن الله عز و جل أخبر أن الساحر ليس له شيء ولا نصيب يوم القيامة فدل أنه مفلس كافر، وهو صريح القرآن فقال الله

عَزَّوَجَلَّ: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا}[البقرة:١٠٢]، ما سبب كفر الشياطين ؟ {يعلمون الناس السحر}، هكذا جاء في القرآن.

ولذلك قال: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}[البقرة:١٠٢]، فدل على أن تعلم السحر كفرٌ وتعليمه للناس كفرٌ وفعله كفرٌ والذهاب إليه وطلبه كفر، لماذا الذهاب إليه وطلبه كفر؟ لأن الرضا بالكفر كفر، لو قلت لإنسان اذبح لغير الله فلو لم تفعله أنت كفرت، لو قلت لإنسان اسجد لغير الله فلو لم تفعل أنت لكفرت لأنك دعوت إلى غير الله، فالذهاب إلى السحرة كفرٌ وشرك.

وأما الآية الثانية: قال قوله: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[النساء:٥١]، فعلى تفسير السلف: أن المقصود بـ **"الجبت و الطاغوت"** السحرة والكهنة، فهذا واضح أنه يخالف الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والإيمان بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"قال عمر: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان"، عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فسّر **"الجبت"**: بالسحر على المعنى العام من المعاني اللغوية، و **"الطاغوت"**، قال: الشيطان، لِأن الطاغوت من الطغيان، طاغوت: صيغة فاعول من شدة المبالغة، والشيطان فعلان من المبالغة من شدة الخروج عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فهو طاغوتٌ فاعولٌ وشيطانٌ فعلانٌ وهو خارجٌ عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد"**، لا شك أن الكهان أيضًا طواغيت لأنهم يدعون الناس إلى أن

يصدقوهم أنهم يعلمون الغيب فهذا نوعٌ من أنواع دعوة إلى الطغيان وهو المجاوزة في الإخبار بالغيبيات عياذاً بالله، والغيب أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما الحديث الأول: فهو حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ فذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السحر وقرنه بالشرك بالله، هذا هو وجه الشاهد.

وأما حديث جندب مرفوعًا: فهذا الشاهد فيه: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «حد الساحر ضربه بالسيف»، أو «حد الساحر ضربةٌ بالسيف»، روي على الوجهين، لماذا ضربة بالسيف؟ لأن السحر كفرٌ يستحق به صاحبه القتل، ولما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حد السحر ضربةٌ بالسيف»، لا يعني أنه يجوز قتله من أي واحد، وإنما المقصود: الإخبار بأن حقه الذي يجب له هو القتل وهذا يقوم به ولي الأمر، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي (صحيح البخاري) عن بجالة بن عبْدة قال: **"كتب عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أن اقتلوا كل ساحر وساحرة"**، هذا الخطاب لمن؟ للأمراء والحكام من امراء المناطق والبلدان، قال: **"فقتلنا ثلاث سواحر"**، إذًا يجوز للإنسان ان يقتل الساحر والساحرة إذا كان له اذنٌ من ولي الأمر.

وصح عن حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: **"أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت"**، وكذلك صح عن جندب: **"قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**"**، وهو يقصد بالثلاثة: جندب وحفصه وعمر، وهؤلاء هم

الثلاثة الذين صحّ عنهم الأمر بقتل الساحر، فدل على أنه كفرٌ، وكيف قتلت حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا جاريتها ؟ قال العلماء: لأنها جارية وهي مملوكة لها، وهي المالكة، وثانيًا: قالوا: إنما استأذنت ولي الأمر وهو ابوها عمر.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

الشرح:

يعني إذا كان هذا وجد السحرة في عهد عمر في ديار أهل الإسلام، فكيف لا يجد الكفر والشرك في الأمة بعد ذلك؟

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب بيان شيء من أنواع السحر"

قال أحمد رحمه الله: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت».

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة، القالة بين الناس» [رواه مسلم]. ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن من البيان لسحرًا».

الشرح:

وقوله: **"باب بيان شيء من أنواع السحر"**، أي: هذا بابٌ في بيان إيراد أدلةٍ تدل علىِ أنواع من السحر وأحكامها، ولم يذكر المصنف الحكم لأنها أنواع مختلفة فالأحكام تكون متنوعة.

ووجه الإيراد ظاهر: لِأنه لما ذكر السحر ناسب أن يذكر انواع السحر والنوع الذي يكون كفرًا وشركًا والنوع الذي لا يكون كفرًا وشركًا والنوع الذي يكون مباحًا، فلذلك ينبغي للعالم هكذا أن يفصّل.

أورد -رحمه الله- تحت هذا الباب: خمسة أحاديث:

الحديث الأول: ما رواه الإمام أحمد في مسنده، قال: **"حدثنا محمد بن جعفر"** وهو الملقب بغندر، قال: حدثنا عوف وهو ابن أبي جميلة، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت».

ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث ثلاثة أمور: العيافة والطرق والطيرة، وجعل الكل من أنواع السحر، جعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العيافة رقم واحد والطرق رقم اثنين والطيرة رقم ثلاثة، جعل الثلاثة من السحر، لأن الجبت مرّ معنا أن عمر قال: جبت السحر.

قال عوف: **"العيافة: زجر الطير"**، هذه أحد التفاسير، يخرج ويأخذ حمامة ويطّيرها فإن طارت ذات اليمين قال خلاص هذا زين وإن طارت ذات الشمال قال لا هذا مو طيب ما أسوي، هذا معنى العيافة.

"والطرق: الخط يخط بالأرض" يدخل فيه مثل قراءة الفنجان وخطوط الفناجين أو خطوط اليد، هذا كله من نوع الطرق، وهو نوع من أنواع الكفر والشرك، كيف يكون هذا سحرًا وكيف تكون العيافة سحرًا؟ لأن السحر المقصود به: التأثير بالأمور الروحانية والتعاون مع الجن عياذً بالله على إغواء بني آدم، والطرق نفس الشيء والعيافة نفس الشيء، الاستدلال بالطيور على أمور تحصل لبني آدم، والطرق الاستدلال بالخط يخط في الأرض على أمور تحصل لبني آدم، فهذه انواع من الشرك.

وإن كان العيافة والطرق والطيرة: هذه الثلاثة فيها تفصيل: فإن كان الإنسان يعتقد أنه إذا طير الطير إلى اليمين انه يجلب الخير وإذا طار إلى اليسار يجلب الشر فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنه يدل على الخير إن طار ذات اليمين أو يدل على الشر إن طار ذات الشمال فهذا من الشكر الأصغر.

والطرق خط يخط بالأرض: إن اعتقد أن الخطوط إذا صارت هكذا فإنها تجلب الخير أو صارت هكذا تجلب الشر، فهذا من الكفر والشرك الأكبر، وان اعتقد أنها سبب أو امارات أو علامات فهذا من الشرك الأصغر.

وهكذا الطيرة: الإنسان إذا رأى إنسانًا على صورة حسنة فاعتقد أنه يجلب الخير فهذا لا شك أنه شركٌ أكبر، وإذا اعتقد أن فلان يجلب الشر فهذا لا شك أنه شركٌ أكبر، وان اعتقد أنه سبب أو أمارة أو علامة فهذا من الشركٌ أصغر، ومثل هذا الإنسان يخرج من بيته فيرى غرابًا فيتطير وإذا رأى حمامة فإنه يتحسن، هذا نوع من أنواع الشرك الاصغر.

"والجبت"، قال الحسن: **"رنة الشيطان"**، هذا من أحد التفاسير أن **"الجبت"** معناه: رنة الشيطان وهي وسوسته التي يوسوس للإنسان ويقول: ها انت شفت الكلب اليوم وانت طالع من بيتك راح يسير لك كذا وكذا، شفت الغراب يصير لك كذا وكذا.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه، يعني: دون التفسير تفسير عوف.

وأما حديث ابن عباس: فالشاهد فيه: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»، يرى أن النجم الفلاني إذا ظهر فمن كان مولده من هذا النجم فهو كذا وكذا ومن كان مولده من هذا النجم فهو كذا وكذا: فهذا نوعٌ من أنواع السحر، التنجيم نوعٌ من انواع السحر: وهو ربط الأسباب الكونية بوجود ومظاهر سماوية.

لو اعتقد الإنسان أن هذه النجوم كذا وكذا، وهذا سيأتي في باب**" ما جاء في التنجيم"**، ولذلك نرجع الأمر فيه إلى ما سيأتي بعد ذلك بأربعة أبواب فنرجع

حكم الاعتقاد الجائز في النجوم، أما اعتقاد أن هذه النجوم تجلب الخير، أو تدفع الشر فهذا شرك أكبر، إذا اعتقد الإنسان أنها أسباب للخير واسباب للشر فهذا من الشرك الأصغر، وهذا هو كونه شعبة من شعب السحر، والسحرة دائمًا لهم تعلقات بالنجوم.

وأما الحديث الثالث: حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر»، أي عقدة يعقده من شعر خيط يحط إيدك على ايده ثم ينفث وهذا كله من أنواع شعبة من شعب السحر، «ومن سحر فقد أشرك»، وهذا أعم، «ومن تعلق شيئًا وكل إليه».

واما حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله قال: «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة، القالة بين الناس»، إن هذا نوع من أنواع السحر وهي التفريق بين الناس بالنميمة والتفريق بين الناس بالقيل والقال، هذا نوع من أنواع السحر وهو محرم وليس شركًا لكنه محرم وكبيرة من كبائر الذنوب.

إذًا من السحر ما هو شركٌ أكبر ومن السحر ما هو شركٌ أصغر ومن السحر ما هو محرم ومن السحر ما هو جائز وهو حديث: «إن من البيان لسحرًا»، أي من حسن المقال ما يذهب العقول وهذا مباحٌ. والله تعالى أعلم.

المتن:

قال-رحمه الله- فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

الشرح:

نقف على هذا إن شاء الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المجلس الخامس

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فهذا هو المجلس الخامس من مجالس القراءة والتعليق على كتاب التوحيد في هذه الدورة التأصيلية الأولى المباركة، وكنا قد وقفنا على **"باب ما جاء في الكهان ونحوهم"**، ونبدأ على بركة الله تعالى، ونسأله جل وعلا البركة في الوقت والعلم والعمر.

المتن:

الحمد لله رب العالمينِ، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات يارب العالمين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في **"كتاب التوحيد"**:

"باب ما جاء في الكهان ونحوهم"

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: «صحيح على شرطهما»، عن أبي هريرة: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البراز بإسناد جيد، ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى..» إلى آخره.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم -: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

الشرح:

قوله –رحمه الله تعالى–: **"باب ما جاء في الكهان ونحوهم"**، يعني: هذا باب في بيان حكم الكهان الذين يدعون العلم بالأمور الغيبية، وحكم نحوهم الذين يتلبسون بلباسهم ويفعلون أفعالهم.

ووجه المناسبة لهذا الباب بالذي قبله: أنه لما ذكر السحر وأنواعه ناسب أن يذكر من يلحق بحكم السحر من حيث كونه كفرًا ومن حيث كون التصديق به شركًا وهو الكاهن وعمل الكهانة ونحوهم.

أورد المصنف–رحمه الله – تحت هذا الباب: أربعة أحاديث وأثرًا واحدًا:

أما الحديث الأول: فوجه الشاهد فيه بيّنٌ واضح: لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»، الآن إذا صدق الإنسان العراف لم تقبل له صلاة أربعين يوما، لماذا ؟ لكونه صدّق العراف، إن قال: إني صدقته لأنه وقع، نقول: إن تصديقك لأنه أخبر عما وقع كان سببًا في أن الله لم يقبل منك أربعين يومًا، أما لو صدقه أنه يعلم الغيب فهذا كفر، فرق بين الأمرين.

لو أن إنسان جاء إلى العراف فقال له العراف أشياء واقعة وهو يعلمها فصدقه فهذا لا تقبل منه صلاة أربعين يوما، كيف استدل العراف بهذه الأمور؟ هذه ليست قضية، لكن هو وقع في أمر، كيف يقبل من العراف هذا الكلام ويصدقه؟ لذلك جُوزي من الشرع بأنه لا تقبل منه صلاة أربعين يومًا زجرًا عن تصديق

هذه الأمور وإن كانت واقعة لِأنها لا تصيب فإن أصابة فهي مثل ما يقولوا: رمية شاطر ورمية شيطان، ونحن نقول: هي الكلمة التي سرقت من السماء.

وأيضًا إن هذا السبب في كون الإنسان ربما يصدقه في الكذب فيقع في اعتقاد الكفر عياذً بالله وهو أن الكاهن يعلم الغيب.

وأما حديث ابي هريرة: فالشاهد فيه: «من أتى كاهنًا»، فيه لفظ الكاهن، «فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»، لا ما فيه تناقض بين الحديث الأول والحديث الثاني، لأن الأول صدقه بشيء قد أخبره واقعيًا وهذا لا يكفر: مثل لو جاء إنسان وقال: أنا اعرف أنت اليوم ترى أكلت سمكة، كيف قلت: أنا أكلت سمكة؟ قال: شممت منك رائحة السمك، هذا الآن إن كان الرجل يتكهن فهذه كهانة وأنت تصدقه الآن لأنه أخبر عن شيء واقع، فإن ذهبت إلى الكاهن وصدقته في خبر عن شيء واقع هذا ليس كفر مخرج عن الإسلام وإنما فيه الزجر والوعيد.

لكن إن ذهبت إلى الكاهن واعتقدت أنه يعلم الغيب «فصدقه بما يقول»، وأنت لا تعلم وقوع ذلك، قالك: شوف ترى بعد خمس أيام يصير كذا وكذا وبعد خمس تصاب بمرض، فعلى طول تروح للطبيب وفحوصات، ايش فيك ؟ قال: الكاهن الفلاني قال ستصاب بمرض، هذا كفر لأن فيه ادعاء أن الكاهن يعلم الغيب، هذا معنى «فقد كفر بما أنزل على محمد»، لأن الذي فيه في القرآن

فيما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ} [النمل:٦٥].

وأما حديث الأربعة والحاكم: «من أتى عرافًا أو كاهنًا»، **"أو"** للتنويع وليس للشك، «أو كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ، ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله، وهذا يؤكد المعنى الأول.

وعن عمران بن حصين مرفوعًا: «ليس منا من تَطير» التطير: هو أن الإنسان يرى شيئًا من الطيور فيطيره ليعلم هل فيه غيبٌ خيرٌ أو شر، فإن طار ذات اليمين قال خير إن طال ذات الشمال قال شر وإن رأى حمامة قال خير وإن رأى غرابًا قال شر، هذا معنى التطير.

«ليس منا من تطير»، أي في نفسه، «أو تُطير له»، راح عند واحد قال: أنا أبيك تطلق حمامتك أبي أشوف، فهذاك طير له الحمامة فهو نفس الحكم ولا يختلف، هنا: «ليس منا»، فيه تفصيل: فإن كان المقصود أنه يستدل بطيران الطير يمينًا وشمالًا على أنه سبب في معرفة الخير فهذا شركٌ أصغر، وان اعتقدِ أن الطير يعلم الخير من الشر فهذا شركٌ أكبر لأنه إذا كان يعتقد ان الكاهن والعراف إذا يعلم الغيب شرك أكبر، فكيف إذا اعتقد ان الطير يعلم الغيب؟!

ما فيه إنسان عاقل يعتقد ان الطير يجيب له الخير، لكن الكلام الآن هو في كونه سبب أو في كونه يعلم عياذً بالله، «أو تَكهن أو تُكهن له»، فيه إشارة: إلى أن التكهن شركٌ، وكون الإنسان يتكهن لك وأنت ترضى هذا أيضًا شركٌ وكفر، هل هو أكبر أو أصغر؟ على التفصيل الذي مضى، فإن كان يتكهن في أمور واقعية فهو من الشرك الأصغر، وإن كان يتكهن في أمور غير واقعية فهذا من الشرك الأكبر وادعاءٌ للغيب، فإن تُكّهن لك بشيء واقعيًا فصدقته فهذا هو من الشرك الأصغر الذي لا يقبل معه صلاةٌ أربعين يوما، وإن تكّهن لك في أمور مستقبلية غير واقعية الآن وصدقته فهذا من الشرك الأكبر.

«أو سَحر أو سُحر له»، السحر طلبه أو فاعله كفر مطلقا، لا فرق وما فيه تفصيل، «ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، مؤكد لمعنى: أن من ظن أن أحدًا سوى الله عرافا أو كاهنا أو منجمًا وصاحب الفنجان صاحب الأبراج أيًا كان يعلم الغيب: فهو كفر أكبر.

قال البغوي: **"العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك"**، هذا هو العراف ، **"والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل"** وقيل: **"الذي يخبر عما في الضمير"**، من الكهانة المعاصرة وما انتشر اليوم عبر الشبكة أو التليفونات وأقول أجاوب على هذه الأسئلة وأقولك ايش شخصيتك: هذه من الكهانة المعاصرة التي تخبر عن الضمير، فإن قال قائل: هذه إنما يخبر عما أنت فيك، نقول: إن هذه

الأسئلة في ذاتها هي اسئلة الكهان، وفي الأخير: يقولك: أنت رجل أنيق أنت رجل مشوش، هذه من الكهانة واحذروا: يُخشى أن لا تقبل لك صلاة أربعين يوما، ليش؟ جاوبت على الأسئلة وبعدين طلع فعلًا عما يقوله عنك: أنت رجل مهذب وصدقته، هذا يخبر عن أمر واقع فقد يكون أنت مهذب، فصدقته: أربعين يومًا لا تقبل لك صلاة، ليش توقع نفسك في هذا الحرج؟

يا إخوان: ترى الفرق بين الفراسة والكهانة شعرة، أقولها بملء فمي: الفرق بين الكهانة والفراسة شعرة، الفراسة: ان الإنسان ينظر إليك فيقع في نفسه أنك حليم ويقع في نفسه أنك مذنب، هذه فراسة ولا يرتب عليه حكم، ولكن قد يوري يقول: أكثر من التوبة وقم من الليل وصلي واستغفر ونحو ذلك.

والكهانة: يشوفك يستدل بمقدمات على امور غيبيات سيقع غد أو بعد غد في أمور معينة، الفرق شعرة، لذلك لا ينبغي أن يوقع نفسه في هذه الأمور.

قال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسمٌ للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، يعني اسم عام ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، إذًا دخل فيه أصحاب الأسئلة الجديدة اليوم: عرفنا بنفسك، دخل على قول ابن عباس، يقول له: جاوب على هذه الأسئلة أعطيك شخصيتك، هذه إذا لم تكن كهانة فما هي الكهانة.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوم يكتبون **"أبا جاد"**، التي هي أبجد هوز حطي كلمن، يكتبون هذه الكلمات ويستدلون بهذه الكلمات على أمور معينة، يعني

مثلًا: بسم الله الرحمن الرحيم ٢٨٦، قال: **"وينظرون في النجوم -: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق"** لأن هذا الحساب للحروف الأبجدية وضرب النجوم بعضها ببعض بحسب هذه الأحرف إنما هي من فعل الجاهليين.

تحليل الشخصية: نوعٌ من الكهانة، أنا أقولها لكم لأنه يسألك أسئلة بناءً عليه يحدد شخصيتك، هذا نوعٌ من الكهانة، حتى المعرفة بالخط أيًا كانت، يعني مثلًا: يسألك سؤال: اثنين ضرب اثنين يساوي كم، أما ييجي يقولك: ما رأيك في كذا، ما فيه سؤال وجواب ويعطيك خيارات هذا ما يجوز، أما اختبارات مثل اختبار توفل اختبار لغة عربية واختبار قدرات في اسئلة معينة فهذه ما فيها شيء.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى -: فيه مسائل:-

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكهن له.

الرابعة: ذكر من تُطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في النشرة"

عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي **"البخاري"** عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. انتهى.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

الشرح:

قوله-رحمه الله-: **"باب ما جاء في النشرة"**، أي هذا بابٌ في بيان حكم النشرة، وأنه نوع من الأنواع التي فيها ما يجوز وفيها مالا يجوز، وأبهم -رحمه الله- الحكم لأن فيه تفصيلًا كما سبق في الكهانة.

ومناسبة إيراد النشرة بعد الكهانة: لأن من النشرة ما يكون نوعًا من السحر والكهانة، ومن النشرة ما يكون جائزًا، هذا وجه إيراده بعد السحر والكهانة، هذه المناسبة.

أورد فيه المصنف-رحمه الله-: حديثًا واحدًا وثلاثة آثار:

أما حديث جابر: فوجه الشاهد فيه: أن النبي سئل عن النشرة، **"النشرة"**، هي حل السحر، حل السحر بماذا؟ فيه متعلق محذوف، سُئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان»، مادام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هي من عمل الشيطان»، لابد أن ينصرف ذهنك إلى أن المقصود **"سُئل عن النشرة"**، أي حل السحر بسحر مثله، هذا من عمل الشيطان، أو حل السحر بالكهانة، الكهانة ما أحل السحر بالسحر ولكن أروح عند الكاهن فلان واقول شوف ترى في بيتي عمل سحر ولا ما فيه، يبحث عن السحر من طريق الكهانة، هذا نوع من أنواع النشرة المحرمة.

حل السحر بسحر مثله: كفر، والذهاب إلى الكهان ليجدوا السحر وإن لم تطلب منهم إبطاله: هذه كهانةٌ فإن صدقتهم وأخبروك عن شيء واقعٍ لم تقبل

منك صلاة أربعين يوم، وإن صدقتهم في الغيب فهذا كفرٌ أكبر عياذً بالله تعالى، هذا هو التفصيل، ولذلك **"سُئل أحمد عنها، فقال: ابن مسعود يكره هذا كله"**، يعني يكره حل السحر بسحر مثله ويكره حل السحر بالكهانة أو العرافة أو النجامة أو شيء كان، فهذا المقصود، وليس المقصود أن ابن مسعود يكره الرقية الشرعية، لم يفهم أحد من السلف هذا المعنى.

قال وفي **"البخاري"** عن قتادة: قلت لابن المسيب، المقصود به: سعيد ابن المسيب: **"رجل به طب"**، **"الطب"** يعني: السحر هنا، به طبٌ: أي سحرٌ، **"أو يؤخذ عن امرأته"**، **"يؤخذ"** يعني: يمنع، مسكين كلما يجي يبغي هذا ما يقدر، قال: **"أيحل عنه أو ينشر؟"** يعني: نحل عنه السحر وننشر السحر عنه؟ قال: **"لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه"** لن يفهم أحد من السلف أن المسيب يريد حل السحر بسحر مثله، وإنما هذا فهمه بعض المتأخرين وفهم المتأخرين لا يُلتفت إليه وإن كان عالما، فلا يجوز بأي حال حل السحر بسحر مثله.

أسألكم سؤال: هل يجوز للإنسان أن يحل السحر عن نفسه بأن يطلب من إنسان يكفر؟ ما هو الفرق إذًا؟ نفس الكلام: حل السحر بسحر مثله يعني كأنك تطلب منه أن يكفر، لأن الساحر لا يستطيع أن يسحر إلا إذا كفر، هل يجوز لمسلم أن يقول لإنسان اسجد لغير الله لكي أعالج؟ أجيبوا؟ فما يمكن، ما يجوزِ أن نأمر الكافر بالكفر ليزداد كفر على كفره، هذا ما يجوز.

أضرب لك مثال: لو رأيت رجل نصراني، قال: والله أنا رجل نصراني يقول يا الله، تقوله: ما تقول يا الله قول يا عيسى؟ ما يجوز، كيف تأمر بالكفر؟ لأن الأمر بالكفر كفر والإقرار بالكفر كفر، والنهي عن التوحيد هذا كفر أيضًا، لذلك ينبغي أن نفهم كلام ابن المسيب، من الذي فهم كلام ابن المسيب؟ العلامة ابن القيم-رحمه الله-.

والأثر الثالث: قال عن الحسن: **"لا يحل السحر إلا ساحر"** مقصود: أن حل السحر بالتنجيم أو بعمل حجامة هذا من عمل الساحرين، ليس مقصود ابن المسيب أنه لا يمكن حل السحر إلا بسحر، لأنه في القرآن أن السحر يمكن حله بالقرآن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[طه:٦٩]، إذا كان الساحر لا يفلح حيث أتى، إذا بأي شيء نرده ؟ نرده بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لذلك كلام ابن القيم واضح، قال ابن القيم: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

الأول: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، وعليه ايضًا يحمل قول ابن مسعود، قال ابن مسعود: يكره هذا كله اللي هو: حل السحر بسحر مثله، **"فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور"**.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

وقد أخبرني من أثق فيه أنه لازم الدعاء بعدما سحر حتى أراه الله تبارك وتعالى في الليل موضع الحجامة المعمول لها، فلما أصبح ذهب إلى المكان الذي رآه في المنام في شجرة عند بيتهم فحفر تحت سدرة فوجد العمل وإذا به محترق كالرماد، الله أحرقه سبحانه وتعالى، يجب أن يصيير عندنا يقين، السحر عمله خفي. من يرده؟ الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأما القول بجواز حل السحر بسحر مثله، هذا والله أعتبره من الغرائب والعجائب وإن افتى به بعض العلماء.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الأشكال.

قال-رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [الأعراف:١٣١].

وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس:١٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نوء، ولا غول».

ولهما عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل».

الشرح:

قوله-رحمه الله-:**"باب ما جاء في التطير"**، هذا بابٌ في بيان حكم التطير ولم يفصل فيه ولم يجزم لأنه يختلف، كما ذكرت المصنف-رحمه الله-دقيق إذا كانت المسألة بحاجة إلى التفصيل لا يذكر الحكم في الباب.

ومناسبة إيراد التطير بعد حل النشرة والكهانة لأن هذا نوعٌ من أنواع الأحكام العقدية المتعلقة بالغيبيات، فلما ذكر السحر والكهانة والعرافة والنشرة ناسب أن يذكر التطير.

أورد فيه المصنف-رحمه الله-: آيتين وستة أحاديث:

أما الآية الأولى: فقول الله تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [الأعراف:١٣١]، وجه الشاهد من الآية: أن الذين يتطيرون فهم جاهلون لأن ما قدّره الله، والطائر هنا: بمعنى المقدر والحظ، ما قدره الله وما كتبه على الإنسان من حظٍ ونصيب فهو من عند الله، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}، يعتقدون أن الحظوظ وأن الأمور من الخير والشر متعلقة بالطيور ونحوها، هذا وجه الاستشهاد بالآية.

وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس:١٩]، أي أن هذا قول المشركين أنهم يزعمون قولهم يعلقون الخير والشر بالطير، هذا من اعتقادات المشركين، والواجب على المسلم: أن يعتقد أن الطائر والحظ والنصيب من الله جل وعلا وهو الذي يعلم ذلك كما قدّره، وأما من لم يقدّره أنى له أن يعلمه وهو غيبٌ لأنه سيقع ولما يقع بعد.

وأما الأحاديث:

فالحديث الأول: قال: «لا عدوى»، **"لا عدوى"**: أي أن المرض لا ينتقل بنفسه إنما ينتقل بمشيئة الله، هذا المراد، فالواجب على المسلم أن يجعل عقيدته قوية وأن يستيقن أن المرض لا ينتقل بنفسه إنما ينتقل بأمر الله، وحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، فيه بيان: أنه لا ينبغي للإنسان يقحم نفسه في المهلكة بيقينٍ عنده بأن المرض من الله عَزَّوَجَلَّ، لا هذا ولا هذا،

لا يجوز للإنسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة وفي المقابل لا يجوز للإنسان يعتقد أن المرض ينتقل بنفسه.

سأضرب لكم مثال: نحن نعلم أن الله جل وعلا الصحة من عنده، الصحة والعافية من عند الله سبحانه وتعالى، لكن لا يجوز للإنسان أن يأكل القاذورات وأن يأكل الجراثيم بحجة أن الصحة من الله عَزَّوَجَلَّ، لأن هذا القاء النفس للتهلكة، فالذي أخبر بأن المرض لا ينتقل بنفسه هو الذي أمرك أن تفر من المجذوم فرارك من الأسد، إذًا ما في تعارض.

انتبه الآن: لو أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بقتال الكفار، معروف أن القتال فيه قتل، لكن الإنسان يجب عليه أن يستقين أنه لن يموت أحدٌإلا بأجل من الله سبحانه وتعالى، فالإنسان يجب عليه أن يدرك أن العدوى لا ينتشر بنفسه والمرض لا ينتشر بنفسه ولكن ينتشر بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك إذا شاء أن يكون الوباء عامًا أصاب وإلا لم يكن.

قال: «ولا طيرة»، وهي التطير بالطيور، «ولا هامة»، أصل الهامة مأخوذ من اعتقاد جاهلي وهو أنهم كانوا يعتقدون أن المقتول ظلمًا أو غيلةً تخرج روحه من بدنه فيصبح مثل الطير على رأسه يحوم ولا يرى حتى يؤخذ من ثأره، وكانوا يسمون هذه الهامة وكانوا يتشائمون منها وكانوا وكانوا، إذًا الهامة هذا شيء خيالي عند المشركين، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفاها مطلقًا وقال: «لا

هامة»، يعني لا يوجد ما تعتقدونه من الهامة وهي الصورة المتخيلة لروح الميت الذي يكون على رأسه أو على قبره.

«ولا صفر»، المقصود بصفر: شهر صفر، وكان الجاهليون يتشاءمون بشهر صفر لأنهم بعد محرم يبدأون القتال، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن التشاؤم بالأزمنة ونهى عن التشاؤم بالأمكنة ونهى عن التشاؤم بالذاوتِ ونهى عن التشاؤم بالهيئات ونهى عن التشاؤم مطلقًا.

زاد مسلم: «ولا نوء، ولا غول»، **"لا نوء"**، أي لا ينبغي لمسلم أن يعتقد بالأنواء، والأنواء: هي النجوم التي كان الجاهليون يستسقون بها، **"ولا غول"**، وهو من الصور والمخيلات التي كان الجاهليون يعتقدونها أن هناك حيوانٌ أو وحشٌ كبيرٌ يشبه القرد وهو كبير وأنه يكون في الغيران وفي الجبال وفي الأودية ويخفون الناس فكانوا يخافون من هذا خوفًا شديدًا، فجاء الإسلام وقال: «ولا غول»، ما يوجد غول، يعني: مما يقال ولا حقيقة عنده في هذه الأمور الثلاثة الغول والعنقاء فهذه مما لا حقيقة له.

ثم أورد حديث أنس: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»، إذًا انتبهوا الآن: لو قال قائل: المرض ينتقل بنفسه، هل مثل الذي يقول مثلًا: أن السرطان ينتقل بنفسه؟ نقول: لا، لا بد هناك فيه أسباب جعلها الله سبحانه وتعالى، ما يمكن المرض ينتقل بنفسه، لابد في أسباب، إن شاء الله وقعت هذه الأسباب وإن شاء لم تقع، إذا اعتقد الإنسان أن المرض ينتقل بنفسه هذا نوع من أنواع الشرك

الأصغر، «ولا طيرة» ان اعتقد الانسان أن الطير إذا راح لليمين خير وإذا راح للشمال شر، هذا شرك أصغر، إذا اعتقد أنها تعلم الخير والشر شرك أكبر.

قال: «ويعجبني الفأل»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»، انت تطلع الصبح وإذا بك ترى رجل ويقولك: السلام عليكم وين رايح، تقوله: رايح عندي معاملة في الوزارة قالك: أبشر ربك بيسر لك، تستانس حصلت دعاء ربي بيسر لي، تطلع برة وتقابل رجل وتقوله: من أنت يقولك: اسمي يسار تقول: الله ايسر أمري، هذا معنى الكلمة الطيبة، يعني: لا يجوز للإنسان أن يتطير بالذوات ولكن ينبغي عليه التفاؤل فهو أمر مطلوب شرعًا ، التفاؤل بالذوات والتفاؤل بالأسماء والتفاؤل بالكلمة الحسنة كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في حديث أبي داود في حديث عقبة قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله فقال: «أحسنها الفأل»، لماذا الفأل نوع من أنواع الطيرة؟ لأن فيه استدلال ببعض المقدمات على بعض النتائج، هذا وجه تسميته بالطيرة ولكنها مشروعة، لماذا؟ لأنها تدفع إلى الخير وتدفع إلى التفاؤل، والإسلام جاء إلى التفاؤل وإلى الخير وإلى غلق باب الشر والوساوس وغلق التوهمات، قال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلما»، الطيرة لا يجوز أن تردك فإذا ردتك فهي الطيرة، ممكن الانسان يقع في قلبه شيء لكن إذا ما ردك خلاص الحمد وإذا ردك وقع في قلبك شيء، «ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات

إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»، هذا دعاء عظيم يتقوى به المسلم ويزداد فألًا حسنا.

وأما حديث ابن مسعود: قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك» الطيرة لا بد أن يكون شركًا لكن إما أصغر وإما أكبر على التفصيل الذي ذكرناه، «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»، يعني: لا يوجد إنسان إلا يقع في قلبه شيء، فكيف علاج هذا الذي يقع؟ علاجه التوكل وهو عدم الالتفات إليه وعدم النظر إليه.

قال ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك»، أي نوع من الشرك؟ أصغر أو أكبر، نحتاج تفصيل، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»، لا يردك، قول هذ الدعاء وامشي.

وله من حديث الفضل بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **"إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك"**، معناه: ما وقع في نفسك لست مؤاخذًا ولله الحمد والمنة.

كيف تعرف إن الطيرة أثّرت عليك أو لا؟ إن ردك أثّر عليك وإن لم يردك لم يؤثر عليك الحمد لله عليك بالدعاء.

هذا غلط كبير فلا يجوز للإنسان أن يقولك: وجهك يجب الخير، الخير يجيبه الله عَزَّوَجَلَّ، هذا ما يجوز، لكن الإنسان يتفاءل بأوجه الصالحين.

"إن كان الشئم في شيء ففي ثلاثة"، المقصود بهذا الحديث: أن الإنسان إذا وجد من المرأة سوء عشرة يصرحها ويروح يتزوج واحدة تانية، إذا وجدت من

الدابة تعب وكل يوم خربانة السيارة بيعها وروح اشتر وحدة ثانية، إذا وجدت جيرانك كل يوم في مشاكل بيع البيت وروح اشتري بيت، هذا المقصود وليس المقصود أن في تشاؤم.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ﴾ مع قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ.

الشرح:

طائرهم عند الله: تقدير الخير والشر عند الله، طائركم معكم: أي ما قدّر لكم هو معكم لا يعلمه الطير ولا يعلمه هذا الطائر.

المتن:

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقوله من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في التنجيم"

قال البخاري في **"صحيحه"**: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الشرح:

قوله -رحمه الله-: **"باب ما جاء في التنجيم"**، أي هذا بابٌ في بيان حكم التنجيم ولم يجزم بالحكم لأن التنجيم بحاجة إلى تفصيل.

ومناسبة هذا الباب لما سبق واضح: أن فيه ربط الأمور بغير أسبابها، ما حكم ربط الأمور بغير أسبابها؟ مثل ربط الأمور بالطير والآن يربطون الأمور بالنجوم، والتنجيم تفعيل من النجم وهو أن الإنسان يفعل الشيء بناءً على

النظر إلى النجم فيقول مثلًا: إذا ظهر النجم الفلاني فإنه ينزل علينا المطر أو النجم الفلاني سبب لانزال المطر.

أورد فيه-رحمه الله-: أربعة آثار وحديثًا واحدًا:

أما الأثر الأول: حديث قتادة: **"خلق الله هذه النجوم لثلاث"** هذا مذكور في القرآن: زينة للسماء الدنيا ورجومًا للشياطين وعلامات يُهتدى بها، {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}[الملك:٥]، وقال تعالى: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[النحل:١٦]، يهتدون إلى ماذا ؟ يهتدون إلى أمرين: يهتدون إلى الطرقات ويهتدون إلى المواسم من مواسم القطر ومواسم الزراعة ومواسم الصيف ومواسم كذا بالنجوم، جعلها الله تبارك وتعالى علامات، وانتبه لكلمة علامات، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له، كيف تأول غير ذلك؟ الناس في النجوم ثلاثة:

من يقول: لا يجوز أن يقال هذا النجم علامة على دخول الربيع وهذا النجم علامة على دخول المغرب، هذا قول ضعيف جدًا لا يلتفت إليه، لأن الله قال: {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل:١٦].

القول الثاني: وهو قول عامة أهل السنة: أن النجوم علامات يهتدى بها في معرفة الطرقات في البر والبحر، وعلامات يهتدى بها في معرفة المواسم من مواسم الزرع والقطر والنبت وغير ذلك ودخول المغرب والعشاء وغير ذلك.

أما قول المشركين الأوائل: فهم على ضربين:

منهم من يعتقد أن النجم سببٌ لنزول المطر وليس علامة، هناك فرق بين الأمرين، وهذا شركٌ أصغر.

ومنهم من يعتقد أن النجم هو الذي ينزل المطر وهذا شأن عبّاد الكواكب وهذا شركٌ أكبر.

ما الفرق بين من يعتقد أن النجم سببٌ في إنزال المطر وبين من يعتقد أن النجم علامة في إنزال المطر؟

أنا أضرب لكم مثال وبه نكتفي إن شاء الله: أنت الآن تذهب إلى مكة، وفي طريقك إلى مكة ستجد لوحة باقي على مكة المكرمة وفيه سهم باقي على مكة المكرمة ٦٠كم، هذا ايش تسميها اللوحة هذي؟ علامة، طيب بسألكم سؤال، لو جاء واحد غبي من الأغبياء وقال: اللوحة هذه هي التي توصلني؟ اسميها غباوة ولا سفاهة ولا لأ، فاللوحة كيف توصلك، اللوحة ترشدك، هذا هو الفرق بين من يعتقد أن النجم علامة وبين من يعتقد أن النجم سبب، سبب يعني هو اللي يوصلك، علامة يعني انت تستدل به.

لاحظ لما نقول علامة صار فعلك أنت، لما تقول سبب صار فعل للنجم كيف تنسب للنجم فعلا؟ فرق واضح.

فمن اعتقد أنه سبب فهذا شركٌ أصغر، ومن اعتقد أنه هو الذي ينزل فهذا شأن عبّاد الكواكب فهو شرك أكبر.

فك السحر بأي أمر شرعي أو طبي يجوز.

"وكره قتادة تعلم منازل القمر"، لماذا كره قتادة تعلم منازل القمر مع أن منازل القمر يعرف بها الشهور؟ خشية أن يؤدي ذلك إلى التطور واعتقاد أنها أسباب، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، وهو الصواب، لماذا يرخص فيه أحمد في تعلم المنازل؟ لأنه يدلنا على الشهور وعلى المواسم وعلى المنازل.

ما وجه إيراد حديث أبي موسى في هذا الباب: عن أبي موسى قال: قال رسول الله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»؟ ما وجه ايراده؟ وجه ايراده قوله ومصدق بالسحر، لأن السحرة يربطون الأمور بالنجوم، إذًا من ربط الأمور بالنجوم وقال: النجم الفلاني ظهر هذه السنة سنة شر والنجم الفلاني إذا ظهر معناه أن يموت فلان، هذا هو نوعٌ من أنواع السحر وهو من التنجيم ولذلك أورده المصنف هنا **"ومصدق بالسحر"**، رواه الإمام أحمد.

سؤال: مدمن الخمر لا يدخل الجنة مطلقًا ولا ابتداءً؟ انتبه فيه تفصيل: من أدمن الخمر مستحلًا له فمعنى لا يدخل الجنة يعني: مطلقًا، وهكذا قاطع الرحم: فقاطع الرحم مستحلًا، قال صلة الرحم مو واجب، هذا لا يدخل الجنة مطلقًا.

"ومصدق بالسحر"، يقول: من يقول السحر حرام لا، أصدق انا فيه سحر وأن هذه النجوم تأثر: هذا مخرج من الملة فيكون الحديث على الإطلاق.

إن كان الرجل يشرب الخمر مع اعتقاده حرمته، يعني نسميه هذا مدمن الخمر اللي نسميه المصر على الذنب، المصر على الذنب بالفعل سواء كان مدمن خمر أو قاطع رحم فهو مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب وهو كفرٌ أصغر.

وهنا **"مصدق بالسحر"** إذا صدق أن السحر سبب فهو أيضًا يدخل الجنة ولكن ليس مع الأولين، إذًا الحديث إما على الإطلاق وإما على الابتداء حسب التفصيل اللي ذكرناه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء"

وقول الله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة:٨٢].

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب،

والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: صلى لنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة:٧٥] إلى قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة:٨٢].

الشرح:

قوله-رحمه الله تعالى-: **"باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء"**، أي هذا بابٌ في بيان حكم الاستسقاء بالأنواء، ومعنى الاستقساء: طلب السقية بالنجوم، الأنواء: جمع نوء: وهو النجوم التي تظهر وتختفي، الاستقساء: طلب السقية، بالأنواء: يعني بالنجوم، لماذا المصنف لم يفصل؟ لأنه يختلف كما ذكرنا إلى شركٍ أكبر أو أصغر.

أورد فيه المصنف: آية واحدة وحديثين:

الآية: قوله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة:٨٢]، والشاهد في الآية: أن الله عَزَّوَجَلَّ أنكر على المشركين نسبة الأرزاق إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ، والمطر رزق من الله فمن ينسبه إلى غير الله فإنه يعتبر مكذبا برزق الله تعالى، هذا وجه الشاهد، من ينسب المطر إلى النجم إلى أنه سببٌ في الانزال أو أنه هو المنزل فإنه مكذب برزق الله تعالى.

وأما الحديث الأول: حديث أبي مالك، قال: «أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن»، أمتي: المقصود به: أمة الإجابة، ،هذا معناه أن من أهل البدع من يعتقد هذا الاعتقاد، **"من أمر الجاهلية"**، فيه إشارة إلى أن بعض الأمور الجاهلية في المسلمين لا يجعلهم جاهليين مشركين مطلقًا وإنما فيه تفصيل: «لا يتركوهن الفخر بالأحساب»، أنا فلان بن فلان وانا وزير ابن وزير،

«والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم»، طلب السقية من النجم الفلاني، هذا معنى الاستسقاء بالأنواء.

«والنياحة»، على الميت، النياحة له صورتان:

الصورة الاولى: البكاء بصوت مرتفع.

الصورة الثانية: أن يقول: أنت كنت سندًا لي وأنت كنت عونًا لي أنت وأنت وأنت، هذا من النياحة. وقال: «النائحة»، هنا ذكر النائحة والنائح نفس الحكم في الذكر والرجل، لماذا قال النائحة؟ لأن الغالب أنهن ينوحن، أما الرجال فالقليل منهم من ينوح.

قال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران» عياذً بالله من ذلك، السربال من قطران يعني السروال، «ودرع من جرب»، السربال: ما يسربل به الرجل من الأسفل، والدرع: ما يكون من أعلى، القطران: هو الرصاص المذاب، والجرب معروف: داءٌ خشن يكاد الإنسان يموت من خشونته حتى يريد أن يقطع جلد نفسه بأظفار نفسه.

وأما حديث زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فوجه الشاهد فيه: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «على إثر سماء»، يعني: مطر، «كانت من الليل، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته»، الحديث يقول: «قال الله مطرنا»، وييجي واحد جاهل يقول: ما يصير اتسميه مطر فذلكه ويطلع بين

الناس يبي ينشهر، «قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، قال: فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا»، بنوء يعني: نجم، والباء هنا باء السببية، **"مطرنا بنوء كذا"**، أي بسبب نجم كذا وكذا، «فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

الآن نطبق هذا على الواقع: لو جاء الذي يقرأ النشرة الجوية: لو جاء الرجل وقال: هنا يوجد منخفض جوي منخفض عالي ونازل فيجتمع هذا المنخفض مع هذا المنخفض وسيكون هناك أمطار، هذا المنخفض يسبب المطر وبسبب هذا المنخفض سيأتينا المطر.

إذًا نسب المطر إلى المنخفضات دخل في هذا، لكنه يقول: أن هذا المنخفض إذا التقى مع هذ المنخفض بإذن الله سيكون المطر، ذاك علامة أن ينزل المطر ما فيه بأس، فذلك سبب من الله في أن ينزل المطر ما فيه بأس، أما نسبة الرزق إلى غير الله فهذا نسأل الله السلامة والعافية نوع من أنواع الشرك الأصغر.

ومرّ معنا تفصيل الاستسقاء بالأنواء.

أما حديث ابن عباس: قال بعضهم: **"لقد صدق نوء كذا وكذا"** رجع وقال: أي والله، هو ما قال أمس أن المنخفض الفلاني راح يجيب المطر شوف جاب المطر، **"فأنزل الله هذه الآيات"**: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة:٧٥] إلى قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة:٨٢].

فأخبر الله أن من نسب الرزق والمطر إلى غير الله فهو مكذب برزق الله.

المتن:

قال-رحمه الله -: فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة.

الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: (لقد صدق نوء كذا وكذا).

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله: (أتدرون ماذا قال ربكم؟).

العاشرة: وعيد النائحة.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول الله تعالى":

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} [البقرة:١٦٥].

وقوله: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ} [التوبة:٢٤]. إلى قوله تعالى: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة:٢٤].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..» إلى آخره.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك.

وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا. رواه بن جرير، وقال ابن عباس في قوله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [البقرة:١٦٦] قال: المودة.

الشرح:

قوله-رحمه الله-:**"باب قول الله تعالى"**:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} [البقرة:١٦٥].

رحمه الله أراد أن يذكر بهذا الباب الذي أورد فيه الآية: أن يبين أن من أنواع الشرك: الشرك في المحبة.

ووجه المناسبة: أنه –رحمه الله– لما انتهى من ذكر بعض العلائق الشركية التي كانت بسبب الأشياء الظاهرة رجع إلى بيان أصل نوع من أنواع الشرك المتعلق بالقلوب لأن المحبة أمر قلبي.

ووجه الشاهد: الآية التي بوب عليها والآية التي بعدها: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} [البقرة:١٦٥]، فتسمية شيء من المحبوبات بحب الله شركٌ، انتبه الآن: الشرك في محبة الله يتصور في صورتين:

الصورة الأولى: أن تحب شيء ولو كان شرعيًا كحب الله: فهذا شرك، لا بد أن يكون حب الله أعظم حب في الوجود في قلبك، نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب من يحبه وحب ما يحبه.

الصورة الثانية: أن تحب غير الله حبًا تعبديًا ولو كان غير مساوي لحب الله.

إذًا الشرك في المحبة له صورتان:

الاولى: أن تحب غير الله كحب الله، يعني يحب عيسى مثل حبه لله، يحب الرسول مثل حبه لله، هذا لا يجوز، هذا من الشرك، لابد أن يكون حب كل شيء دون حب الله عَزَّوَجَلَّ ولو كان أمرًا مباحًا مشروعًا، نحن نحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم محبة في المخلوقات والموجودات بعد الله سبحانه وتعالى، هذا هو الواجب.

الصورة الثانية: أن تحب شيئًا حبًا تعبديًا ولو كان يسيرًا، هذا من صور المحبة، لو قلنا لأحد ما: لماذا تحب عيسى؟ قال: أحبه لأنه رب مثلًا: هذا شرك في المحبة وشرك في الربوبية ولو لم يكن حبه مثل حب الله.

وأما الآية: فأوردها المصنف: قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ} [التوبة:٢٤]. إلى قوله تعالى: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة:٢٤].

فيه إشارة: الحب ثلاثة أنواع:

حب مباح: وهو حب المباحات، حب المباحات مباح.

حب الشرعيات واجبٌ.

لو أن حب المباح جعلك تترك الواجبات فهذا يحرم وليس بكفر، يحرم حب المباحات إذا جعلك تترك الواجبات أو ترتكب المحرمات فهذا يحرم، إنسان يحب المال فيسرق وإنسان يحب المال فيمنع الزكاة هذا الحب محرم، إنسان يحب المال ولا يسرق ولا يمنع الزكاة فمباح.

إذًا حب المباحات مباحٌ، متى يصبح حب المباحات محرمًا؟ إذا أدى إلى محرمٍ أو ترك واجب.

هذه الآية أوردها المصنف لذلك، إذًا فيه حب هو شركٌ وفيه حب هو محرمٌ وفيه حب هو مباح.

وفيه حب هو و اجبٌ وعبادة: مثل حب الله واجب وعبادة، حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجب وعبادة، حب الدفاع عن دين الله عَزَّ وَجَلَّ واجبٌ وعبادة، حب الصلاة والصيام والمؤمنين والصالحين واجب وعبادة.

أما حديث أنس فالشاهد فيه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل محبته فوق محبة المخلوقين كلهم علامة على كمال الإيمان الواجب.

إذًا لاحظ الآن: حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هناك حب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلٌ في الإيمان وهو أقل درجات الحب الذي لا يكون معه بغض، هذا لا بد منه لصحة الإيمان، لو كان في القلب بغض للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصح الإيمان أصلًا.

الإنسان أحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلًا وزال البغض من قلبه عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، متى يصبح إيمانه كاملًا كمال الوجوب ؟ إذا أحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من ولده ووالده والناس أجمعين، هذا كمال الواجب.

وأن يصبح محبوبات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له من أعظم المحبوبات في قلبهِ، هذا معناه أدرك كمال المحبة مو بس الواجب، هذا تفصيل لا بد منه.

لو قال إنسان: والله أنا أحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحب ولدي، لكن والله أحب ولدي أكثر من حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تقول يكفر انتبه: إيمانه الواجب ناقص.

وأورد أيضًا حديث: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان»، ما وجه إيراده؟ «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»، فحب النبي لأنه رسول الله فنحبه حبًا عظيمًا فوق كل مخلوق نحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن دون محبة الله.

«وأن يحب المرء»، وهذا الحب واجب وهو الحب في الله، وقال بعض العلماء: أنه مندوب والصواب أنه واجب: «أن يحب المرء لا يحبه إلا لله» هذا واجب.

«وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

وأما رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان»، هذا فيه: دلالة على كمال الإيمان، ما هي علامة كمال الإيمان؟ علامة كمال الإيمان متى ما وجدت حلاوة الإيمان.

وأما قول ابن عباس، فو الله من أصعب الأقوال علينا: **"من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك"**، تنال ولاية الله بهذا ومو بالبطالة ومو بالدروشة، **"ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه"**، وزهده وعبادته وطاعته ما يمكن يدرك حلاوة الإيمان إلا بهذا المعنى القلبي العملي العلمي.

"وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا"، يعني في الآخرة.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [البقرة:١٦٦] قال: المودة، ما وجه إيراد المصنف لهذا الأثر؟ أن يا عبد الله اجعل حبك لله حتى لا تنقطع، وأما حب أمور الأسباب لذوات الأسباب فإنها منقطعة لأن الله يقول: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [البقرة:١٦٦]، يعني المودات.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل: -

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الشرح:

هذا في زمانهم، فكيف بزماننا؟ عامة مؤاخاة الناس على القبلية والعصبية أو على الدنيا أو على الشراكة، نسأل الله السلامة والعافية.

المتن:

الثامنة: تفسير: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} [البقرة:١٦٦].

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًا شديدًا.

الشرح:

لكن حبه الشديد مشوب بالشرك، ما ينفع.

المتن:

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الشرح:

إذا كانت الأمور الثمانية المذكورة في الآية: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة:٢٤]، هذه الأمور الثمانية إذا صارت أحب من دينه عنده فهذا يعني أنه ليس عنده الإيمان الواجب، عنده الإيمان لكن ليس الواجب.

المتن:

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

قال-رحمه الله تعالى-: **"باب قول الله تعالى"**:

{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥].

وقوله: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ} [التوبة:١٨].

وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ} [العنكبوت:١٠].

عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا: «إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره».

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه.

الشرح:

قوله –رحمه الله-: **"باب قول الله تعالى"** أراد بهذا المصنف–رحمه الله-: أن يبين أن الخوف من غير الله عَزَّوَجَلَّ خوف السر نوع من أنواع الشرك، الخوف من غير الله خوف السر والخوف من المعبودات الباطلة نوع من انواع الشرك الأكبر المخرج من الملة.

ووجه إيراد هذا الباب بعد باب المحبة لأن الحب عمل قلبي والخوف عمل قلبي، فهذا وجه إيراده.

وأورد المصنف-رحمه الله- تحت هذا الباب المعنون بآية آل عمران: آيتين وحديثين:

أما الآية آل عمران المبوب عليه: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥].

ففيه دلالة: أن من خاف المعبودات الباطلة فقد شرط الإيمان، لأن الله قال: {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، لاتخافوا المعبودات الباطلة من أوثان وأصنام لا تنفع.

من العجيب جدًا اتصل علي واحد من الموحدين وقال: يا شيخ أنا سويت شيء أخاف من هذا لأن صنمهم يسوي لي شي، أين الإيمان؟ صنم ايش يسوي لك؟ هذا مثل اللي يقولك: القوطي بسويلك شيء، القوطي شلون يسويلك شيء؟ هذا رجل ميت مقبور إيش اسويلك يا إما في الجنة منعم يا إما في النار معذب، أين العقل فضلًا عن الدين.

فوجه الشاهد منه واضح: أن الخوف من المعبودات الباطلة شركٌ أكبر.

ثم أراد المصنف أن يستدل أن الخوف من الله من أعظم علامات الإيمان: فأورد آية براءة: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ} [التوبة:١٨].

إذًا من علامات أهل الإيمان الكّمل والواجب: أنهم لا يخشون إلا الله، يعلمون أن الأمور بيد الله عَزَّوَجَلَّ، هو رب الكون ما شاء كان ولم يشأ لم يكن أراد أن يفقرك واراد أن يغنيك وأراد أن يعافيك وأراد أن يمرضك و أراد أن يبتليك أي شيء يريد يكون.

وأما الآية الثالثة: فأوردها المصنف-رحمه الله-: لبيان سفاهة من يخاف من غير الله، وهي آية العنكبوت: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ} [العنكبوت:١٠].

كيف تجعل فتنة الناس كعذاب الله؟ كيف تجعل خوفك من الناس كخوف الله؟ هذا أمر مخالف للعقل فضلا عن مخالفة للنقل.

هنا الخوف قد يكون طبعيًا: وهو الخوف من الأشياء التي يُخاف منها، إنسان يخاف من الاسد من الحية ويخاف من المسدس على رأسه، هذا أمر طبعي، ولكن من زاد إيمانه حتى هذا الخوف الطبعي زال من قلبه، هذا واحد.

الثاني: الخوف المحرم: هو أن يجعلك الخوف الطبعيّ تترك واجبًا مع عدم وقوعه وإنما لتوقعه، الخوف الطبعي إذا لم يقع لتوقعه جعلك ترتكب محرم أو تترك واجب فهذا خوف محرم.

متى يصبح الخوف شركًا؟ إذا خاف الإنسان من غير الله كخوفه من الله، ساوى بين خوفه من الله وخوفه من غير الله، يخاف من الولي مثل ما يخاف من الله، وبعض المشركين يخاف من غير الله أعظم من خوف الله.

مرة قلت لواحد: احلف بالله، قال: أحلف، قلت له احلف بفلان، قال: لا ما أحلف، يخاف من فلان أعظم، فلما قلت له: ليش؟ شوف إبليس شلون سوى له، قال: الله يغفر فلان ما يغفر، أعوذ بالله، هذا ميت، كيف؟!

إذًا الشرك في الخوف: أن يخاف من غير الله كخوفه من الله أو أكثر.

الصورة الثانية: أن يخاف من المعبودات الباطلة ولو شيئًا يسيرًا هذا خوفٌ شركي.

وأورد فيه المصنف-رحمه الله-: حديث أبي سعيد، ووجه الشاهد واضح: أن الإنسان يجب عليه أن يعلق قلبه بالله، فالأمور بيد الله ولا يحمد إلا الله، ولا يذم وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، يقول: فلان ما سعالي، يا مسكين: إن أراد الله لك ذلك كان سعى لك علق قلبك بالله «ولا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره»، يجب أن نعلق قلوبنا بالله.

عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا: «إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»، يجب أن نعلق قلوبنا بالله.

يا إخوان لا بد أن نشهد مشهد الربوبية، كثير يقول من اخوانا المستقيمين على السنة يشهدون مشهد الألوهية فعبادتهم لله خالصة، لكن مع الأسف شهودهم لربوبية الله في الكون فيه ضعف والله به عليم، يجب علينا أن نقوي هذا الجانب جانب مشهد الربوبية: أن التصرف في الكون هو بيد الله.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى: **"باب قول الله تعالى"**:

{وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣].

وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال:٢].

وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال:٦٤].

وقوله: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:٣].

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: {حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين قالوا له: {إِنَّ

النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[آل عمران:١٧٣] رواه البخاري والنسائي.

الشرح:

عنى الإمام-رحمه الله- بهذا الباب: أن التوكل على الله تعالى دون غيره من المعبودات من علامات الموحدين، وأن التوكل على غير الله من علامات المشركين، إذًا التوكل على غير الله شركٌ، هذا مراد المصنف بهذا الباب، بوب بالآية: {وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣].

فجعل التوكل على الله دون المعبودات الباطلة شرطًا في قبول الإيمان.

ما مناسبة هذا الباب؟ التوكل عمل قلبي، ما معنى التوكل؟ التوكل: **"بذل السبب واعتماد القلب على الله"**، إذًا هذا ليس توكيل، التوكيل هو اتخاذ سبب، اتخاذ السبب من التوكل، التوكل: **"بذل السبب واعتماد القلب على الله"**، أما التوكيل: بذل سبب.

أنت تتخذ وكيل، الوكيل هذا من الأسباب، ما له علاقة لكن علق قلبك بالله عَزَّوَجَلَّ، أسألكم سؤال: حينما اشرب مياه الآن، اشرب المياه بأي شيء ؟ بيدي، ما هو السبب الذي جلب إلي الماء؟ اليد، أشكر الله ولا أشكر اليد؟ أعلق قلبي بالله ولا بالسبب، هذا معنى الكلام.

من شهد هذا المشهد علم معنى الربوبية، يجب علينا أن نشهد هذا المشهد في جميع أفعالنا وأقوالنا ما نأتي وما نذر، نسأل الله السلامة والعافية، والله نغفى عن هذا كثير.

التوكل على الله: بذل السبب واعتماد القلب على الله، هذا ما فيه تفصيل، التوكل على غير الله شركٌ أكبر، ما فيه تفصيل، اعتماد القلب على غير الله في حصول النتائج شركٌ أكبر، أنت تبذل الأسباب وتعلق قلبك بخالق الأسباب ليس إلا، هذا معنى التوكل، من فهم معنى التوكل أدرك أن الأسباب وأن الخلق لا يملكون شيئًا.

أورد فيه المصنف: ثلاث آيات وحديثًا واحدًا:-

وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢]، هذا هو وجه الشاهد: {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، **"إنما المؤمنون"**، دل على أن المؤمن الكامل هو الذي يتوكل على الله في كل اموره، من توكل على الله في بعض الأمور دون بعض أو غفل على اعتماد القلب على الله: ضعف إيمانه، فإن علق قلبه بغير الله فوقع في الشرك.

الآن الناس صاروا ثلاثة أحوال:

أناس يبذلون الأسباب وقلوبهم معلقة بالمخلوقين، هذا في الشرك الأكبر.

أناس يبذلون الأسباب وقلوبهم غافلة عن التعلق بالله وإنما تعلقت بالأسباب، هذا نوع من الشرك الأصغر، تعلق القلب بالأسباب نوع من الشرك الأصغر.

أناس بذلوا الأسباب وقلوبهم معلقة بخالق الأسباب: هذا من كمال الإيمان الواجب، وهذا هو الواجب.

وأما آية الأنفال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال:٦٤].

يعني: الله كافيك والله كافي المؤمنين الذين يتبعونك، هذا معنى الآية، وغلط من ظن أن الله يكفي النبي بنفسه وبالمؤمنين، هذا غلط عظيم نبّه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقوله: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:٣]، أي فهو كافيه.

وأورد فيه حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا **"قال: {حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **حين قالوا له"**: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}[آل عمران:١٧٣]، يعني: في الأحزاب في غزوة الخندق.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل: -

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الشدائد.

الشرح:

"حسبنا الله ونعم الوكيل"، كلمة عظيمة، من يقولها ويكررها: يجد معاني عظيمة في قلبه وفي أثر نفسه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول الله تعالى":

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:٩٩]

وقوله: {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر:٥٦].

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) رواه عبد الرزاق.

الشرح:

الباب هذا بوب عليه بالآية: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:٩٩].

ومراد المصنف بتبويبه بالآية: أن الأمن من مكر الله من علامات الخاسرين، وأما الخوف من مكر الله فمن علامات الموحدين.

أورد فيه المصنف: آية وحديثين:-

الآية: قوله تعالى: {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر:٥٦].

يعني: أن القنوط من رحمة الله أيضًا من علامات الضالين، وأن الرجا في رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وعدم اليأس هذا من صفات الموحدين، فهذا الباب كله في بيان بعض صفات الموحدين وبعض صفات من يخالفهم.

وأما حديث ابن عباس: فذكر فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مقترنًا بالشرك اليأس من روح الله وهو القنوط، والأمن من مكر الله وهو بمعنى الآية.

وذكر حديث ابن مسعود: قال: **"أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله"**، هذه مفسرة للآية، **"والقنوط من رحمة الله"**، هذه مفسرة للآية الثانية آية الحجر، **"واليأس من روح الله"**، ومعنى روح الله: ما يروح الله به على العبد من النعم، رَوْح الله؟ ما يروح الله به على العبد من تغير الأحوال.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله"

وقول الله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي.

الشرح:

قوله: **"باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله"**، أي هذا بابٌ في بيان أن الصبر على أقدار الله علامةٌ من علامات أهل الإيمان.

ووجه المناسبة: إيراد هذا الباب بالذي قبله: أن فيه ذكر علامات أهل الإيمان وفيه ذكر علامات الموحدين.

ومعلوم أن الإيمان مبني على ستة أركان أحدها الإيمان بالقدر وأقل درجات الإيمان بالقدر أن الإنسان يؤمن بأن الله يعلم ما يقع وكتب ما يقع وهو سبحانه وتعالى شاء ما وقع وخلق ما وقع، وأما الصبر على المقدور فهذا من واجبات الإيمان، والرضا بالمقدور من كمالات الإيمان.

أورد فيه المصنف-رحمه الله- آية وأثراُ وأربعة أحاديث:

أما الآية: فقوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:١١].

قال علقمة بن وقاص الليثي من تلامذة عمر، قال: **"هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم"**، الرضا والتسليم هذه درجة عالية جدًا، هل هناك درجة فوق الرضا؟ قال بعض العلماء: أن فوق الرضا درجة أخرى:

وهي عدم تمني وقوع ما وقع وهو فوق الرضا، أن الإنسان يعلم أن ما قدّره الله هو الخير له ما دام انه في الابتلاء وفي الدين وليس فيه نقص لدينه.

إذًا هذه الآية فسرتها الكلمة الأثرية عن علقمة.

وأما الأحاديث: فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن المتضجرين على قضاء الله وقدره قد خالفوا أهل الإيمان، قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر»، هذا كفر أصغر، الطعن في النسب والنياح على الميت هذا كفر أصغر، إذًا هو مخالف للصبر على القدر.

وحديث ابن مسعود: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

"ليس منا"، أي وقع في الكفر الأصغر، و**"القاعدة"**: أن كل ما فيه ليس منا معناه أنه وقع في صفة من صفات غيرنا أيًا كان من صفات اليهود صفات النصارى صفات الجاهليين صفات المشركين صفات الكافرين.

وأما حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا» أورده المصنف ليبين أن قضاء الله خيرٌ للمؤمن فعليه ان يصبر، وأن تنعم المتنعمين في الدنيا ليس خيرا لهم.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط» فيه دلالة على أن الله تبارك وتعالى جعل الدنيا دار ابتلاء للمؤمنين.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضي بالبلاء.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في الرياء"

وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف:١١٠].

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

وعن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى! قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد.

الشرح:

قوله: **"باب ما جاء في الرياء"**، يعني: بابٌ في بيان حكم الرياء وأنه مخالف لصفات أهل الإيمان، الرياء مخالف لصفات أهل الإيمان الكمل.

أورد فيه المصنف آية وحديثين:-

الآية: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف:١١٠].

ووجه الشاهد فيه: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١١٠]، هذا هو وجه الشاهد: أن يعمل العمل لوجه الله، والرياء: هو عبادة الله وتزيينه للغير، ما فيه صرف للعبادة لغير الله، الرياء: يتعبد لله ويزينها للناس، يعمل العمل لله ويريد من الناس أن يسمعوا وهي السمعة، فالرياء والسمعة قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر.

متى يصبح الرياء شركًا أكبر؟ هو ما صرف العبادة، يصبح الرياء شركًا أكبر إذا أصبح ديدنه ولا يعمل يعمل فيقوم يصلي لله لأجل الناس ويصوم لأجل الناس وكل حاله لأجل الناس فهذا يصبح شرك أكبر.

ما وجه إيراد هذا الباب بالذي قبله: لا زال المصنف –رحمه الله – يريد أن يبين صفات أهل الإيمان ومن خالفهم، صفات أهل الإيمان الإخلاص لله في العبادة، وصفات المخالفين لهم الرياء في العبادة.

أورد فيه حديثان:

الحديث الأول: حديث أبي هريرة، «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»، أيًا كان نوع الشرك يسير أو قليل، والرياء هو الشرك اليسير.

وفسره حديث أبي سعيد: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟»، كيف يخاف أكثر علينا من الشرك الأصغر علينا من المسيح الدجال؟ لأن الشرك هذا الذي هو الرياء هذا يشمل كل الأمة وقليل من ينجو منه، أما فتنة الدجال فهو لاحقٌ بآخر الأمة، هذا وجه خوفه علينا من الشرك الأصغر أكثر، قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل»، نسأل الله جل وعلا أن يحفظنا من الرياء، والرياء: هو أن تعمل العمل لله وتزينه للناس أو تترك العبادة لأجل الخوف من الناس فلا تفعل لا هذا ولا هذا.

المتن:

قال–رحمه الله تعالى–: فيه مسائل:–

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب، أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"

وقول الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ}،{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود:١٦].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

الشرح:

قوله: **"باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"**، أي هذا بابٌ في بيان نوع من أنواع الشرك: وهو جنس من أجناس الرياء لكنه أعظم منه لأنه متعلقٌ بصرف العبادة لأجل الدنيا، **"باب من الشرك"**، أي من جنس الشرك، **"إرادة الإنسان بعمله الدنيا"**، أي بعمله الديني الدنيا وبعمله التعبدي الدنيا وليس بعمله الدنيوي.

كون الإنسان يريد بعمله الدنيوي الدنيا ما يضر وإنما الذي يضر إرادة الإنسان بعمله الديني الدنيا فهذا الذي يضر، يتعلم العلم لأجل الدنيا ويصلي لأجل الدنيا ويصوم لأجل الدنيا، يقرأ القرآن لأجل الدنيا، هذا الذي يضر.

ومناسبة هذا الباب بالذي قبله: أن الذي قبله رياء، وهنا نوعٌ من الرياء يدخل في القلب، ليس فيه تزيين العمل وإنما أصلًا إرادة العمل كان لأجل الدينا يعني العمل ابتداءً لأجل الدنيا، ومن هنا قال بعض العلماء: أنه من الشرك الأكبر، لماذا؟ لأنه أصلًا لم يرد بعمله الديني وجه الله، يصلي لأجل ان يقال عنه عابد فما هو لله، يصوم لأجل أن يقال عنه زاهد فما هو لله، يتعلم لأن يقال عنه عالم ليس لله، هذا المقصود بهذا الباب وهو بابٌ خطير.

وقول الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ}، أي من كان يريد بعمله التعبدي الحياة الدنيا وزينتها

نوّف إليهم أعمالهم، لا تظن إن اللي يصلي إن الله ما يعطيه شيء وإن اللي يحسن أن الله ما يعطيه شي، يعطيه لكن يعطيه على ما أراد.

واليوم يدخل علينا بعض الناس يقول: تصدق عشان يداوي الله مرضاك، ترى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال: «داووا مرضاكم بالصدقة»، ما قصد أنك أنت تيجي تتصدق بنية داء المريض ما قصد هذا وإنما أخبر أنك أنت تتصدق لوجه الله وتطلب من الله أن يداوي مريضك، لا بد أن يكون صدقة لله وما يكون الصدقة منشأها إرادة الشفاء.

مثلًا: ييجي إنسان يقول: الصوم فيه العافية، لا يجب للإنسان أن يصوم لأجل العافية، لكن كونك تصوم لله وتقول: يارب اجعل هذا الصوم عافية لي، مافي بأس، هذه من الأسباب، فرقٌ بين الأمرين، لابد أن نكون دقيقين.

وأورد فيه حديث أبي هريرة: ووجه الشاهد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمى بعض الناس بعبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة والخميلة، **"الخميصة والخميلة"**، نوعان من أنواع الثياب، «إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط»، هذه علامة عبودية الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية، يرضى لأنك أعطيته ويسخط لأنك منعته.

ودعا عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تعس وانتكس»، **"انتكس"**، يعني: رجع القهقره على ظهره، «وإذا شيك فلا انتقش»، إذا دخل الشوك في رجله مثل العامية نحن نقوله: إن شاء الله ما تطلع، هذا معناها، «طوبى»، وهذا وجه

الشاهد فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى على المخلصين، نسأل الله جل وعلا أن يخلص نياتنا وأن يخلص أعمالنا وأن يخلص قلوبنا وأن يخلصنا لنفسه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الشرح:

إن شاء الله سنقرأ هذه الشروحات كلها بالتفصيل في **"التيسير العزيز"**، في الدورة التأصيلية الثانية.

المتن:

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله «تعس وانتكس».

السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله"

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله: أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ}[التوبة:٣١]. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟» فقلت: بلى. قال فتلك: عبادتهم) رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف-رحمه الله – وعنى به: أن طاعة العلماء والأمراء في التحريم والتحليل هذا نوعٌ من الشرك في الطاعة، إذاً هناك شرك في المحبة وهناك شرك في الطاعة.

ووجه إيراد المصنف لهذا الباب بعد الأبواب السابقة: بيان أن الشرك في الطاعة قد يكون أصغر وقد يكون أكبر، قد يكون هذا من جنس ما كان فيه اليهود والنصارى، لو أن إنسان أطاع العالم والأمير في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله ظنًا منه أن الأمر إليهم فهذا شركٌ أكبر.

من اعتقد أن هناك أحد له أن يحلل ويحرم مع الله سواء كان عالم أو أمير أو راهب فهذا شركٌ أكبر في الطاعة، وهو شركٌ في الربوبية لأن إن الحكم إلا لله في الربوبية، ومن ظن أنه ليس لأحد أن يحلل ويحرم مع الله عَزَّوَجَلَّ لكن اعتقد أن العالم هو أفهم مني وأعلم مني فإذا أحل وحرم فهو أدرى وأنا ما أسأل، هذا نوع من التقصير في التوحيد قد يكون من الشرك الأصغر وقد يكون جهلًا و قد يكون حرامًا، فهذا فيه تفصيل لذلك لم يحكم المصنف بالحكم مطلقًا، وإنما قال: **"باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله**

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله"، **"ارباب"** يعني: شرك في الربوبية، الطاعة في التحليل والتحريم شركٌ في الربوبية.

أورد فيه أثرين: قول ابن عباس وقول الإمام أحمد وحديثًا واحدًا:-

قول ابن عباس واضح: أن فيه لا يجوز أن يكون لأحدٍ قولٌ مع قول الله ورسوله حتى لو كان أبو بكر وعمر، وهذا فيه دلالة على تحريم معارضة قول الله ورسوله بقول أحدٍ كائنًا من كان، هذا محرم.

والإمام أحمد –رحمه الله– استدل بقوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣]، استدل بأن الفتنة: الشرك، أن رد قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في الشرك لأن رد السنة يعني الوقوع في البدعة، والبدعة بريد الكفر والشرك.

وأما الحديث فهو واضح: عن عدي بن حاتم سمع النبي يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} [التوبة:٣١]. فقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس يحرمون ما أحل الله»، الحكم عندكم مرتبط بالبابا، البابا قال حلال قلتم حلال قال حرام قلتم حرام ولا تنظرون إلى ما أنزل الله في التوراة والإنجيل: {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ}[المائدة:٤٤]، ليش ما تنظرون ؟ {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ} [المائدة:٤٧]، ليش ما تنظرون لما هو موجود في الإنجيل؟ ليش تنظرون إيش يقول البابا، هذا اتخاذ أرباب من دون الله، نسأل الله السلامة والعافية.

ففسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطاعة في التحليل والتحريم بالعبادة، فساوى بين الشرك في الربوبية وبين الشرك في الألوهية.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية.

الشرح:

يعبدون الأحبار والرهبان ويقولوا: هذا ولي من أولياء الله واللي يقوله لازم يمشي، نسأل الله السلامة والعافية.

المتن:

وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دونه الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

الشرح:

رأيت رجل وإذا أمام بيته أبقار وإبل وأغنام، وأنا كنت أمر من هذا الطريق دائمًا في مدينة كويته سنة ١٩٩٠، فسألت أحد الذين معي وقلت له: ايش صاير؟ قال: ما تعرف هذا البيت؟ قلت: لا، قال: هذا بيت ولي من أولياء الله والناس يأتون إليه فقط فهو يأتي في الربيع من لندن إلى هذا المكان والناس يقولون: إنه ولي فيهدون إليه النذور وهو يتفل عليهم ويشافيهم، قلت له: يا أخي خلينا نشوف هذا الرجل كيف يعتقدون فيه الولاية وهو جاي من لندن.

الناس واقفين أكرمكم الله كأنهم ينتظرون رسول الله أستغفر الله وأتوب إليه، أنا في السيارة جالس مع الرجل وإذا بالرجل يطلع من شرفة البيت، والناس واقفين حريم ورجال حليق لابس كرفتة ومجمل نفسه بطريقة ما تتصوروها ثم يتف

عليهم تف تف من الشرفة، سكر البلوكنة ودخل والناس رجعوا، ولي من أولياء الله!!!

قلت له: ايش يسوي بهذا؟ قال: يبيع هذه الأغراض كلها وبعدين يروح يعيش تسعة أشهر في لندن مرة ثانية وهذه حالته، يقعد هنا شهر وشهر في داهور وشهر كراتشي والناس يظنون فيه الولاية، نسأل الله السلامة والعافية.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول الله تعالى":

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا} [النساء:٦٠].

وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة:١١].

وقوله: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} [الأعراف:٥٦].

وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة:٥٠].

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»

قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب **"الحجة"** بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة – فاتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} [النساء:٦٠].

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

الشرح:

عنى المصنف –رحمه الله– بهذا الباب: بيان أن الكفر بالطاغوت لا بد منه في صحة التوحيد، وأن التحاكم إلى الطواغيت مخالفٌ للتوحيد.

ومعنى الآية: جاء تفسيرها من قول الشعبي وإن شاء الله سنذكره.

أرد المصنف–رحمه الله– هذا الباب بعد باب **"من أطاع العلماء والأمراء"**، لبيان: أنه إذا كان طاعة العلماء والأمراء في التحليل والتحريم شركًا في الربوبية فإن التحاكم إلى غير شرع الله عَزَّوَجَلَّ هو تحاكم إلى الطاغوت، وهذا بحسبه قد يكون شرك أكبر كفر أكبر أو كفر أصغر بحسب الحكم الذي يعتقده المتحاكم.

أورد المصنف–رحمه الله– تحت هذا الباب غير الآية المعنون بها: ثلاثة آيات وحديثًا واحدً وأثرين:-

أما قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة:١١].

أورد هذه الآية: لبيان أن بعض الناس يتحاكمون إلى الطواغيت بزعم الإصلاح، فهذا وصف المنافقين، وليس هذا حال الكمل من أهل الإيمان.

وأما الآية الثانية: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} [الأعراف:٥٦]، أروده المصنف -رحمه الله- لبيان: أن أعظم الإفساد في الأرض هو الشرك، وأعظم الإصلاح في الأرض: التوحيد، وأن التحاكم إلى غير شرع الله إفسادٌ في أرض الله.

وأما الآية الثالثة:

وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠]، وجه الشاهد فيه ظاهر: أن أحكام الجاهلية هي أحكام الناس التي يترافعون إليها لا نفع فيها وإن ظنوا فيها النفع.

وأما حديث عبد الله بن عمر: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»، ففيه دلالة على وجوب اتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع ما جاء به، والحديث كما قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب **"الحجة"** بإسناد صحيح، وضعف بعض أهل العلم إسناده أما من حيث المعنى فتضعيفه لا يصح، بعض أهل العلم ضعف إسناده ومتنه ولكن الصواب: أن متنه ليس

بضعيف فإن من علامات كمال الإيمان أن الهوي يصبح تبعًا لرسول الله فتحب ما يحب وتبغض ما يبغض.

وقال الشعبي: **"كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، فأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه"**. إذًا تأملوا أن الذي يأتي إلى الطواغيت وهم الذين يعبدون مع الله أو يزعم أنهم يعلمون الغيب أن هذا شرك أكبر.

إن تحاكم الإنسان لا إلى كاهن ولا إلى ساحر ولا إلى من ليس في نفسه طاغوت وإنما تحاكم إلى أعراف الجاهلية مثلًا فهذا فيه تفصيل: إن اعتقد أن الحكم الجاهلي أحسن من شرع الله أو مساوي لشرع الله أو لا يلزمه شرع الله فهذا شركٌ أكبر أو كفرٌ أكبر، وان اعتقد أن ما يفعله محرم ولكه لهوًا في نفسه أو لأي غرض من الأغراض تحاكم إلى الشرع غير المنزل والشرع المبدل أو الى القانون الوضعي مثلا فهذا شركٌ أصغر.

وقد يكون الإنسان المتحاكِم إلى الحكم الوضعي قد يكون معذورًا كأن يكون لا يعلم أنه حكم وضعي أو لا يعلم لله في المسألة حكمًا فيحكم بالحكم الوضعي، فهذه مسائل لا بد فيها من التفصيل والرجوع فيها إلى أهل العلم.

وأما كون عمر ضرب عنق المنافق فليس الأمر كما يظن بعض الجهال: أن كل إنسان يقع في الكفر يقتله أي إنسان وإنما قتله عمر لأن له ولايةٌ في حكم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبو بكر وعمر وزيرا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ).

الثالثة: تفسير آية الأعراف (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا).

الرابعة: تفسير: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ).

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

الشرح:

كون الإيمان: يعني الكامل، كون الإيمان لا يحصل: يعني الإيمان الكامل.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات"

وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد:٣٠].

وفي صحيح البخاري قال علي: **"حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟"**.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الصفات، استنكارًا لذلك ـ فقال: (ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يذكر: «الرحمن» أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد:٣٠].

الشرح:

عنى المصنف بهذا الباب: أن من جحد شيئًا من الأسماء والصفات فإن توحيده لا يكمل، لان التوحيد لا يكمل إلا بأنواعه الثلاث: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومن توحيد الأسماء والصفات: أن يؤمن الإنسان بكل اسمٍ ورد عن الله وورد عن رسول الله وأن يؤمن بكل وصفٍ

ورد عن الله لله وبكل وصفٍ ورد عن رسول الله لله، فجحد شيء من الأسماء والصفات إما كفرٌ أكبر وإما ضلالةٌ إذا كان صاحبه متأولًا.

ولا شك أن جحد الأسماء والصفات نقصٌ في الإيمان أو نقضٌ للإيمان، فإن كان ضلالةً عن بدعة وهوى فهذا نقصٌ في الإيمان، وإن كان إنكارًا للمنزل وليس عن تأويل مستساغ فهذا عياذً بالله شرك أكبر، كفرٌ أكبر.

أورد فيه المصنف: أية وثلاثة آثار:-

الآية قوله تعالى: وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ}[الرعد:٣٠]، ثم أرود سبب نزولها: أن قريشًا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر: «الرحمن»، فأنكروا ذلك، لأنهم في الجاهلية ما عرفوا اسم الرحمن، فظنوا أن ما لا يعرفونه ينكر عن الله، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي}[الرعد:٣٠]، الله سبحانه هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، فجحد شيء من أسماءه هذا كفرٌ عياذً بالله وهو من أوصاف المشركين الكافرين.

وحديث علي قال: **"حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟"**.

مراد الإمام بهذا الباب: ان الخوض في الأسماء والصفات بغير ما ورد هذا إدخال للعوام في التكذيب، لا ينبغي أن يخاض عند عوام الناس إلا بما ورد فتقول: **"قال الله وقال الرسول"**، ما يحتاج إلى أن تزيد ولا أن تنقص.

وأما حديث ابن عباس: **"أنه رأى رجلًا انتفض"** عند آية في الصفات أو حديث، فقال: **"ما فرق هؤلاء؟"**، فرق يعني: خوف، ما خوف هؤلاء؟ **"يجدون رقة عند محكمه"**، رقة يعني: عندهم قبول، **"ويهلكون عند متشابهة"**، إذًا آيات الصفات من المتشابهات من أي جهة؟ من جهة الكيف، وأحاديث الصفات من المتشابهات من جهة الكيف، هذا الذي عناه ابن عباس، وأما المعنى فمعلوم لابن عباس وغيره لذلك هم لا ينكرون المعنى، وإنكار المعنى وإنكار الاسم واللفظ جحد وكفرٌ.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك الحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول الله تعالى":

{يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل:٨٣].

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: (إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..) الحديث، وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف وعنى به: أن نسبة النعم إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ مناقضٌ للتوحيد أو نقصان في التوحيد، ولذلك فيه تفصيل: نسبة النعم إلى غير الله تعالى إما نقضٌ للتوحيد وإما نقصٌ للتوحيد:-

فإن نسب النعمة إلى غير الله إيجادًا وإيصالًا فهذا نقضٌ للتوحيد، وإن نسب النعمة إلى غير الله سببًا من الأوثان والأصنام وظن أن هي الموصلة فهذا شركٌ أكبر، وإن نسب النعم إلى أسبابها فهذا من الشرك الأصغر، ينتبه الإنسان لهذا الفرق الدقيق.

أورد فيه-رحمه الله-: خمسة آثار:-

أولًا: قول مجاهد: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي، لا يقول هذا مال الله، فنسب المال إلى السبب، فنسبة الرزق إلى السبب هذا نوع من أنواع الشرك الأصغر والكفر الأصغر.

مثل وقال عون بن عبد الله وهو من التابعين، يقول: **"يقولون: لولا فلان لم يكن كذا"**، إذًا ربط الأمر بسببه ونسي أن لولا الله ما كان هذا الأمر لان هو الموجد للسبب والنتيجة.

وقال ابن قتيبة: **"يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا"**، إذًا نسبة النعم إلى الأصنام شركٌ أكبر، هذا معنى قول ابن قتيبة، وقول ابن قتيبة: المقصود به ابن قتيبة الدينوري صاحب كتاب **"غريب القرآن وغريب الحديث"**، يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا، فنسبة النعم إلى الآلهة شركٌ أكبر.

وذكر ابو العباس: **"يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به"**.

كذلك لو قال بعض الناس: كانت الريح طيبة فنجونا، وقالوا الملاح كان حاذق فما سقط الطائرة، هذا من إضافة النسبة إلى السبب وهو نقصٌ في التوحيد عياذًا بالله.

ما أجمل هذا الكتاب يعلمنا كيف نكمل التوحيد وكيف نبتعد عن نواقض التوحيد وكيف نبتعد عن صفات المنافقين والمشركين والكافرين ونتصف بصفات المؤمنين؟ والله لو قرأنا هذا الكتاب مائة مرة حتى نموت ما كان كثيرًا.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

الشرح:

نكتفي بهذا إن شاء الله، لكن وطنوا أنفسكم أن السبت القادم لو جلسنا للساعة ١١ لازم نخلص كتاب التوحيد إن شاء الله إن كنا أحياء، سبحانك اللهم وبحمد أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس السادس

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، هذا هو المجلس السادس من مجالس القراءة والتعليق على كتاب التوحيد للإمام المجدد أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ونحن في المجلس السادس والأخير من مجالس برنامج الدورة التأصيلية الأولى المباركة، وكنا قد وقفنا على قوله -رحمه الله- في الحادي والأربعين، فنبدأ على بركة الله تبارك وتعالى.

المتن:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في **"كتاب التوحيد"**:

باب قول الله تعالى:

{فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٢].

قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول

الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا.

وعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

الشرح:

عنى -رحمه الله- بهذا الباب: بيان أنه لا يجوز أن يجعل الإنسان لله تبارك وتعالى ندًا، وذلك بنسبة النعم إلى غير الله تبارك وتعالى، ولا يجوز أن يجعل لله ندًا ولو في اللفظ، هذا هو المراد بهذا الباب: لا يجوز نسبة النعم إلى غير الله ولا تسمية غير الله بالله ولو لفظًا، ولذلك أورد هذه الآية: {فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٢]، أنه لا يمكن أن يكون لله ند لا سببٌ ولا غير سبب ولا يمكن أحد يساوي الله ولو في اللفظ.

المناسبة في إيراد هذا الباب بعد قوله **"باب قول الله"**: {يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها}، جدا واضحة: أنتم تعلمون أن النعم كلها من الله فلماذا تنسبون هذه الأمور إلى الأسباب أو إلى الأنداد، هذا هو وجه المناسبة.

أورد فيه المصنف: ثلاثة آثار وحديثين:-

الأثر الأول: قول ابن العباس: **"الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛"**، ثم فسر المراد بالأنداد تفسيرين عجيبين:

أحدهما: والله، وحياتك، إذًا أولًا: القسم الذي في ظاهره يفيد التسوية بين المقسم والمقسم هذا من الندية عياذً بالله وهو من شرك الألفاظ، هذا واحد.

الثانية: نسبة النعم إلى أسبابها، **"وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص"**، هذه الثانية: نسبة النعم إلى الأسباب.

الثالثة من الند الذي فسره ابن عباس: **"وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت"** مجرد التسوية في اللفظ، **"وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك"**.

إذًا كيف يتخلص الإنسان من هذا؟ انسب النعم إلى الله لا إلى الأسباب، هذه واحدة، احلف بالله لا بغير الله وإن كان معظمًا، لا تساوي بين الله وبين غيره في اللفظ، مجرد اللفظ لا تساوي فيهما ولا سيما في الأمور التي يفهم منها التسوية.

وأما حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ، فوجه الإيراد منه: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى حلف بغير الله كفرًا وشركا، كفر وأشرك ليس هذا شكًا وهو تنويع، كيف تنويع ؟ كفر إذا كان مقصوده أن المحلوف به دون الله عَزَّوَجَلَّ، لماذا تحلف به ؟ أتجحد ما أمرك الله عَزَّوَجَلَّ بأن تحلف به أو ما أمرك به النبي صلى الله عليه وسلم ؟ **"أو أشرك"**، فهنا معناه: أنه إن أراد أشرك شرك اللفظي: أقسم بالله وبفلان، أو **"أشرك"** شرك أكبر، كان يعتقد أن المحلوف به من غير الله كالله أو مساويًا لله أو له فعلًا كالله، مثل: حلف بعض الناس بعيسى ونحو ذلك. إذًا الحلف بغير الله لا يخرج عن إما كفر أصغر أو شرك أصغر وإما كفر أكبر وشرك أكبر، لا يخرج عن هذا وهذا، انتبه لنفسك وعلم الناس.

وأما أثر ابن مسعود: **"لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا"**، وهذا من تمام فقه الصحابة: أنهم يرون الشرك الأصغر أعظم من الكبائر، هذا من تمام فقه الصحابة: أنهم يرون الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

وأما حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان»، عطف مشيئة فلان على مشيئة الله مجرد العطف: ربما يتوهم متوهم أن مشيئة فلان كان لها دخلٌ في الإيجاد مع الله وهذا شركٌ في الألفاظ، أما إذا اعتقد أن لولا فلان ما كان هذا الأمر أصلًا ولا يمكن أن يكون فصلًا هذا شرك أكبر.

قال: «ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»، خروجًا من شرك الألفاظ وخروجًا من شرك الاعتقاد.

والأثر الثالث: جاء عن إبراهيم النخعي، هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي هو من تلامذة تلامذة ابن مسعود، قال: **"أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك"**، ليش أعوذ بالله وبك؟ مكروه لمجرد تسوية في اللفظ، كأن الاستعاذة بفلان كالاستعاذة بالله، **"ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: "**ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

المتن:

قال-رحمه الله -: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا، فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

الشرح:

"الواو"، يفيد: مطلق الجمع والتسوية، وثم: تفيد التراخي منزلة وورودًا.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله"

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله»، رواه ابن ماجه بسند حسن.

الشرح:

مراده-رحمه الله- بهذا الباب: أن فيه دلالة أن من لم يقنع بالحلف بالله ففي توحيده نظر وفي توحيده خدش، كيف لا يقنع بالحلف بالله؟

ووجه إيراده بعد الباب السابق: كما أن هناك الذين لم يعرفوا قدر التوحيد وينسبون النعم إلى غير الله ويساوون بين الله وبين غيره في اللفظ: فإن من عرف الله فإنه يقنع بالحلف بالله، ومن لم يعرف الله لا يقنع بالحلف بالله.

أورد فيه حديثًا واحدًا: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحلفوا بآبائكم»، هذا صريح، فإن قال قائل: فإن الله حلف ببعض الأشياء، نقول: يفعل الله ما يشاء، الله يستكبر، يجوز لك أن تستكبر؟! ليس كل شيء جاز لله يجوز لك، الله جل وعلا له الكبرياء، يجوز لك أن تتكبر؟! لو العظمة، يجوز تتعاظم ؟!لا، الله يحلف بما يشاء، أنت أمرك الله ألا تحلف إلا به، قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من

حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرضى»، فعل أمر، «ومن لم يرضى فليس من الله»، أي ليس من الله في شيء، ومن يكن من الله في شيء فإنه يراجع توحيده ونفسه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض

الشرح:

ووجه الوعيد: أنه خرج فليس من الله، وكل ما كان فيه ليس من الله ليس مني في شيء وليس من ديننا فهو من الكبائر.

المتن:

"باب قول: ما شاء الله وشئت"

عن قتيلة، أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه.

وله أيضًا عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلًا رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

الشرح:

عنى –رحمه الله– بهذا الباب: بيان أنه لا يجوز للإنسان أن يقول: ما شاء الله وشئت، لأن فيه التوهم بالتسوية، والتوهم بالتسوية ليس من شأن الموحدين، فإنهم يفرقون بين عظمة الله وأفعاله ومشيئته وبين المخلوقين وأفعالهم ومشيئاتهم، فقول: **"ما شاء الله وشئت"**، منهي عنه لأنه من شرك الألفاظ.

وأورد فيه ثلاثة أحاديث:–

الأول حديث قتيلة، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يحلفوا وأن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت»، التي تفيد التراخي. رواه النسائي.

وحديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلًا يقول: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟»، الظاهر أن هذا بعد النهي، ولذلك أنكر عليه أشد الإنكار «أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده»، المشيئة لله عَزَّوَجَلَّ، مشيئة العبد أصلا تابعة لمشيئة الرب.

وأما حديث الطفيل أخي عائشة لأمها، فإن هنا سؤال: لم النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر الصحابة من أول الامر أن لا يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد أو ما شاء الله وشاء فلان؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الفرق بين مشيئة الرب ومشيئة العبد، ولا يخطر ببال أحد الصحابة أن مشيئة النبي صلى الله عليه وسلم كمشيئة الرب أبدًا، فالشرك منتفٍ في المعنى، ولكن كان لليهود مأخذ لفظي، ولأجل هذا المأخذ اللفظي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو معنى: «وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها»، ما هو كذا وكذا؟ علمي أنكم لا يخطر ببالكم التسوية بين مشيئة الرب ومشيئتي أو بين مشيئة العبد ومشيئة الرب.

النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمهم التوحيد يعلم أنه لا يمكن أن يخطر ببال أحد من الصحابة أنهم حينما يقولوا: ما شاء الله وشاء فلان: أن مشيئة فلان

مثل مشيئة الرب أبدًا، لكن من سفهة أحلامهم وقلة عقولهم إذا سمعوا هذه العبارة ربما يتوهمون التسوية فجاء النهي عنه، وهذا من باب سد النبي صلى الله عليه وسلم الطرق الموصلة إلى الشرك، ولذلك قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الشرح:

كيف يعرف اليهود بالشرك الأصغر؟ لأنهم سموا هذه الشرك شركًا، مع أن شركهم هم أكبر.

المتن:

الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله ندًا؟» فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك . . . .. والبيتين بعده.

الشرح:

يعني كيف يقول مسلم يشهد أن لا إله إلا الله بهذا الكلام، النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الرجل: ما شاء الله وشاء محمد، قال صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله ندًا؟»، والذي قال:

"يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن آخذ بيدي فيا زلة القدم

إن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم"

هذه الأبيات: والله لو شلنا كلمة أكرم الخلق ولو قلنا: **"يا خالق الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم إن لم تكن آخذ بيدي فيا زلة القدم إن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم"** لاستقام المعنى.

هذه دليل أن هذا من الشرك الذي هو أعظم من قول: ما شاء الله وشئت.

المتن:

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله (يمنعني كذا وكذا).

الشرح:

لو كان من الشرك الأكبر ما جاز له التأخير، والنبي صلى الله عليه وسلم تدرج في تعليم الصحابة رضوان الله عليهم.

المتن:

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

الشرح:

من أقسام الوحي: لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقّره، أما لو لم يقره فليس من الوحي قد يصدق قد يكذب.

المتن:

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب من سب الدهر فقد آذى الله"

وقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية:٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

الشرح:

عنى –رحمه الله–بهذا الباب بيان: أن سب الدهر مناقضٌ للتوحيد أن ناقصٌ للتوحيد، كيف يكون سب الدهر نقصان في التوحيد؟ لأن فيه غفلةٌ عن مقلب الدهر، وكيف يكون سب الدهر نقضًا للتوحيد؟ إذا ظن العبد أن المقلب للأمور هو الزمان أو الدهر ولذلك يسبوه، من ظن ان الزمان مثل الطبائعيين هو المقَلِب وليس المقَلب.

فهذا من الشرك الأكبر والكفر الأكبر، ومن ظن أن الزمان بيد الله عَزَّوَجَلَّ ثم سبّه فقد وقع في نقصان التوحيد.

ووجه إيراده بعد باب **"قول ما شاء الله وشئت"**، إذا كان قول **"ما شاء الله وشئت"** منهي عنه وهو نوع من الشرك الأصغر وينقص التوحيد، فكيف بمن يسب الدهر فيصل بذلك إلى إيذاء الله عياذاً بالله.

وقول الله تعالى: وقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية:٢٤].

ما وجه إيراد هذه الآية؟ فيها دلالة على أن من نسب الأمور إلى الزمان فقد وقع في الشرك الأكبر، لأن الطبائعيين والدهريين هو الذين قالوا: إن الموت والحياة هذه بسبب الزمان وهي التي تحيينا وهي الذي تميتنا، فهذا من الكفر الأكبر، المحيي المميت هو الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما إيراده لحديث أبي هريرة: فلبيان أن سب الدهر مع اعتقاد أنها ليست هي المقلِبَة وإنما هي مُقَلَّبَة إيذاءٌ لله وهو نقصان للتوحيد «يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار».

أورد بعض المتفلسفة كلامًا: كيف يؤذي الإنسان الله وهو الكامل الذي لا يتأذى؟ يا أخي كمل الحديث «يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»، هذا وجه الإيذاء، كيف تسب الزمان الذي الرب تبارك وتعالى فيه يُقلب الأمور.

أضرب لكم مثال: لو جاء إنسان ونظر إلى هذه الصناعة قال: ايش الطاولة المخدوشة، فتنقيص الطاولة هو تنقيص لصانعها، والصانع لا يتأثر بهذا الكلام

ولا يضره، لكن قوله هذا إيذاءٌ له وإن لم يضره، فإذًا ليس معنى الإيذاء الضرر بالله عَزَّوَجَلَّ، الله عَزَّوَجَلَّ لا يحلقه ضرر، وإنما المقصود من الإيذاء: أن الله تبارك وتعالى لا يرضى هذا الكلام كما قال عَزَّوَجَلَّ: {وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}[الزمر:٧]، وهنا قال: «وأنا الدهر»، وليس الدهر من أسماء الله إجماعًا خلافًا لابن حزم، وإنما أسماء الله حسنى ولها معاني مشتقة، والدهر اسم جامد ليس له اشتقاق، فأسماء الله حسنى، هنا فيه مُقَلِب ومُقَلَب، المقَلَب: هو الأمور التي تكون والدهر ظرفه وزمانه، والمُقَلِب: هو الله، لذلك قال: «أقلِب الليل والنهار»، الله الذي يُقَلِب لا الدهر.

فالتفسير ما يحتاج إلى تأويل ولا إلى تحريف على الظاهر، «يؤذيني ابن آدم»، كيف؟ «يسب الدهر»، ولو سب الدهر؟ «أنا الدهر»، كيف الله يكون الدهر؟ «أقلب الليل والنهار»، لأن الدهر عبارة عن الزمان

وفي رواية قال: «ولا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»، أي هو المقلِب للدهر.

الدهر ظرفٌ للتقليب وليس سببًا.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: (فإن الله هو الدهر).

الرابعة: أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصده بقلبه.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه"

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله».

قال سفيان: مثل **"شاهان شاه"**.

وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه». قوله (أخنع) يعني أوضع.

الشرح:

عنى -رحمه الله-بهذا الباب: بيان أن التسمي بقاضي القضاة ونحوه فيه نقصان للتوحيد، لماذا فيه نقصان للتوحيد؟ لأن فيه تشبيه المخلوقين بالخالق من وجه خفي وهو مجرد التسمية، فإذا كان لا يجوز «ما شاء الله وشئت»، لمجرد التشابه اللفظي في المشيئة، فإن تسمية المخلوقين بأسماء الخالق فيه تشبيه بالتسمية.

لذلك هذا مثال وإلا العلماء اتفقوا أن هناك أسماء لله مثل المختصة لله: **"الله الخالق الرازق الرحمن ذو الجلال والإكرام أرحم الراحمين مالك يوم الدين"**، هذه أسماء مختصة لله لا يجوز إطلاقها على غير الله بأي حالٍ من الأحوال.

هناك أسماء لله عَزَّوَجَلَّ يجوز إطلاقها على غير الله على وجه الوصفية مثل: قولنا: فلانٌ كريم وفلانٌ رحيم وفلاٌن سيدٌ على وجه الوصفي، وأما على وجه

التسمية فلا يجوز وما يجوز أن نقول: فلان الرحيم، يجوز: رحيم، الرحيم: ما يجوز، الكريم: ما يجوز، كريم: يجوز، وهكذا.

وجه إيراد هذا الباب بعد باب **" من سب الدهر فقد آذى الله"**، أن مجرد سب الدهر الذي يقلب الله فيه الأمور، إذا كان فيه إيذاء لله يناسب أن يذكر، فكيف بمن يسمي المخلوقين بالأسماء المختصة للخالق تبارك وتعالى؟ هذه مناسبة ظاهرة.

أورد فيه حديث ابي هريرة: «إن أخنع اسم»، وفسر كلمة **"أخنع"** بمعنى: أوضع، والله عَزَّوَجَلَّ يعامل الناس بنقيض قصدهم، إذا كان قصده الكبر فالله جل وعلا يجعله مهانًا، «إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك»،شلون ملك الأملاك، انت ايش تملك علشان تسمى هذا ؟ ملك الأملاك هو الله، هل من أسماء الله ملك الأملاك؟ لا، ملك الأملاك وصف لله عَزَّوَجَلَّ، لكن لا يجوز وصف غير الله بهذا الوصف، لأن الأوصاف المختصة لله لا يجوز إطلاقها على غير الله.

مثلًا: يا مجري السحاب: ما يجوز تيجي تقول لإنسان يا مجري السحاب، ما يجوز لإنسان أن تقول: يا منبت الزرع بعد الجفاف فما يجوز، كل وصفٍ خاص بالله لا يجوز إطلاقه على غير الله، مثل: ملك الأملاك، شنو تملك أنت، تملك أمريكا وبعدين باقي الدول؟ ما تقدر تتصرف فيها، تملك الأرض شلون

تملك الشمس والقمر، ما يجوز تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله، وهذا هو المشاهد، من يستطيع أن يغير سنن الله الكونية.

قال سفيان، سفيان المقصود به سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، قال: مثل **"شاهان شاه"**، طبعًا هذا ما جاء في الحديث، لكن مراد سفيان: التمثيل أي: أنه مثل أنه لا يجوز ملك الأملاك فلا يجوز شاهان شاه، كلمة **"شاهان"**، يعني: ملوك، وشاه: ملك، ولكن هي مقلوبة لأن في غير العربية المضاف إليه مقدم والمضاف مؤخر، في العربية: ملك الملوك، في غير العربية يكون العكس: يُقدّم المضاف إليه ويؤخر المضاف، فـ **"شاهان شاه"** يعني: ملك الملوك، ما يجوز ملك الملوك، ملك الملوك هو الله، أرحم الرحمين هو الله، وهكذا.

وقاضي القضاة فيه خلاف، والصواب: أنه لا يجوز أيضًا وإن تسمى به بعض القضاة في زمان العباسيين لكن الصواب: أنه لا يجوز، لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يقضي على القضاة وعلى غير القضاة يوم القيامة فهو قاضي القضاة وصفًا لا اسمًا.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الشرح:

مثل تسميتنا اليوم، لو قال إنسان: ملك القلوب: ما يجوز، ملك القلوب هو الله تبارك وتعالى، هذا الكلام لا يجوز بأي حال من الأحوال، لو جاء إنسان ولقّب إنسان آخر بأنه أرحم الناس فما يجوز، أرحم الخلق ما يجوز، لماذا؟ لأن ما فيه أرحم من النبي صلى الله عليه وسلم، فأرحم الخلق هو النبي صلى الله عليه وسلم وأرحم الناس هو النبي صلى الله عليه وسلم، ما يجوز أن نضع وصف النبي لغير النبي، فكيف بوصف الرب نضعه للخلق ؟!، إذا كان ما يجوز أن نقول لفلان أرحم الناس لأنه وصف خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يجوز أن نقول فلان ملك الملوك أو ملك القلوب؟! ما يجوز هذا الكلام.

يمكن ملك الإنسانية أو أمير الإنسانية أو قائد الإنسانية: هذا يُقّيد، أما أن يملك القلوب كلها ما يمكن، كيف يملك قلوب من مات قبله؟!

ملك الإنسانية يمكن، لو جاء إنسان وقال: من ملك الإنسانية؟ نقول: ملك مثله، كما ذكر هذا أبو العباس ابن تيمية، سليمان عليه السلام من المسلمين، وذو القرنين المقدوني من الكفار والمشركين.

{قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ} [يوسف:٥١]، وصفًا وليس اسمًا، جائز، العزيز صار اسم، ولا يجوز إطلاق أسماء الله على غير الله معرفًا.

قاضي قضاة مصر: ما فيه بأس، قاضي قضاة مصر ما فيه بأس بلا خلاف.

السيد: اسم من أسماء الله، لا يجوز إطلاقه على غير الله إلا وصفًا، ولا يجوز إطلاقه على المنافق حتى وصف.

المتن:

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه وتعالى.

الشرح:

مراد أن من عظُم التوحيد في قلبه يصبح يشمئز من مثل هذه الأمور ولو كان اصحابها لا يقصدون.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك"

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: «ما أحسن هذا فمالك من الولد؟» قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح»، رواه أبو داود وغيره.

الشرح:

أورد المصنف-رحمه الله- هذا الباب وعنى به: أن من عظُم في قلبه التوحيد احترم أسماء الله تعالى ووقّر أسماء الله تعالى وغيّر الاسم لأجل ذلك، من عظُم

التوحيد في قلبه احترم أسماء الله تعالى وعظّم أسماء الله جل وعلا وغيّر الاسم لأجل ذلك.

وإيراد هذا الباب بعد باب **"التسمي بقاضي القضاة"** جلي واضح: أن من ابتلاه الله فسماه أبوه باسم شنيع كعبد الزهرة أو عبد الحسين أو عبد الرسول فإنه من باب احترام أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وجوب التعبيد لله يغير اسمه، فإن سمى نفسه مثلا باسمٍ خاصٍ بالله احترامًا لله عَزَّوَجَلَّ يغير اسمه، هذا وجه المناسبة.

أورد فيه حديث أبي شريح، والشاهد فيه: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو الحكم»، فمن أسماء الله الحكم ومن أسماء الله الحكيم وإليه الحكم وصفًا ومئالًا، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يغير كنيته بأبي شريح.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: احترام صفات الله وأسمائه ولو لم يقصد معناه.

الشرح:

تذكرت عبارة أسمعها من بعض الناس: فلان أبو العدل، هذا ما يجوز.

من أعدل الناس ما فيه بأس، من أرحم الناس ما فيه بأس، أما فلان أبو العدل هذا كلام غير صحيح.

المتن:

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

الشرح:

على سبيل الاستحباب، لكن لو تكنى الإنسان بابنه الأصغر جاز.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول"

وقول الله تعالي: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [التوبة:٦٥].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنًا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه – وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب – فيقول له رسول الله صلى الله عليه

وسلم: {أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [التوبة:٦٥]، ما يتلفت إليه وما يزيده عليه.

الشرح:

أورد المصنف هذا الباب وعنى به: أن الاستهزاء أو الهزل او السخرية بشيء فيه ذكر الله أو القرآن والرسول: هذا كفرٌ أكبر مخرج من الملة وليس فيه أصغر. من قصد الاستهزاء أو السخرية بالله عَزَّوَجَلَّ أو بدينه أو بكتابه أو برسله أو بملائكته أو بالآخرة أو بالجنة والنار أو بأي شيء من الدين: فإن هذا كفرٌ مخرجٌ من الملة اتفاقًا، وقد أطلق العلماء على هذا، انظروا لأي كتاب من كتب أحكام المرتدين في كتب المذهب الحنفي الشافعي الحنبلي المالكي فتجدون هذا.

ومناسبة هذا الباب بعد الباب السابق: جدًا مناسب: إذا كان احترام أسماء الله دليل على التوحيد فإن الهزل والسخرية بالله وآياته أو بالقرآن وأنبياءه: دليلٌ على الكفر.

أورد تحت هذا الباب: قول الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [التوبة:٦٥]، أراد بإيراده لهذه الآية: أن الخوض واللعب لا يرفع حكم الكفر، الخوض واللعب والاستهزاء والسخرية لا يرفع حكم الكفر، يعني لا يلزم في وقوع الإنسان في الكفر أن يكون جادًا لايلزم، قد يكون هازلًا ضاحكًا لاعبًا الكفر ليس فيه لعب وهزل وجد كله كفر، الطلاق وهو طلاق ما

فيه لعب وهزل، أيها أعظم بالله عليكم: الله ورسوله ودينه وكتبه وملائكته أم الطلاق؟ ما فيه مقارنة، إذا كان الطلاق والعتاق والنكاح ما فيه جد وهزل فكله جد فالدين من باب أولى.

أورد فيه حديث محمد بن كعب وزيد بن اسلم وقتادة: وكلهم رووا الحديث: أن هؤلاء المنافقين، قال بعض العلماء: إن هؤلاء كانوا ضعاف الإيمان، والله عَزَّوَجَلَّ قال عنهم: {لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}[التوبة:٦٦]، فأثبت لهم الكفر بعد الإيمان فدلّ أنهم كانوا ضعاف الإيمان.

أو {لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة:٦٦]، أي قد ظهر كفركم بعد إظهار إسلامكم، هذا إذا قلنا: أنهم المنافقين خُلَص، فدلّ على أن هذا الشيء كفر ظاهر: في الأول أظهروا الإسلام فقبل النبي صلى الله عليه وسلم منهم الظاهر وفي الثاني عملوا شيء هو كفرٌ ظاهر فاستحقوا عليه حكم الردة، فلماذا لم يقم عليهم حد الردة؟

لم يقم عليهم حد الردة لأن الله قال: {إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً}[التوبة:٦٦]، قال العلماء: اعتذارهم نوع استتابةٍ، والاستتابة يرفع حكم الردة، يعني: لو إنسان سبّ الله عَزَّوَجَلَّ عياذاً بالله أو سب القرآن ثم جيء به وقال: أنا تائب إلى الله ومستغفر، باتفاق العلماء: أنه لا يقام عليه الحد.

أما سبّ النبي صلى الله عليه وسلم: ففي حياته الأمر له يتنازل عن حقه إذا اظهر الرجل التوبة والندم، أما بعد مماته فالذي عليه جماهير العلماء من السلف

والخلف: أن اعتذاره لا يرفع حق النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا أحد يملك حق النبي صلى الله عليه وسلم ليعتذر ليقبل منه، فيقتل، قال: أنا تائب، قوله: خلي توبتك بينك وبين الله حتى لا يتجرأ أحد بعده على سبّ النبي صلى الله عليه وسلم، أما الله عَزَّوَجَلَّ فيتجاوز في حقوقه سبحانه وتعالى.

هنا فائدة: أن هؤلاء تكلموا في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فيه دلالة على أن من يستهزأ بالصحابة يخشى عليه من الكفر.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: وهي العظيمة: أن من هزل بهذا كافر.

الشرح:

يعني: كفرًا أكبر، ما فيه أصغر، في الهزل ما فيه كفر أصغر.

المتن:

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في قول الله تعالى":

{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت:٥٠]

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص:٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ

من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

الشرح:

قوله: باب ما جاء في قول الله: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت:٥٠]، أورده –رحمه الله– وأراد به: أن نسبة النعم إلى النفس والكسب فهذا نوعٌ من أنواع نقصان التوحيد، لا ينبغي الإنسان أن ينسب النعم

إلى نفسه وكسبه، هذه العندية وهذه اللمية من الأدلة على نقصان التوحيد في القلب.

أورده -رحمه الله- بعد قوله **"باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول"**، ما وجه إيراد هذا الباب بعد هذا الباب؟ هذا الموضع الوحيد الذي صَعُب على من ذكر المناسبات في التبويب، ولكن في نظري أنه ليس هناك بعدٌ لأنه -رحمه الله- في هذه الأبواب كلها يذكر ما ينقض التوحيد أو ما ينقص التوحيد، فالمناسبة مستمرة لأن هذا الباب لبيان ما ينقص التوحيد وينقضه.

فإن ظن الرجل أن النعم بكسبه وقوته وأن الله ليس له مشيئة في هذا: فهذا كفرٌ أكبر، وأن عنى بذلك أنه هو بجده وكده وإن كان الله شاء ذلك وأراد له ذلك: فهذا يكون من نقصان التوحيد.

أورد فيه: خمسة آثار وحديثًا واحدًا:-

قول مجاهد: **"هذا بعملي وأنا محقوقٌ به"**، كأنه يقول: أنا أستاهل هذا،مثل بعض الناس يقول أنا أستاهل، وقال ابن عباس: **"يريد من عندي"**، وقوله: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}[القصص:٧٨].

قال قتادة: **"على علم مني بوجوه المكاسب"**، أنا اللي فاهم انا اللي دارس وانا اللي تعبت وانا اللي فكرت.

وقال آخرون: **"على علم من الله أني له أهل"**، كأنه يتألّى على الله، أوتيته على شرف.

والرجلين قصتهما خير شاهد لهذا، الأول والثاني: «إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر»، هذا نسبة النعم إلى النفس مع الكذب والادعاء، وهذا فيه دلالة: ان من نسب النعم إلى نفسه فهو كاذب أيًا كان حتى لو ورثه كابر عن كابر فهو كاذب، لماذا؟ لأن الله لو شاء ان لا يرث لما ورث فيمكن أن يموت قبل مورثه، لأن الله لو شاء ان يصبح مجنونًا لأصبح مجنونًا وما عرف المال الموروث، إذًا كيف ينسب الأمور إلى نفسه؟!

وفي الحديث: «إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته» يعني: جاء إلى الأبرص بصورة الأبرص وجاء وفيه برص، وجاء إلى الأقرع وفي رأسه لا يوجد ولا شعرة، وجاء إلى الأعمى في صورة الأعمى، هذا المقصود.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي).

الثالثة: ما معنى قوله: (أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي).

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

قال-رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى:

{فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا} [الأعراف:١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - سِّمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا}[الأعراف:١٩٠] رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا} [الأعراف:١٨٩]، قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الشرح:

عنى بهذا الباب-رحمه الله-: أن جعل الشركاء مع الله عَزَّوَجَلَّ قد يكون من نسبة النعم إلى غير الله ومن التعبيد الاسم لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا الباب أورده لبيان: أن تعبيد الاسم لغير الله هو من باب جعل الشركاء مع الله، عبد الزهرة وعبد الشمس وعبد الحسين وعبد الرسول وعبد الحارث ونحو ذلك.

وإيراده بعد الباب السابق: وهو إذا كان لا يجوز للإنسان أن ينسب النعم إلى نفسه، فكيف ينسب النعم إلى ما ليس له سبب ولا دخل ؟! يقول: عبد الشمس عبد الحارث عبد الزهرة، ما علاقة هذا بهذا؟!

قول ابن حزم: هذا ذكره في كتابه **"الإجماع"**: **"اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛"**، ما يجوز بالاتفاق، العلماء يقولون: لا يجوز، **" كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب"**، لماذا عبد المطلِب؟ بعض الناس يظن أن هذه عبارة معناها: أنه يجوز لا، ابن حزم ما يقول يجوز، وإنما يقول: **"حاشا عبد المطلب"** فقد وقع فيه الخلاف، هل يجوز أو لا يجوز؟ هذا مقصوده، وما مقصوده أنه يجوز، مقصوده: حكاية الخلاف فيه.

وما سبب الخلاف في عبد المطلب؟ سببه أمران:-

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا ابن عبد المطلب»، أشكل على بعض الناس، كيف يقول أنا ابن عبد المطلب؟ يا جماعة هذا خبر وهو ما يستطيع يغير اسمه ولا اسم جده وجد جده فهذا خبر، الخبر لا يدل الرضا، النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدجال يخرج ويقول: أنا الله»، هل هذا معناه رضا عياذً بالله؟ لا «أنا ابن عبد المطلب» خبر، إذًا ما فيه دلالة.

الوجه الثاني: قالوا هناك صحابي اسمه عبد المطلب ابن الحارث ابن هشام، والنبي صلى الله عليه وسلم ما غير اسمه، قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: **"والصواب: أن اسمه المطلب وليس عبد المطلب"**، إذًا خلاص ما فيه دليل، أنه حتى عبد المطلب ما يجوز وهو الراجح، وإن كان فيه خلاف لكن لا يجوز لأنه تعبيدٌ لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما الأثر الذي ذكره ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن وسعيد: فهذا أثر مشهور جدًا بين الصحابة والتابعين لكنه مأخوذٌ من الاسرائيليات، والقاعدة في الإسرائيليات: **"أننا نأخذ منها ما وافق ما عندنا، ونرد ما لم يوافق عندنا، وما كان غير موافق ولا مردود فهذا نحكيه ولا بأس"**، الآن هذا موافق أو مخالف؟ تأمل معي أن آدم الذي تاب الله عليه وهو نبي في الأرض، النبي معصوم، إذًا لا يمكن أن يقع منه هذا، إذًا هذا من افتراءات بني اسرائيل على الأنبياء.

فإن قال قائل: فكيف يحكي الصحابة هذه الأشياء عن بني اسرائيل؟ الصحابة يحكون عن بني اسرائيل من باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحدث عن بني اسرائيل ولا حرج» لظنهم أن الناس يدركون هذا.

لذلك قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره للآية: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا} [الأعراف:١٩٠]، الضمير **"أتاهما"** مطلق الوالدين وليس إلى خصوص أبينا آدم وحواء، إلى كل من عبّد ابنه لغير الله، فالضمير راجع إلى كل من عبّد ابنه إلى غير الله.

"أن الأنبياء ليسوا معصومين عن صغائر الذنوب"، ولكن هذا من باب شرك الألفاظ، هذا مو صغائر الذنوب هذا من كبائر الذنوب، هذا أعظم من الكبائر، ولذلك نقول: لا يمكن أن يقول به، لكن أنا أميل إلى قول الذين يقولون من علماء أهل السنة: **"أن الأنبياء لا يمكن أن يعملوا لا الكبائر ولا الصغائر ولا ما يخالف المروءة، ولكنهم يعملون ما يخالف الأولى"**.

فإن قال قائل: فإن آدم قد أكل من الشجرة، هو أكل نسيانا {فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه:١١٥].

فإن قال قائل: فكيف سمّاه الله عصيانا مع انه نسي؟ لأن من الأنبياء الشيء الذي هو في نظرنا خلاف الأولى فهم ينظرون إليه أنه شيء عظيم.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تحريم كل اسم معبّد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الشرح:

ووجوب تغيير كل اسمٍ معبدٍ لغير الله، كعبد المسيح يسمى عبد الله.

المتن:

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة.

الشرح:

لو ثبتت هذه القصة ففيه إشارة إلى: أن الله قد يبتلي العبد ببعض الأمور لينظر إلى صبره.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول الله تعالى":

{وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف:١٨٠]

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: {يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

الشرح:

عنى المصنف-رحمه الله-بهذا الباب الذي عنْون له بالآية: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}[الأعراف:١٨٠]: وجوب اعتقاد أن الله عَزَّوَجَلَّ أسماءه كلها حسنى، ووجوب دعاء الله بها، ووجوب الحذر والبعد من الملحدين في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

ما مناسبة إيراد هذا الباب بعد الباب السابق؟ المناسبة: إذا كان لا يجوز تعبيده باسم لغير الله فعبّد اسم ابنك لله فإن أسماءه حسنى، فأنت بذلك ترفع من وضعية ابنك: عبد الله عبد الرحمن عبد العزيز عبد الكريم، ما أحسن هذه الأسماء، هذا وجه المناسبة.

أورد فيه ثلاثة آثار:

الأول: عن ابن عباس، قال: {يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف:١٨٠]: يشركون.

إذًا من معاني الإلحاد: الشرك، ومن معاني الإلحاد: الميل بها عن معانيها، ومن معاني الإلحاد: تعطيلها عن معانيها، هذه ثلاثة معاني للإلحاد.

يلحدون: يشركون، يلحدون: يحرفون، يلحدون: يعطلونها عن معانيها ويقول: لا معنى لها.

وعنه يعني: عن ابن عباس: **"سموا اللات من الإله والعزى من العزيز"**، هذا نوع من أنواع الإلحاد.

وعن الأعمش: **"يدخلون فيها ما ليس منها"**، يعني: يسمون الله باسمٍ ليس منزل، كتسمية النصارى الله بالأب، وكتسمية الفلاسفة الله بعلة الوجود، وكتسمية المتكلمين الله بواجب الوجود، ونحو ذلك.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

الشرح:

كونها حسنى من ثلاثة جهات:-

الأول: أن معانيها عظيمة.

الثاني: أنها في المعنى لها الكمال المطلق، هذه الأسماء في المعنى لها الكمال المطلق.

الثالثة: أنها دالة على كمالات أخرى.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب لا يقال: السلام على الله"

في الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام».

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف-رحمه الله- وعنى به: وجوب أن يعتقد المسلم الموحد أن الله كامل في ذاته وأسماءه وصفاته، فليس هو بحاجة إلى أن يكمل وأن يسلم عليه، ولذلك قال: **"لا يقال: السلام على الله"**.

وإيراده بعد باب الأسماء الحسنى: مناسب جدًا، لماذا الله عَزَّوَجَلَّ له الأسماء الحسنى ؟ لأنه سبحانه الكامل في ذاته وأسماءه وصفاته، ومادام كاملًا فلا يدعى له وإنما يدعى هو جل وعلا.

أورد فيه حديث ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: السلام على الله»، السلام على الله كأنك تطلب السلام لله، هذا معناه، قال: «فإن

الله هو السلام» أي: هو الكامل الذي يُطلَب منه السلامة ولا يُطلب له السلامة، لما تقول أنت: السلام على النبي تطلب له السلامة، السلام على المؤمنين تطلب لهم السلامة.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت"

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له».

ولمسلم: (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

الشرح:

عنى المصنف-رحمه الله- بهذا الباب بيان: أن الموحد من علاماته أنه ملحٌ في طلبه من ربه، من علامات كمال التوحيد: إلحاح العبد سؤال ربه، وأن عدم العزم في المسألة دليلٌ على نوعٍ من الإعراض وهذا ليس شأن الموحدين، دليلٌ على نوع من الإعراض وليس هذا شأن الموحدين.

وإيراد هذا الباب بعد باب **" لا يقال السلام على الله"** واضح: لأنه إذا كان لا يقال السلام على الله لأنه يُطلب منه، فإذا كان يُطلب منه يطلب منه على سبيل الجزم لا على سبيل التخيير، لأن الجزم معناه: شدة الحاجة والرغبة إليه، وأما التخيير فمعناه: أنه فيه نوع إعراض.

أورد فيه حديث أبي هريرة في صحيح البخاري: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»، كأنك تقول: أنا ما بحاجة فتبي تعطيني تعطيني وما تبي تعطيني كيفك، هذا موجود حتى في دنيا الناس، لو يجيك إنسان تقوله: عندي تمر تبي، تقوله: بكيفك يعني: إن عطيتني ما ردتيك وإن ما عطيتني ماني محتاج، هذا معنى الكلام.

لا يجوز للإنسان أن يقول: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة»، ما يقول: إن شئت، بعض الناس يقول: الله يوفقك إن شاء الله هذا غلط، قوله: الله يوفقك بدون إن شاء الله، فإن قال قائل: فحديث: «لا بأس عليك طهور إن شاء الله»، **"لا بأس عليك"** هذا دعاء، و **"طهورٌ إن شاء الله"**

جملة أخرى فهذا خبر عن متعلق الذنوب فما تدري الذنوب غفرت ولا ما غفرت، هذه متعلقة بمشيئة الله.

يعني: تيجي إنسان مريض تقوله: الله يعافيك وطهورٌ إن شاء الله: ما فيه بأس، يمكن يكون هذا كفارة لذنوبه، يمكن أن يكون رفعة لدرجاته، ما تدري أنت، فتعلق الأمر بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولمسلم: «وليعظم الرغبة»، يبين شدة حاجته وافتقاره، هذا دليل التوحيد «فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»، أطلب من الله اللي تبي، الله ما ينقصه شيء.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: (ليعزم المسألة).

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب لا يقول: عبدي وأمتي"

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي».

الشرح:

أورد المصنف-رحمه الله تعالى-هذا الباب وعنى به: أهمية البعد عن الألفاظ التي فيها مشابهةٌ لخطابات الرب تبارك وتعالى، الله هو الذي يقول لعباده: «يا عبادي» أو «يا عبدي»، لا ينبغي للإنسان أن يقول لغلامه أو لأمته: يا عبدي وأمتي، فإن قال قائل: فقد ثبت في الأحاديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وليقل: عبدي و ربك ومولاك»، كما جاء في بعض الروايات، نقول: ما جاء فيه ذكر عبدي وأمتي فينبغي علينا أن نفهمه على وجهين:-

الأول: أن هذا قبل النهي، ما جاء فيه ذكر عبدي وأمتي يُحمل على أنه قبل النهي.

الثاني: أننا نحمله كما قال بعض الشّراح: على أن عبدي وأمتي تركه النهي عنه: إنما جاء من باب كراهة التنزيه وليس التحريم.

والأول عندي أولى، لذلك أورده المصنف في كتاب التوحيد **"باب لا يقول: عبدي وأمتي"**، لأن كلمة عبدي وأمتي خطابٌ يشبه خطاب الرب عَزَّوَجَلَّ.

قد يقول قائل: هو سيده وهي مولاته أو هو عبده، نقول: هذه العبودية هي عبودية نسبية وليست مطلقة، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى

لفظ أخر، قال: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ. وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلاَيَ».

إذًا ماذا يقول لعبده؟ أطعم سيدك، وضيء سيدك، أطعم مولاك وضيء مولاك، قال: «ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»، من الجهتين، علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ما نقول من الجهتين.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

الشرح:

وهو المراد من إيراد المصنف.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب لا يرد من سأل الله"

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف-رحمه الله- وعنى به: أن من عظُم التوحيد في قلبه فإنه لا يرد من سأل بالله، قال: **"بابٌ لا يرد من سأل الله"**، هذا شأن من عرف توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وعظُم قدر الله في قلبه.

والمناسبة واضحة أيضًا: لأنه في الذي قبله لا يجوز للإنسان أن يقول لعبده وأمته: عبدي وأمتي، حتى لا يكون مشابهًا لخطاب الرب تبارك وتعالى، كذلك إذا سألك أحد بالله فعظّم الله عَزَّوَجَلَّ، كنت تعظمه في اللفظ ولا ترضى أن يكون خطابك كخطاب الرب، فكذلك عظّم الله عَزَّوَجَلَّ فإذا سُئلت بالله فأعطي.

والحديث فيه واضح، قال: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه»، ولذلك جاء في بعض الأحاديث: «أعظم الناس غدرًا مناط بالله: من أمّن بالله ثم غدر».

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: (حتى ترون أنكم قد كافأتموه).

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة"

عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة». رواه أبو داود.

الشرح:

هذا الباب أورده –رحمه الله– لبيان: أن من عظمة التوحيد أن يعظّم الموحد في قلبه الرب تبارك وتعالى، فلا يسأل بوجه الله الدائم إلا ما هو دائم، لا يسأل بوجه الله الدنيا الفانية فإن الله أعظم من ذلك.

ولذلك أورد فيه حديث: «لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة»، والعلماء قالوا السبب: أن وجه الله دائم فلا يُسأل بوجه الدائم إلا ما هو دائم، لا تسأل بوجه الله الدنيا الفانية.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

الشرح:

خلافًا لمن أنكر أو أوله أو حرفه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في اللَّوِّ"

وقول الله تعالى: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا} [آل عمران:١٥٤].

وقوله: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران:١٦٨].

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني

فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف-رحمه الله- لبيان: أهمية الإيمان بالقدر وأنه لا يجوز منه الضجر، لا يجوز للإنسان يتضجر من القدر ولو بكلمة **"لو"** وهذا من تمام التوحيد ومن كمال التوحيد ومن عظمة التوحيد في القلب: أن الإنسان يعرف أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يظهر تضجرًا على القدر أبدا حتى بكلمة **"لو"**.

و **"لو"** كما تعلمون المقصود بـ **"باب ما جاء في اللوّ"**، ليس كل **"لو"**، المقصود بباب ما جاء في اللوّ التي فيها إشعارٌ بالضجر على القدر، هذا المقصود به، أما لو في تمني الخير سواء كان ماضيًا أو مستقبلًا فهو مطلوبٌ شرعًا.

مثلًا: لو قال قائل: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لحفظت القرآن في صغري، هذا تمني الخير ما فيها شيء وما فيها تضجر على القدر.

في المستقبل قال إنسان: لو صار عندي مال ابني مسجد، هذا مطلوب شرعًا.

إذًا ما هو المنهي عنه في **"اللوّ"**: هو أن يقوله الإنسان على سبيل التضجر في القدر سواء ماضيًا أو مستقبلًا، ماضيًا كأن يقول: لو أني سويت كذا صار كذا وكذا، مستقبلًا يقول: لو ما قدّر الله عليّ هذا الشيء سأفعل هذا الشيء، هذا ما

يجوز، لا يجوز لا هذا ولا هذا لأن هذا يدل على أن الأمور تدرك بـ **"لو"** وهذا غير ممكن، وهذا يدل: على أن الإنسان يعلق الأمور بالمكتوب ولا يسعى إليه ولا يجتهد.

وأورد المصنف فيها: آيتين وحديثًا:-

الآية: وقول الله تعالى: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا} [آل عمران:١٥٤].

إذًا هذا فيه دلالة على أنهم أتوا بـ **"لو"** تضجرًا على القدر، {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران:١٦٨]، إذًا هذا فيه دلالة على أن **"لو"** أتوا به للضجر على القدر.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: لو، إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب النهي عن سب الريح"

عن أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» صححه الترمذي.

الشرح:

عنى المصنف-رحمه الله تعالى- بهذا الباب: بيان أن النهي عن سبّ الريح لكمال التوحيد، فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يأمر الرياح فتأتي، الرياح جامدة ما لها إرادة ولا لها قدرة ولا لها مشيئة، من الذي يوجدها ؟ من الذي يحركها؟ إذًا من كمال التوحيد: أن الإنسان ينتهي عن سبّ الريح، ومن نقصان التوحيد سبّ الريح، وهذا ينسحب على كل مكروه يقع بالإنسان فيسب السبب.

مثلًا: إنسان وقع عليه مرض، أجارني الله وإياكم والمسلمين مرض سرطان، فإذا به يسب السرطان، هذا ما يجوز، السرطان شيء جامد ما يأتي بنفسه، ولكن يأتي بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

إنسان عمل حادث فيسب السيارة، هذا ما يجوز، السيارة لا إرادة لها، كأنك أنت تسب قدر الله، فالأمر خطير.

أورد فيه –رحمه الله– حديث أبي بن كعب، «لا تسبوا الريح»، وعلله النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: هذا الدعاء لأن الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ.

المتن:

قال–رحمه الله تعالى–: فيه مسائل:–

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

قال–رحمه الله تعالى–:

باب قول الله تعالى:

{أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [آل عمران:١٥٤].

وقوله: {وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} [الفتح:٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة

الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

الشرح:

هذا الباب من أعظم الأبواب عن الموحدين، هذا الباب يدل على كمال التوحيد، كيف تعرف كمال التوحيد؟ في نفسك تنظر إلى ما يقدره الله عليك وظنك بالله.

بوب المصنف بالآية: {أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [آل عمران:١٥٤].

فيه إشارة: إلى أن من صفات المنافقين: أنهم يظنون بالله ظن الجاهليين المشركين، وهذا فيه دلالة إلى أن ظن الجاهلية هذا مما ينقص التوحيد أو ينقضه {الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ} [الفتح:٦].

وفسّر ابن القيم –رحمه الله– الآيتين: أية الفتح وآية سورة آل عمران، سورة آل عمران فسرها ابن القيم بظنين:-

الأول: ظن أن الله لا ينصر رسوله وان أمر رسوله سيضمحل.

الثاني: ظن أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته.

فأيًا هذا أو هذا فهذا من ظن السوء وهو من علامات نقصان التوحيد أو نقضانه، نسأل الله السلامة والعافية.

فإنكار القدر نقضٌ للتوحيد، وعدم اعتقاد الحكمة في التقدير: نقضٌ أو نقصٌ في التوحيد.

المتن:

قال–رحمه الله تعالى–: فيه مسائل:-

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

الشرح:

هذا لا يتأتى إلا بشهود الربوبية، تأمل في كلمتين ذكرهما المقريزي -رحمه الله- في **"تجريد التوحيد"**: **"لا يكون ساكنٌ إلا بأمر الله ولا متحرك إلا بأمر الله"**، إذا شهدت هذا المشهد تعرف كيف تتعامل مع الله.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في منكري القدر"

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: (يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس مني».

وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: (لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار). قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف-رحمه الله- لبيان شيء من الأمور التي تناقض التوحيد: وهو إنكار القدر، إنكار القدر ينتقض معه التوحيد، وأنتم تعلمون أن من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر.

أورد المصنف-رحمه الله-: أربعة آثار: أثر ابن عمر وعبادة وأثر ابن الديلمي عن أبي بن كعب وابن مسعود وحذيفة وزيد وكلهم قالوا: **"بأن الله لا يقبل من أحدٍ حتى يؤمن بالقدر"**، وهذا واضح وصريح، فهم الصحابة، من يستطيع أن يتقدم على فهوم الصحابة؟!

وأما حديث النبي صلى الله عليه وسلم معروف ومحفوظ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، هذه في رواية مسلم.

وحديث عبادة: **" إن أول ما خلق الله القلم، فقال اكتب"**، قبل ما توجد المخلوقات، قال: **"وما أكتب؟"** قال: **"أكتب مقادير كل شيء"**

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الشرح:

كيفية الإيمان به: مبني على أربع أركان:-

الركن الأول: اعتقاد أن الله علم كل شيء قبل وجود الأشياء.

الثانية: أن الله كتب مقادير كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

الثالثة: أن الله شاء الأشياء وأرادها.

الرابعة: أن الله خلق الأشياء وأوجدها.

المتن:

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار بأن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

الشرح:

هذه المسألة فيها خلاف بين العلماء: هل أول ما خلق الله القلم أو كان العرش قبل القلم، لكن هذا خلاف لا يضرنا.

المتن:

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

الشرح:

وهذا هو الواجب، الإنسان إذا جاءته الشبهة أن يسأل أهل العلم.

المتن:

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

الشرح:

اليوم كل واحد يقرأ ويكتب يريد أن يفتي، أرسل إليّ أحد الفضلاء تهنئة بمناسبة رأس السنة الميلادية الجديدة الأفرنجية، فأرسلت إليه رسالة فيها كلام ابن القيم، فأرسل إليّ رسالة قال: أنا ما أقصد يعني التهنئة بكريسماس وإنما قصدت العام الجديد وإن كنت لا أرى به بأسًا، فأرسلت له رسالة وقلت له: أنا ما دريت أنك مفتي، فالمشكلة كل واحد يفتي وكل من يقرأ ويكتب يريد أن يفتي، هذه مصيبة يا إخوة، الإعلام الغربي والشرقي أرادوا وجعلوا الناس أن كل واحد يفتي وفاهم.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه.

ولهما عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله».

ولهما عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم».

ولهما عنه مرفوعًا: «من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ».

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **"ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته"**.

الشرح:

باب ما جاء في المصورين، أرود هذا الباب لبيان: طريق من الطرق الموصلة إلى الشرك الأكبر والأصغر، وأنه يجب غلق هذا الباب، هذا مراده من إيراد هذا الباب في كتاب التوحيد، وهو مناسب جدًا في إيراده بعد إنكار القدر، لأنه إذا كان الإنسان لا يجوز له أن ينكر القدر عليه أن يذعن، إذا كان لا يجوز للإنسان أن يقول: إنني أفعل بإرادتي ومشيئتي فمن باب أولى أنه لا يجوز له أن يقول: أنني أصور كما يصور الله تبارك وتعالى، فهذا لا يجوز.

أورد فيه المصنف: خمسة أحاديث كلها صريحة في: أن التصوير حرام لعدة علل، وأحاديث التصوير:-

أولًا: مطلقة.

ثانيًا: عامة.

ثالثًا: جاوزت الخمسين حديثًا.

رابعًا: جاءت معللة بتعليلات متعددة، تجعل الواحد يخاف، اليوم الناس الله المستعان التصوير عندهم أهون شيء.

مع إن الأحاديث الواردة كلها دالة على أنها كبيرة من كبائر الذنوب، يقولك: الفوتجرافي مو داخل، شنو دليلك؟ أقوال العلماء ما ينفع مجرد دليل، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مصورٍ في النار»، شلون طلعت المصور الفلاني؟ إذا جاز التصوير الفوتجرافي للضرورة والحاجة هذا شيء، أما أن يجوز مطلق التصوير مع هذه العمومات من أبلغ خلق الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

الله يعلم أنه ستكون صور فوتجرافية ولا لا يعلم؟ لماذا لم يقل لنبيه لا تقل بهذا اللفظ العام؟ قل: كل مصورٍ من ذوات الظلال محرما، ليش ما قال الكلام هذا؟ الأحاديث واضحة مثل الشمس، صور صورة يضاهي خلق الله، هذا تعليل، فيه تعليلات أخرى: أن المصورون كانوا سببًا في الشرك، واليوم سبب في الشرك فاليوم يوجد أناس يعظمون صور بعض الرؤساء كتعظيمهم لله عَزَّوَجَلَّ عياذاً بالله.

صورت صورة كيف تنفخ فيها الروح إذا كلفت يوم القيامة؟ حديث: **"ألا تدع صورة إلا طمستها"**، حديث عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عام، من يستطيع أن يخصصه.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله لقوله: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي).

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم، لقوله: (فليخلقوا ذرة أو شعيرة).

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في كثرة الحلف"

وقول الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة:٨٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه.

عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

الشرح:

هذا الباب عنى به المصنف –رحمه الله–: أن كثرة الحلف مخالفٌ لكمال التوحيد إذا كان لغير داعٍ ولا حاجة.

أورد فيه المصنف: آية وأربعة أحاديث وأثرًا واحدًا:–

{وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة:٨٩]، من معاني: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة:٨٩] فُسِر بتفسيرين:

الأول: **"احفظ يمينك"** يعني: إذا حلفت احفظها ووفي بها لا تنقضها، وإذا نقضتها عليك بالكفارة.

الثاني: **"واحفظوا أيمانكم"** أي لا تحلفوا.

ثم أورد المصنف فيه أربعة أحاديث: والشاهد فيه: أن الحلف والإكثار منه لا سيما في أمور الدنيا قد تكون كبيرة من كبائر الذنوب عياذاً بالله تعالى.

وأما أثر إبراهيم: **"كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار"**، وهو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الذي مرّ ذكره، وهذا فيه حسن تربية السلف لأولادهم، **"يضربوننا على الشهادة"**، يقولوا: لا تقسم ولا تحلف، و**"العهد"**، لا تعاهد أحد وبعدين تخون، لازم إذا عاهدت توفّي.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة، أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

الشرح:

ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون: إذا كان هناك حاجة للشهادة يجب أن تشهد ولو لم تستشهد، إذا لم يوجد حاجة للشهادة وغيرك يكفيك فما داعي إنك تتسارع، على هذا يحمل الحديث: **"ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون"**، يعني: مع عدم الحاجة.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه"

وقول الله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} [النحل:٩١].

عن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء

شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا» رواه مسلم.

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف-رحمه الله- لبيان: أن الموحد يعظّم ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن من نقص التوحيد في قلبه فإنه لا يقيم لذمة الله ولا لذمة نبيه وزنًا ولا قيمة.

أورد فيه المصنف: آية وحديثًا واحدًا:-

الآية قوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}[النحل:٩١]، ففيه وجوب الوفاء بعهد الله، ويدخل في كلمة عهد الله ذمة الله وذمة نبيه، ومن ذمة الله عَزَّوَجَلَّ العهود والمواثيق العامة والخاصة، العامة مثل الغسل والوضوء والصلاة، والخاصة مثل ذمة أهل الذمة وهي بحكم الشرع، كذلك ذمة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة والعامة.

أورد المصنف حديث بريدة، وتأمل معي قوله: «وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعوهم إلى ثلاثة خصال»، من هنا استشهد بعض العلماء: أن الجزية تؤخذ سواء كان من كتابي أو من غير كتابي، ولا يجوز قتلهم إذا رضوا بالجزية لعموم «وإذا لقيت عدوك من المشركين»، وهو إنما أرسلهم إلى جزيرة العرب، وجزيرة العرب كان فيها مشركين.

وأيضًا تأمل معي قوله: «وإذا حاصرت على حصنٍ فأرادوك أن تجعل ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه»، لماذا؟ تأمل إلى التعليل: قال: «فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه»، هذا هو وجه الشاهد.

وقال: «لا تنزلهم على حكم الله»، ليش ما تنزلهم على حكم الله؟ لأن إذا أنزلتهم على حكم الله واجتهدت وأخطأت نسبت الشيء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لكن أنزلهم على حكمك وقل: سأحكم فيكم بما أرى ورأيي بما لا يخالف الشرع، فإن حكمت ووافق الشرع أصبت في إنزالهم وإن حكمت وخالفت الشرع اصبت في إنزالهم وأخطأت في حكم الشرع، هذا الحديث لو يسمعه خوارج اليوم يمكن يكفرون مسلم علشان رواه في صحيحه، يقولون: ما يريد أن ينزلهم على حكم الله، هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه، وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: (اغزوا بسم الله في سبيل الله).

الرابعة: قوله: (قاتلوا من كفر بالله).

الخامسة: قوله: (استعن بالله وقاتلهم).

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

الشرح:

حكم الله ما كان فيه نص، حكم العلماء مستنبط من النص قد يكون صوابًا وقد يكون خطأ.

المتن:

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا.

الشرح:

فغيره من باب أولى أنه لا يدري في المسائل المستنبطة هل أصاب حكم الله أو لا؟

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في الإقسام على الله"

عن جندب بن عبد الله رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا اغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

الشرح:

أورد المصنف هذا الباب وعنى به: أن التألي على الله مناقصٌ للتوحيد أو مناقضٌ للتوحيد، كيف يكون التألي على الله ينقض التوحيد أو كيف يكون التألي على الله ينقص التوحيد؟

إن قال الإنسان: والله لا يغفر الله لفلان لأنه رأى ذنب فلان عظيمًا يقصر عنه رحمة الله: فهذا كفرٌ مخرج من الإسلام.

وإن عنى أن يحجر رحمة الله عنه: فهذا نقصان للتوحيد، لأنه لا أحد يمكنه أن يحجر رحمة الله عن أحد.

والإقسام على الله الذي عناه المصنف هنا: هو التألي وليس مطلق الإقسام، لأنه يجوز هناك من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره، فمراده بالإقسام هو التألي، أما الإقسام من باب التيقن في رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وجوده وكرمه ونصره فهذا أمرٌ يفعله الخاصة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل:-

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله (إن الرجل ليتكلم بالكلمة) الخ..

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب لا يستشفع بالله على خلقه"

عن جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله! سبحان الله!» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

الشرح:

هذا الباب أورده –رحمه الله– لبيان: كمال الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لا يستشفع بالله على الخلق، لأن الله لا يطلبه من الخلق إنما يأمرهم أمرًا وما فيه طلب، لأن الاستشفاع معناه الطلب، والطلب على وجه الاستشفاع كأنه فيه نوع عجز، وهذا مستحيل في حق الله عَزَّوَجَلَّ.

لذلك لما قال الرجل: **"نستشفع بالله عليك "** هذا هو وجه الكلام المنكر، **"وبك على الله"** هذا ما هو منكر، **"بك على الله"** من باب الشفاعة، المنكر: **"نستشفع بالله عليك"**، قال: «سبحان الله سبحان الله».

المتن:

قال–رحمه الله–: فيه مسائل:–

الأولى: إنكاره على من قال: نستشفع بالله عليك.

الثانية: تغيره تغيرًا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: (نستشفع بك على الله).

الرابعة: التنبيه على تفسير (سبحان الله).

الشرح:

يعني عند التنزه يقول الإنسان: سبحان الله، عندما يريد التنزيه، وهنا أنبه على أمر وربما يكون بعض المشايخ يرى خلاف هذا: الإنسان إذا قال مثلًا: **"وهو القوي العزيز"**، بعض الناس: تسمعه يقول: سبحان الله، هذا غلط، الآن ليس موضع تنزيه فهذا موضع تمجيد، فالأولى أن تقول: تبارك الله.

سبحان الله، متى تقوله؟ {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ} [مريم:٣٥]، يعني التنزيه يكون عند استشعار النقص الله يُنزَه، أما التمجيد عند ذكر العظمة، فإذا سمعت أحد مثلًا يقرأ القرآن: **"وهو القوي العزيز يا ذا الجلال والإكرام"** ما تقول: سبحان الله، قول: تبارك الله والله أكبر ونحو ذلك.

عند التنزيه: سبحان الله، عند التعظيم والتمجيد: تبارك الله والله أكبر والحمد لله.

الله ما يتوسط، هذا غلط عظيم، ما يجوز للإنسان أن يقول: واسطتي الله، الله ما يتوسط، الله يأمر، هو بنفس معنى الشفاعة وما فيه فرق، الاستشفاع بالله على الخلق عياذً بالله.

المتن:

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

الشرح:

يجوز سؤال الحي الذي يدعو ويقدر على الدعاء أن يطلب منه أن يستسقي، كما فعل الأعراب: سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب لهم الاستسقاء طلب الدعاء.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك"

عن عبد الله بن الشخير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا؛ فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ». رواه النسائي بسند جيد.

الشرح:

الباب الخامس والستين والباب الحادي والعشرين: بينهما فرقًا تنبهوا:-

في الباب الحادي والعشرين **"باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الشرك"**.

في الباب الخامس والستين **"باب ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد وسده طرق الشرك"**، من وجهين:-

الوجه الأول: أن في الباب الحادي والعشرين المقصود: الأعمال الموصلة إلى الشرك كيف حمانا النبي صلى الله عليه وسلم منها بتعليمه إيانا؟ وفي الباب الخامس والستين: الأقوال التي تؤدي إلى الشرك كيف علمنا النبي صلى الله عليه وسلم وحمانا بتعليمه إيانا حتى نبقى على التوحيد.

الوجه الثاني: أن هناك الطرق الموصلة إلى الشرك التي تخدش جناب التوحيد، وجناب التوحيد طرفاه، وأما هنا: المقصود: حمايته التوحيد نفسه، إذًا النبي صلى الله عليه وسلم عمل بالعملين: حمى التوحيد نفسه وحمى جوانبه، هذا المقصود.

أورد فيه -رحمه الله- حديثين: حديث عبد الله بن الشخير وحديث أنس: ووجه الشاهد فيه واضح: أنهم لما قالوا: أنت سيدنا، قال: «السيد الله» تبارك وتعالى، النبي صلى الله عليه وسلم سيد، فكيف يقول: «السيد الله»؟ أراد أن يعلمهم أنه لا ينبغي إطلاق السيد، وأما «أنا سيد ولد آدم» فهو مضاف غير السيد، **"السيد"** مطلق، و **"سيد ولد آدم"** مضاف، مثل سيد القوم، قال:

«قوموا إلى سيدكم»، مضاف ومضاف إليه جائز، أما **"السيد"** على الإطلاق فهو اسمٌ من اسماء الله تعالى.

سيدكم صفة، سيد ولد آدم: صفة، لا يجوز إطلاق اسمًا على غير الله، أما من باب الوصفية فهذا لا بأس به، وإنما قال العلماء: عنى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك سد طرق الشرك وحماية التوحيد، قال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان».

وفي حديث انس: الشاهد فيه واضح: أنهم قالوا: يا خيرنا وابن خيرنا، هو كون خيرنا ما فيه إشكال، **"وابن خيرنا"** ان عنى به إبراهيم ماشي، وإن عنى به أبوه عبد الله؟ فلا بد من البيان، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم بيّن، قال: «يا أيها الناس: قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان»، فيه دلالة أن الشيطان قد يجر الإنسان، فليحذر الإنسان حمايةً للتوحيد.

المتن:

قال –رحمه الله تعالى–: فيه مسائل:–

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: (ولا يستجرينكم الشيطان) مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي).

الشرح:

قوله: **"مع أنهم لم يقولوا إلا الحق"** قالوا: حق، النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا ما فيه كلام

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

"باب ما جاء في قول الله تعالى":

{وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر:٦٧].

عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم»: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر:٦٧]

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع» أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون».

وروي عن ابن عباس، قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال: وقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم».

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره.

الشرح:

ما أحسن هذا الختم: ختم كتاب التوحيد بهذه الآية **"باب ما جاء في قول الله"** {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر:٦٧]: أن الإنسان مهما كَمُل توحيده فلا يقدر على أن يقّدر الله حق قدره، ويجب عليه أن يعلم أن عظمة الله يجب أن يكون أعظم شيء في قلب الموحد، لذلك المشركون ما قدروا الله حق قدره ولذلك وقع منهم الشرك.

أود المصنف تحت هذا الباب: خمسة أحاديث وأثرين:-

الحديث الأول: حديث ابن مسعود: وفيه دلالة على عظيم قدر الله عَزَّوَجَلَّ وعظيم قدرته وجبروته وكبريائه فهو الكبير المتعال يجعل هذه المخلوقات على أصابعه تبارك وتعالى حتى ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، يقول ابن مسعود: **"تصديقًا لقول الحبر"**، ويأتي بعض المحرفين من أهل التعطيل يقولون: ضحك على الحبر، ابن مسعود أدرى ولا أنت ؟! {وَمَا

قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر:٦٧] هذا يؤكد لمعنى ما قاله الحبر.

وفي رواية لمسلم: «ثم يأخذهن بشماله» ذكر الشمال من مفردات مسلم، قال بعض العلماء: إن لفظ الشمال شاذ **"وأن الله** عَزَّوَجَلَّ **قال لآدم وقد قبض قبضتين: اختر أيهما شئت، قال: اختار يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين"**، قال العلماء: **"كلتا يدي ربي يمين"** من اليمن والبركة والقوة، وأما شمال من حيث الاسم وليس المقصود أن الشمال أدون من اليمين، فالله تبارك وتعالى الكامل في ذاته وأسماءه وصفاته.

ومن ذكر أن هذه الروايات من الإسرائيليات فهذا في نظري فيه نظر، لماذا فيه نظر؟

أولًا: لأن ابن مسعود ليس معروفًا بالرواية من الإسرائيليات، هذه واحدة.

ثانيًا: ان هذه المسألة من المسائل المتفق عليها بين الصحابة، فحتى لو فرضنا أنها من الإسرائيليات فهم أخذوها على سبيل التسليم، **"خمسمائة عام أو خمسمائة سنة"** من أي السنين؟ الله أعلم، ما نعلم.

الصواب: انها ثابته، لكن ليس المقصود بالشمال إلا الإسمية، وإما كلتا يدي ربي يمين كما قال ابونا آدم عليه السلام.

السماوات والأرض بالنسبة للكرسي صغيرة جدًا، إذا كانت صغيرة جدًا معناها: الكرسي أكبر من السماوات والأرض، والسموات والأرض والكرسي

بالنسبة للعرش صغيرة جدًا، كيف؟ لا نعلم، ثم السماوات والأرض والكرسي والعرش بالنسبة إلى الله «كخردلة في يد أحدكم» فالله أعظم من هذا كله جل في علاه.

لذلك ينبغي أن ندرك أن العرش كالقبة للسموات والأرض، أعلى المخلوقات، والله فوق العرش وهو فوق المخلوقات.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-: فيه مسائل: -

الأولى: تفسير قوله: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم، صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «كخردلة في كف أحدكم».

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشر: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشر: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشر: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشر: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشر: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشر: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشر: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

الشرح:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أسأله جل وعلا أن يتقبل منا ومنكم، سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.